أطروحة الدكتوراة:

صورة المرأة لدى الروائيات في فلسطين

(دراسة نقدية)

إعداد

مخلص الرحمن

تحت إشراف

البروفيسور مجيب الرحمن حفظه الله

مركز الدراسات العربية والإفريقية

كلية دراسة اللغة والأدب والثقافة

جامعة جواهر لال نهرو

نيو دلهي- 110067

يوليو 2016

مركز الدراسات العربية والإفريقية
Centre of Arabic and African Studies
School of Language, Literature and Culture Studies
Jawaharlal Nehru University, New Delhi - 110067
जवाहरलाल नेहरू विश्वविद्यालय, नई दिल्ली-110067
Gram: JAYENU Tel : 26704253 Fax : 91-11-2671 7525

Dated: 19 -07-2016

Declaration

I declare that the material in this thesis entitled ""***Surat al-Mar'a lada al-riwayiyat fi Filasteen (dirasa naqdiya)***" [Image of women in Palestinian novels by women writers (A critical study)]" submitted by me, is an original research work and has not been previously submitted for any other degree of this or any other university / institution.

Mukhlesur Rahman

Name of Scholar

Prof. Mujeebur Rahman
Supervisor
CAAS/SLL&CS/JNU

Centre of Arabic & African Studies
SLL & CS
Jawaharlal Nehru University
New Delhi-110067

Prof. Rizwanur Rahman
Chairperson
CAAS/SLL&CS/JNU

Prof. Rizwanur Rahman
Chairperson
Centre of Arabic and African Studies
SLL&CS, Annex Building
Jawaharlal Nehru University
New Delhi – 110067 India

مقدمة

إن للمرأة حضورا ملموسا في الأدب العربي بدءأ من العصر الجاهلي وصولا إلى العصر الحاضر. ولماذا لا، فالمرأة نصف المجتمع، ولا يمكن أن تسير عجلة الحياة في المجتمع بدونها. وكان حضورها في الأدب العربي إما كمحرك أساسي للإبداع الإنساني، وإما ككائن مبدع للأعمال الأدبية، وإن تفاوت واختلف ذلك الحضور في العصور الأدبية المختلفة. واللافت للانتباه أنه يظهر - بعد تصفح الكتب المهمة في العربية وآدابها - أن ما وصل إلينا من أدب المرأة قليل جدا مقارنة بأدب الرجل، وما أدري هل كان ذلك بسبب الإهمال والنسيان من الكتاب السابقين والمؤرخين الأولين أم كانوا يعتبرون أن أدب المرأة لا يرتفع إلى المنزلة التي يحتلها أدب الرجال. ولكننا لاحظنا تغيرا لافتا بعد النهضة في الأدب العربي إذ عنيت المرأة بالأنشطة الأدبية والثقافية من ناحية وحظيت هي اهتماما بالغا من الأدباء والكتاب من ناحية أخرى. فمن الدوافع وراء اختيار هذا الموضوع للأطروحة هو السؤال المتكرر في ذهني 'هل هناك دور فعال للمرأة في الأدب العربي وإلى أي مدى؟' ثم بدأت أتصفح كتب تاريخ الأدب العربي وبدا لي أنه من المستحيل تغطية جميع الإنتاجات النسائية أو النسوية دراسة وتحليلا أو نقدا. فلا بد من تحديد الموضوع في البحث الذكي من الزمان والمكان والنوع، فوقع اختياري على الرواية الفلسطينية النسائية والنسوية معا. أما الرواية الفلسطينية فلأنها تحتل مكانة مرموقة في قائمة الرواية العربية من حيث الكم والكيف ولمعالجتها القضايا الإنسانية المهمة خاصة في ضوء الاحتلال والكفاح والمقاومة وحركية الشعب الفلسطيني في مواجهة العدو الاستيطاني. أما الرواية النسوية فلأن المرأة هي الأكثر تعرضا والأكثر معاناة تحت الاحتلال الصهيوني لكونها الأم والأخت

والزوجة والبنت وبالتالي هي الأرملة والثكلى واليتيمة بلا أم وأب أو زوجة المفقود أو المقتول أو المعتقل بالإضافة إلى تعرضها مباشرة لكافة أنواع التعذيب والتنكيل. أما الرواية النسائية فلأن المرأة هي الأقدر على معالجة قضاياها وسبر أغوار ذاتها وإبانة مشاكلها ومعاناتها، وبيان ما حدث من التطور الاجتماعي على ذاتها وكيانها كما أن الرجل يكون أقدر على توصيف حالاته على وجه العموم.

ثم تأتي مرحلة انتقاء الروائيات اللواتي هن أكثر شمولا وأشد تمثيلا لصورة المرأة الفلسطينية وقضاياها. فبعد مطالعة الكتب المعنية وجدنا أنه لم تلمع في فلسطين أي روائية ذات حضور ملموس حتى نهاية القرن العشرين. وكانت الكتابة الإبداعية والأدبية مرصودة للذكور ومقصورة عليهم، وحتى الروايات التي عالجت قضايا المرأة الفلسطينية بعد النكبة كتبها الرجال. فكان ظهور سحر خليفة في سبعينيات القرن العشرين حدثا مميزا وعلامة فاصلة في تاريخ الأدب الفلسطيني النسوي المعاصر. لا شك في أنها ظهرت قبلها روائيات فلسطينيات ولكنهن لم يلبثن أن اختفين من عالم الرواية بعد كتابة رواية واحدة فقط من أمثال هيام رمزي الدردنجي (إلى اللقاء في يافا/1970)، وامتثال جويدي (شجرة الصبير/1972)، ونهى سمارة صيداوي (في مدينة المستنقع/1973)، وفاطمة دياب (قطار الماضي/1973). واستمرت روائية واحدة في كتابة الرواية بعد روايتها الأولى (عروس خلف النهر/1972) وهي سلوى البنا. أما بعد سحر خليفة فقد برز عدد لا بأس به من الكاتبات في دنيا الرواية من أمثال ليلى الأطرش وليانة بدر ومي ضاهر، وديمة السمان وحزامة حبايب وسامية عيسى والأخريات. وقد انتقيت من بين هؤلاء الروائيات ثلاثا وهن سحر خليفة وليلى الأطرش وليانة بدر لأنهن يشتركن في التركيز على قضية المرأة وارتباطها بالوطن، بل من أهم ما يشغلهن

في الأعمال الإبداعية هي هموم المرأة العربية. وهن بكل تأكيد أبرز الروائيات تأثيرا في عالم الرواية، وأقربهن تمثيلا للرواية النسوية الفلسطينية.

لا شك في أن العديد من الدراسات والبحوث تناول أعمال هؤلاء الروائيات بالدراسة والتحليل بشتى جوانبها. ولكن تلك البحوث تختص بدراسة رواية أو روايتين أو تختص بأعمال كاتبة واحدة فقط، أو تعالجها بشكل موجز أو من ناحية مختلفة. فمن تلك الدراسات، دراسة عفيف فراج "الحرية في أدب المرأة" التي تناولت رواية سحر خليفة "الصبّار"، ودراسة إيمان القاضي "الرواية النسوية في بلاد الشام" وهي تناولت بعض الروايات لسحر خليفة وليانة بدر بالدراسة التحليلية، وبحث ويليام ميخائيل كوتر (William Michael Cotter) بالإنجليزية تحت عنوان "الصمود والمقاومة والاحتلال في مؤلفات سحر خليفة". وتناول حسان رشاد بعض روايات سحر خليفة وليانة بدر بالدراسة والتحليل. وتوجد هناك بعض الدراسات والبحوث الأخرى بما فيها الرسائل والأطاريح المقدمة إلى مختلف الجامعات، ولكنها إما تختص بدراسة بعض الأعمال وإما تعالج بعض القضايا المتعلقة بالمرأة الفلسطينية. ولكني حاولت كل المحاولة في هذا البحث المتواضع أن يكون أكثر شمولا وتمثيلا للروايات النسوية وقضايا المرأة الفلسطينية، فانتقيت أبرز الروائيات ومعظم أعمالهن الروائية.

ويهدف البحث إلى دراسة الشخصيات النسائية وإلقاء الضوء على صورة المرأة ونماذجها ومعالجة قضاياها دراسة تحليلية ونقدية، ويعتمد على الأعمال الروائية باستثناء المجموعات القصصية. ويقوم البحث على إعطاء الأولوية للنص الروائي للدراسة والتحليل والنقد. ولكن لم يمنع ذلك من الاستفادة من المصادر والمراجع الثانوية لمزيد من الإيضاح والتفصيل.

ويتألف البحث من مقدمة وأربعة أبواب وخاتمة:

أما الباب الأول فألقيت فيه نظرة عابرة على الرواية النسوية الفلسطينية مع تسليط الضوء على حيات وخدمات الروائيات الفلسطينيات الثلاث سحر خليفة وليلى الأطرش وليانة بدر اللواتي انتقيت أعمالهن للدراسة التحليلية والنقدية.

أما الباب الثاني فهو يحتوي على المرأة والمجتمع، ويتحدث عن العلاقة بين المرأة والرجل داخل الأسرة وخارجها، وعن المرأة والقيم الاجتماعية السائدة لها، ودور المرأة في بناء الوطن.

أما الباب الثالث فهو يشتمل على تقديم الصور المختلفة للمرأة بما فيها المرأة المثقفة والمرأة المستسلمة الحزينة الراضية والمرأة المناضلة والمرأة المتمردة إيجابا وسلبا والمرأة المومس.

أما الباب الرابع فهو يعالج القضايا المتعددة للمرأة في المجتمع الفلسطيني ويلقي الضوء على قضية تعليم المرأة وقضية التفريق بين الجنسين وقضية الزواج المبكر والزواج القسري وما إلى ذلك من القضايا المتعلقة بالمرأة.

أما الخاتمة فقد ذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

ومن الصعوبات التي واجهها الباحث في إعداد هذا البحث أولا: عدم توافر المصادر الأولية أو الثانوية في الهند وقد تطلب استيراد تلك الكتب والروايات وقتا كثيرا وجهدا كبيرا، وثانيا: عدم التمكن من الالتقاء من الروائيات أو زيارة الأرض الفلسطينية لأسباب. ولكن التكنولوجيا الجديدة ساعدتني في التغلب على هذه الصعوبات بحيث اتصلت بهؤلاء الكاتبات عبر البريد الالكتروني لبعض المساعدة

وقد فُزت في ذلك والحمد لله على ذلك. وسعيت سعيا جادا في معالجة الموضوع وإن كنت أحس أن جهدي فيه لم يخل من التقصير، لأنه عمل بشري والكمال ليس إلا لله.

وفي الختام أود أن أتقدم بخالص الشكر والامتنان والتقدير لمشرفي الأستاذ الدكتور مجيب الرحمن حفظه الله الذي قدم إلّي من توجيهاته النافعة وآرائه السديدة التي ساعدتني في كل مرحلة بدءا من اختيار الموضوع وصولا إلى إكماله، كما أشكر جميع من ساهم في إتمام هذا البحث. وأخيرا أدعو الله تعالى أن يتقبل هذا الجهد المتواضع، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الباحث

مخلص الرحمن بن محمد سليمان
جامعة جواهر لال نهرو
نيودلهي، الهند، 110067
15 يوليو عام 2016م
9 شوال 1437هـ

الباب الأول

الرواية النسوية في فلسطين

هذا الباب يشتمل على أربعة فصول وهي كما يلى:

الفصل الأول: المشهد الروائي النسوي في فلسطين.

الفصل الثاني: سحر خليفة: حياتها وآثارها.

الفصل الثالث: ليانة بدر: حياتها وآثارها.

الفصل الرابع: ليلى الأطرش: حياتها وآثارها.

الفصل الأول

المشهد الروائي النسوي في فلسطين

إن الرواية الفلسطينية بدأت في الظهور قبل النكبة (عام 1948م) كبدايتها في البلدان العربية الأخرى بدءا بالترجمة والتعريب ثم الوضع والابتكار. وكانت الرواية في هذه الفترة تتسم بالضعف الفني، ثم كان هناك توقف تام في السنوات الخمس الأولى بعد النكبة في مجال الأدب والإبداع لأسباب معلومة. وبدأت الرواية الفلسطينية تقدمها الحقيقي منذ بداية الستينيات من القرن العشرين. والجدير بالذكر أن الأعمال الروائية في البداية كانت مقصورة علىالكتّاب الذكور، حتى الروايات التي تناولت أحوال المرأة وقضاياها في ظل الاحتلال كتبها الرجال، مثل رواية "الوقائع الغريبة في اختفاء سعيد أبي النحس المتشائل" (1974م) للكاتب إميل حبيبي و"السفينة" و "البحث عن وليد مسعود" لجبرا إبراهيم جبرا، اللهم إلا ثلاث روايات، هي: "صوت الملاجئ" (1951م) لهدى حنا و"فتاة النكبة" (1957م) لمريم مشعل و"سيناء بلا حدود" (1964م) لسميرة عزام. ولكن هذه الروايات لا تمتلك من مضمون الرواية إلا الإسم. وكان يقال إن القوائم الثلاث التي تقوم عليها الرواية الفلسطينية هم غسان كنفاني وجبرا إبراهيم جبرا وإميل حبيبي.

فالرواية النسائية الفلسطينية تأخرت في الظهور مقارنة بالرواية النسائية في البلدان العربية الأخرى، وذلك لظروف اجتماعية وثقافية وتربوية لأن كتابة الرواية تتطلب الأمن والاستقرار إلى جانب الموهبة والتعليم والمران. وكانت المرأة الفلسطينية تفتقد ذلك إلى أن النكبة الكبرى لعبت دورا بشكل إيجابي في خلق الوعي

وتعليم المرأة ودخولها ميدان الكسب والعمل ما أدى إلى اهتمامها بالأنشطة العلمية والأدبية والثقافية والنضالية. فحظيت الرواية بالعناية النسائية من ضمن الأعمال الأدبية الأخرى. ولكن "اختلف الباحثون حول بداية الرواية النسائية الفلسطينية، فرأى فحماوي أن "صوت الملاجئ" هي أول محاولة روائية نسائية فلسطينية. وذهبت أمان إيمان القاضي إلى أن "فتاة النكبة" هي الرواية النسائية الفلسطينية الرائدة في حين أن وليد أبوبكر ذكر أن "سيناء بلا حدود" هي المحاولة النسائية الفلسطينية الأولى في تجربة الفن الروائي".[1]

ولكن مما لا مرية فيه أن ظهور الروائية الفلسطينية سحر خليفة في سبعينيات القرن العشرين كان حدثا مميزا في مجال الأدب عامة والرواية خاصة التي أثبتت أن الرواية الفلسطينية لم تعد تقتصر علىالكتّاب الذكور من ناحية الفن أو المضامين. وهي كتبت حتى الآن 11 رواية، ومعظمها ترجمت إلى العبرية والفرنسية والألمانية والهولندية والإنجليزية والإيطالية والإسبانية والماليزية واليونانية والنرويجية والروسية. هكذا استطاعت سحر خليفة أن ترسخ وجود الرواية النسائية والنسوية الفلسطينية في الساحة الأدبية العالمية حتى عُدت روايتها "باب الساحة" من أفضل مئة رواية عربية. ولذلك تعد سحر خليفة علامة فاصلة في تاريخ الأدب النسوي الفلسطيني. ولكن هذا لا ينفي وجود أي روائية قبلها. إننا وجدنا عددا من الروائيات في فلسطين ولكنهن إما لم يستمررن في الإنتاج الروائي وإما تفتقد أعمالهن النضج الفني. فأذكر فيما يلى الروائيات اللواتي ظهرت أعمالهن الروائية قبل سحر خليفة:

---

[1]. صحيفة الغد 20 مايو 2007م.

أ- **هيـام رمـزي الـدرُنجي:** هـي ولـدت فـي يافـا بفلسـطين عـام 1942م، وأكملـت دراسـتها مـن الابتدائيـة إلـى الجامعيـة فـي جامعـة بنغـازي فـي ليبيا. صدرت لها ثلاث روايات هي: "إلى اللقاء في يافا" (1970م)، و "وداعـا يـا أمـس" (1972م)، و"النخلـة والإعصـار" (1974م). ولهـا دواوين شعرية عديدة هي: "زهرات في ربيع العمر" (1966م) و"ألحان وأحـــزان" (1969م) و"دمـــوع النـــاي" (1969م) و"أغنيـــات للقمـــر" (1973م) و"عبيـر الكلمـات" (1982م) و"رسـمتك شـعرا" (1984م) و"قصائد رحلة صيف" (1985م) و"مزامير في زمن الشدة" (1987م) و"بحور بلا موانئ" (1989م).

ب- **امتثال جويدي:** نشرت أول روايتها "شجرة الصبير" عام 1972م التي يمكن إدراجها ضمن أدب السيرة الذاتية ولا تصلح أن تعد رواية فنية ناجحة لعدم القدرة على رسم الشخصيات الروائية التي جاءت سطحية وغير مقنعة، وفي جانب آخر تبدو روايتها مقالة سياسية محضة أو كشريط إخباري خال من فن الرواية. وقد صدرت لها روايتها الثانية "هجرة العبير" عام 1972م.

ت- **نهـى سـمارة صـيداوي:** صدرت روايتها الأولى والوحيدة "في مدينة المستنقع" عام 1973م التي تناولت واقع المدن الكبرى. ولكن نجد شخصياتها سطحية فنيا.

ث- **فاطمـة ذيـاب:** هي ولدت في طمرة الجليلية بفلسطين عام 1951م. وقد صدرت أول روايتها "رحلة في قطار الماضي" عام 1973م، ثم نشرت لها ثلاث روايات أخرى في الأعوام التالية وهي "قصة نسائية"

عـام 1987م، و"الخـيط والطزيـز" عـام 1997م، و"مدينـة الـريح" عـام 2011م. ولها أعمال في القصة القصيرة والمسرح.

ج- **سـلوى البنـا:** هـي ولـدت فـي نـابلس عـام 1951م. وهـي الروائيـة الوحيدة التـي بـرزت قبل سـحر خليفـة واسـتمرت فـي كتابـة الروايـة منذ روايتها الأولـى "عـروس خلـف النهـر" عـام 1972م. صـدرت لهـا سـت روايات حتى الآن وهي: "الآتي من المسافات" (1976م)، و "مطر فـي صباح دافئ" (1979م)، و"العامورة عروس الليل" (1986م)، و"امرأة خارج الزمن" (2013م). ولها ثلاث مجموعات قصصية.

فهولاء الروائيات الفلسطينيات سبقن سحر خليفة في الكتابة الروائية ولكنهن اختفين من عالم الرواية بعد إنتاج روائي محدود ماعدا سلوى البنا التي استمرت في الكتابة الروائية وسجلت حضورا لافتا في عالم الرواية. أما بعد سحر خليفة فقد ظهرت عدد كبير من الروائيات الفلسطينيات. فأذكر فيما يلى أبرزهن:

- **ليلى الأطرش:** تحدثت عنها بالتفصيل في الفصل الثالث.
- **ليانة بدر:** تحدثت عنها بالتفصيل في الفصل الرابع.
- **ديمة جمعة السمان:** ولدت في القدس الشريف عام 1963م و تنحدر من عائلة مقدسّية عريقة. وهي أم لثلاثة أولاد. حصلت على بكالوريوس لغويات في جامعة بيرزيت. صدرت لها عشر روايات وهي: "القافلة" (1992م)، و"الضّلع المفقود" (1992م)، و"الأصابع الخفّية" (1992م)، "جناح ضاقت به السّماء" (1995م)، وثنائّية "وجه لزمن آخر" و"بنت الأصول" (2010 و 2011)، و"رحلة ضياع"

(2010م)، و"غفرانك قلبي" (2015م)، و "برجاللُقلُق" (2016م). تعد رواياتها شمولية، تحمل قضايا مهمة وتتجاوز مسمى تصنيف الأدب بأنه أدب نسوي. وهي أول روائية فلسطينية افتتحت كتابة الرواية عن القدس الشريف (بعد محمود شقير في "ظلّ آخر للمدينة"). والروايات التي تدور أحداثها حول القدس هي روايتها الأولى "القافلة"، وثنائيّتها "وجه لزمن آخر" و" بنت الأصول" و "برج اللقلق". ولذلك يقال عنها بأنها فتحت بوابة الرواية العربية حول القدس. وكذلك تسمى بابنة القدس البارة.

- **حزامة حبايب:** هي من مواليد 1965م، وحصلت على بكالوريس في اللغة الإنجيليزية وآدابها عام 1990م من جامعة الكويت، وتقيم حاليا في الإمارات العربية المتحدة. بعد صدور أربع مجموعات قصصية، نشرت حزامة حبايب روايتها الأولى، "أَصْلُالهَوى" عام 2007م وأثارت الجدل بسبب المحتوي الجنسي. ثم نشرت روايتها الثانية بعنوان "قبل أن تنام المَلِكَة" عام 2011م التي تعد رواية جيدة في إبراز الهّم الفلسطيني وحظيت بالإشادة النقدية. أما روايتها الثالثة "مخمل" فهي صدرت عام 2016م وخاضت في عالم المخيم الفلسطيني لتكشف عن البؤس والشقاء فيه. ولها أعمال في الشعر والقصة والمقالة.
- **نجمة قعوار فرح:** ولدت في الناصرة بفلسطين عام 1923م حيث أكملت تعليمها الابتدائي والثانوي، ثم التحقت بدار المعلمات في القدس. وتوفيت في أغسطس عام 2015م، وخلفت 22 عملا أدبيا بالعربية والإنجليزية في مجال الراوية والمسرحية والقصة. وأعمالها الروائية تشمل "عابرو السبيل" (1954م) و "سكان الطابق العلوي" (1996م).

● **نعمة خالد:** ولدت عام 1958م في عين زيوان، القنيطرة. لها أعمال في القصة القصيرة والبحث والرواية. وأعمالها الروائية تشمل "البدد" (1999م) و"الذاكرة المثقوبة" و"ليلة الحنة" (2005م).

● **رجاء بكرية:** ولدت في بلدة عرابة البطوف، وتسكن في مدينة حيفا. ومن أعمالها الروائية "عواء ذاكرة" (1995م) و"امرأة الرسالة" (2007م). ولها مجموعات قصصية ونثرية.

فهذه نظرة عابرة على بعض الروئيات الفلسطينيات اللواتي برزن بعد سحر خليفة إذ ليس هدفي استيعاب جميعهن بل إثبات أن الرواية النسائية الفلسطينية قد فرضت وجودها منذ سبعينيات القرن العشرين على الساحة الأدبية لا في البلدان العربية فحسب بل في العالم. ولا نزال نشهد ازديادا كبيرا للروائيات الفلسطينيات.

هذا، وقد وجدنا أن المرأة الفلسطينية خاضت في موضوعات لا تختص بالمرأة فقط بل عالجت المشاكل والقضايا الوطنية والعالمية إلى جانب معالجة القضايا المتعلقة بالمرأة التي تعاني منها في فلسطين في ظل الاحتلال والتقاليد السائدة والقيود القمعية المتوارثة. ونجحت في إزالة الوهم بأن الإبداع والفكر حكر على الرجال إذ لم تقتصر الروائية الفلسطينية في رواياتها على الموضوعات الرومانسية وتصوير مشاعرهن الخاصة بل تناولت جميع القضايا السياسية والاجتماعية والاقتصادية والقضايا المعاصرة الأخرى بكل صدق وتعمق لا يختلفان عما كتب أو يكتبه الرجال.

مع أن الرواية النسائية تناولت موضوعات من السياسة والقضايا الاجتماعية والوطنية، ولكنها اهتمت بشكل جوهري بالقضايا التي تتعلق بالمرأة وحريتها من

السلطة الذكورية، وتميزت بنقد القمع الاجتماعي والتسلط الذكوري، ورفعِ أصواتها ضد كل أشكال العنف والتمييز والقهر ضد المرأة في ظل الاحتلال الصهيوني أو في المجتمع العربي الذكوري. ولذلك نجد أن بعض الروايات مزجن بين قضية المرأة وقضية الوطن وحاولت كل المحاولة إثبات أن حرية الوطن من الصهاينة تتوقف على حرية المرأة من القيود الاجتماعية القمعية. فالرواية النسائية تُؤطّر بين الثنائيتين هما: المرأة في مواجهة الرجل للتخلص من قيود المجتمع وعاداته وتقاليده، والإنسان الفلسطيني في مواجهة الاحتلال الصهيوني للتحرر من براثن المحتل الغريب. على هذا الأساس تبدو الرواية النسائية الفلسطينية متميزة عن كتابة الرجل بالتمرد النسوي ضد المجتمع الذكوري والمطالبة بالحقوق والحرية المستلبة داخل المجتمع، أي مزجت الروائية الفلسطينية بين الهّمين معا هما: الهم العام وهو حرية الوطن من الاحتلال الإسرائيلي، والهّم الخاص وهو حرية المرأة من التسلط الذكوري.

اتضح مما سبق أن الرواية النسائية والنسوية الفلسطينية قد تطورت تطورا ملحوظا بنائيا وفنيا، كيفا وكما، وفرضت حضورها على المشهد الأدبي جنبا إلى جنب مع الرجال من حيث القيمة الإبداعية للموضوع والتجليات الفنية للنص مع أنها تأخرت في الظهور مقارنة بالرواية النسائية في البلدان العربية الأخرى.

الفصل الثاني

سحر خليفة: حياتها وآثارها

مولدها ونشأتها والبيئة التي ترعرعت فيها:

ولدت سحر خليفة في أبريل عام 1941م في مدينة نابلس بفلسطين في عائلة محافظة. كانت إحدى ثماني بنات وولد واحد. ماتت اثنتان منهن وهما ما زالتا طفلتين، وبدأت تسمع نسوة العائلة يتبادلن تعليقات كثيرة حول البنات ما يدل على أن البنت عبء كبير على الأسرة أو جنس غير مرغوب فيها، بينما عومل الأخ منذ البداية كما لو كان وسيلة لسعادة العائلة واستمرارها وبقائها. وهكذا شهدت سحر خليفة مشكلة التمييز الجنسي في المجتمع العربي منذ طفولتها. وقد تحدثت سحر خليفة عن ذلك في مقالها (أنا وحياتي والكلمة) بالتفصيل حيث قالت إنها عندما ولدت كالطفلة الخامسة على التوالي استقبلت بعدم ارتياح. ثم تبعتها ثلاث بنات أخريات وكان الوالد يتطلع إلى ولادة صبي بشدة.فأثّر ذلك الحدث غير السعيد تأثيرا كبيرا في تصرفات والدها لأنه لم يولد صبي في الأسرة لاستمرار اسمها، وفي جانب آخر كان يخاف أن تبقى صورته كأبي البنات في المجتمع ما يدل على انتقاص مقاييس الرجولة حسب ما يعتقد. وكانت أمها تعتبر نفسها ملعونة ومنحوسة، وتبكي لأيام وأيام كلما ولدت طفلة لأنها كان تخاف من أن يستغل زوجها ذلك الحدث للزواج من امرأة جديدة. وقد فعل ذلك فيما بعد إذ تزوجت بفتاة صغيرة تاركا وراءه أسرة كبيرة.

في هذه الظروف والأوضاع ترعرعت سحر خليفة وتعلمت معنى وجودها وبقائها في المجتمع أو في العالم. عرفت من البداية أنها عضو من جنس لا قيمة ولا وزن له في المجتمع الذكوري. وقيل لها أيضا أن تهيء نفسها لمواجهة مثل هذه الظروف القاسية في حياتها الزوجية، وأن تدرب نفسها على الامتثال لأوامر الرجال في جميع الأحوال والتقيد بالعادات والقوانين الاجتماعية.

ولكن سحر خليفة كانت منفردة منذ طفولتها. كانت شخصيتها مليئة باللعب والحيوية والنشاط. ولكنها كانت تحس بالوحشة الخانقة في داخل بيتها إذ كان أبوها مشغولا بالكسب والعمل، وأمها كانت مشغولة بمهمات الحمل والوضع. ولذلك لجأت سحر خليفة إلى استبدال هذا الجو البارد بقراءة القصص والرسم والرقص والموسيقى والغناء. وكانت تقضي فيها أوقاتا كثيرة. وتلقت تعليمها الابتدائي في مدرسة الخنساء الابتدائية في نابلس، بينما قضت فترة الثانوية في كلية راهبات الوردية في عمان.

أما فترة مراهقتها فهي كانت أصعب من ذلك إذ أزعجت الآخرين بأحاسيسها العجيبة وتصرفاتها الغريبة. وعانت أُمها من سلوكها المنفرد، وكانت تخاف منها وعليها. ولذلك اضطرت إلى إرسالها إلى مدارس داخلية للراهبات، وفكرت أن الراهبات هن أكثر صرامة، وينجحن في تأديبها وجعلها فتاة عادية. ولكن الراهبات أيضا فشلن فيما لم تفلح أسرتها وأُمها فيه. لهذا اضطرت الأسرة إلى اتخاذ خطوة أخيرة وهي أن ترغمها على الزواج المبكر. وقد حدث ذلك بالفعل حينما أقحمتها أسرتها في زواج متسرع وهى كانت في الثامنة عشرة من عمرها.

ففجأة وجدت نفسها مقيدة داخل بيت رجل يختلف عنها فكريا وعاطفيا. وبالإضافة إلى ذلك كان الرجل مقامرا مدمنا ما جعل حياتها الزوجية جحيما وأحلام مستقبلها حطاما.

مع أن سحر خليفة لم تكن سعيدة في حياتها الزوجية ولكن الزواج أدى إلى إنجازين كما عبرت عن ذلك في مقالها المعروف (أنا وحياتي والكلمة) أولا: إنها مُنحت طفلتان جميلتان عملتا كملجأ للدفء وحنان الأمومة، وثانيا: وجدت فرصة جيدة للتركيز على الرسم والقراءة وقت الفراغ أثناء غياب زوجها المتواصل. فكانت تملأ عالمها الفارغ بقراءة الكتب المختلفة ورسم الأشياء المتلونة. على هذا النحو استمر زواجها مع وجود الفراغ النفسي والعاطفي بينها وبين زوجها وذلك لأجل البنتين الجميلتين فقط. ولكن إلى متى يستمر هذا الزواج الفارغ من العواطف والمشاعر؟ أخيرا انتهى الزواج بعد ثلاثة عشر عاما وهي كانت في الحادية والثلاثين من عمرها.

وخلال فترة ثلاثة عشر عاما وقعت ثلاثة أحداث أثرت على حياة سحر خليفة وحياة أسرتها، أولا: تعرض أخوها الوحيد لحادث سيارة وأصبح مُقعدا مشلولا طوال حياته وهو كان في السادسة عشرة من عمره. قد أدى ذلك الحادث إلى تفكك العائلة وانهيارها وتدمير روابطها المتينة إذ كان يعتبر ذريعة وحيدة لسعادة الأسرة وبقائها. ففقدت أُمها أملها في الحياة، واستغل أبوها ذلك الحدث للزواج من عروس جديدة صغيرة شقراء. وثانيا: توفي الأب بعد ذلك، ووقع ذلك صاعقة على أمها وأصبحت الدنيا لها في ظلام دامس، وازدادت يأسا وقنوطا. هكذا شاهدت سحر

خليفة مأساة أمها، وفي ذلك تصورت مآسي كل النساء في المجتمع الذكوري، وتطمح للتغيير. وثالثا: هي هزيمة 1967م. اكتشفت سحر خليفة من ذلك أن الهزيمة السياسية ما هي إلا انعكاس للهزيمة الحضارية أناس تهزمهم حضارتهم لا ينتصرون على الخارج. للانتصار على الخارج تجب البداية بالداخل. فلا بد من أن تكون البداية من أهل البيت، بقيم المجتمع وقيوده، بدءا بالعائلة، ومرورا بالمدرسة، والجامعة، ووصولا إلى الشارع.[2]

لذلك رأيناها هيأت نفساها للكتابة والإبداع الأدبي خلال السنوات الثلاث الأخيرة من الزواج. وبدأت بمحاولات شعرية، ثم واصلت كتابة الرواية حتى أكملت روايتها الأولى بعنوان بعد الهزيمة. ولكن هذه المحاولة الروائية الأولى لم تنشر لأنها صودرت منها على الجسر عند عودتها من ليبيا إلى فلسطين حيث كانت تعمل وتعيش مع زوجها. وكانت تحدثت سحر خليفة في هذه الرواية عن الاحتلال الأول وهزيمة عام 1967م وحالات حظر التجول وأثر كل ذلك على حياة الفلسطينيين. ولكن من سوء الحظ عندما كانت تسافر إلى نابلس لتنشرها عن دار الأسوار في عكا التي كان يصدر عنها معظم الإبداع الأدبي الفلسطيني وقتذاك، قام الضابط الإسرائيلى بمصادرتها.

قد تحدثت سحر خليفة عن قصة المصادرة بالتفصيل في حوار بمناسبة تلقي جائزة نجيب محفوظ عن روايتها صورة وأيقونة وعهد قديم، وقالت فيما قالت بأن الرواية كانت مكتوبة في دفاتر ابنتها الصغيرة للتمويه، وعندما سأل الضابط

[2] ينظر: فيصل دراج وآخرون: أفق التحولات في الرواية العربية، ص 162-164.

الإسرائيلي عما هو مكتوب فيها أجابت بأنها دفاتر الدروس لبناتها. ولكنهم صادروها وأخذوا العنوان الكامل لبيتها للمراجعة والمتابعة بعد التحقيق. وبالفعل جاءت المخابرات الإسرائيلية إلى بيتها تبحث عنها في ساعة متأخرة من الليل بعد أيام. ولكنها كانت قد غادرت إلى عمان ثم ليبيا. فأخبرتها أمها بأن المخابرات الإسرائيلية جاءت للبحث عنها وحذرتها من الرجوع إلى فلسطين. ولكنها رجعت إلى وطنها بعد عام 1970م. أما الرواية فهي بقيت في أيدي المخابرات الإسرائيلية، ولم تر النور قط، ولا تعرف ما حل بها. هكذا ضاعت محاولتها الروائية الأولى. ولكنها لم تفقد أملها ورغبتها في الكتابة.[3]

إنها كتبت روايتها الثانية لم نعد جواري لكم (وهي روايتها الأولى في سلسلة الروايات المطبوعة) التي أثرت على حياتها تأثيرا كبيرا إذ كانت حدا فاصلا بين الزواج والإبداع الأدبي. كانت قد يئست من محاولة إنجاح زواجها واستمرار الحياة مع الرجل الذى لا يعاملها كرفيقة للحياة بل يعاملها كأنها قطعة أثاث في البيت. في أثناء ذلك تم قبول روايتها للنشر في دار المعارف. فتلمست في ذلك ذريعة للبقاء ووسيلة للنجاة من الحياة التعسة. فصممت على الانفصال عن الزوج بعد محاولات طويلة لإنجاح الزواج واستمراره.

فانفصلت سحر خليفة عن زوجها في شهر مايو لعام 1972م، وغادرت ليبيا حيث كانت تعمل وتعيش مع زوجها. وكانت لا تملك في ذلك الوقت إلا ألف دينار وشهادة الثانوية وطفلتين صغيرتين جميلتين. ولكن كانت تحلم أحلاما كبيرة.

---

[3] الموقع الثقافي العربي "نقطة ضوء" تحت عنوان "سحر خليفة: الفردوس المفقود والحب الضائع" نشر بتاريخ 01 - 09 – 2009.

وفي جانب آخر كانت الأسرة قد انهارت بعد أن أصيب الأخ الوحيد بالشلل بعد إصابته بحادث سيارة إذ تزوج الأب فتاة صغيرة أخرى ثم توفي بعد ذلك. وكانت الأم قد فقدت رغبتها في الحياة. أما أخواتها فكانت بعضهن متزوجات وتستعد بعضهن للزواج. وكانت سحر خليفة وحدها ضد العالم وتطمح للتغيير في المجتمع وفي العالم.

فهي بدأت حياتها من جديد وهي كانت في الثانية والثلاثين من عمرها، التحقت بجامعة بيرزيت (Birzeit University) في رام الله بفلسطين، وسجلت كطالبة في دائرة اللغة الإنجليزية وآدابها. وحصلت على بكالوريوس اللغة الإنجليزية سنة 1977م. وبعد أن أكملت دراستها سافرت إلى الولايات المتحدة الأمريكية حيث نالت شهادة الدكتوراه من من جامعة أيوا (University of Iowa) في دراسات المرأة والأدب الأمريكي. ثم عملت كمدرسة في جامعة بيرزيت، ثم أصبحت رئيسة قسم العلاقات العامة في نفس الجامعة.

وعندما كانت سحر خليفة في الجامعة، وقعت بحب الأستاذ لأربع سنوات ولكن بدون جدوى. وبعد إخفاقها في الحب استيقظت فجأة من عالم الأحلام، ورغبت في إثبات ذاتها وإيجاد معنى حياتها. ففي السنة الثالثة في الجامعة توقفت عن الدراسة لمدة فصلين وأكملت أثناء ذلك كتابة رواية الصّبّار التي رحّب بها القراء ترحيبا حارا وترجمت إلى عدة لغات. وبعد تخرجها عام 1977م أنجزت رواية أخرى وهي عباد الشمس، وبها أيضا حققت نجاحا كبيرا. ترجمت الرواية إلى عدة

لغات وصدرت عن دور النشر المختلفة. ثم واصلت بعد ذلك إنتاج الأعمال الروائية.

فثبت مما سبق أن حياة سحر خليفة كانت مليئة بالأحداث والمعاناة والظروف القاسية. فلا بد من أن تتأثر كتاباتها وإبداعها بذلك. ولذلك نجد أن رواياتها تدور حول العلاقات، حول علاقة الرجل بالمرأة، وعلاقة الإنسان بالمجتمع، وعلاقة الفلسطيني بالسياسة والنضال والمقاومة. ومحور جميع كتاباتها يدور حول نابلس (مسقط رأسها) خاصة والأرض المحتلة عامة. فهي تصور معاناة المرأة في المجتمع وفي ظل الاحتلال، ومشاكل الإنسان الفلسطيني في الأرض المحتلة المحاصرة.

سحر خليفة كروائية:

مع تطور الرواية الفلسطينية برز عدد من الكتاب والكاتبات في عالم الرواية الذين أثبتوا وجودهم وفرضوا حضورهم على الساحة الأدبية في العالم العربي. ومن تلك الأسماء اللامعة في سماء الرواية والأدب والإبداع تتجلى شخصية الكاتبة الروائية سحر خليفة. مع أنه كان يقال دائما بأن الرواية العربية الفلسطينية تتوقف على القوائم الثلاث وهي غسان كنفاني وإميل حبيبي وجبرا ابراهيم جبرا. ولكن ظهور الكاتبة الروائية الفلسطينية سحر خليفة بروايتها الأولى لم نعد جواري لكم عام 1974م كان حدثا كبيرا، خاصة في الساحة الروائية النسوية الفلسطينية، التي عالجت قضية المرأة ومعاناتها في الأرض المحتلة.

وتعد سحر خليفة الروائية العربية الأولي التي وضعت حجر الأساس لرواية نسائية ونسوية في فلسطين في السبعينيات من القرن العشرين. وبدأت سحر خليفة حياتها الإبداعية كروائية واستمرت أكثر من عشرين عاما ولم تبدأ كشاعرة أو كاتبة للقصة القصيرة. ومنذ صدور روايتها الأولى لم نعد جواري لكم تصدر الرواية تلو الأخرى وترتقي بفنها الإبداعي والروائي، واحتلت مكانة مرموقة في الوطن العربي والعالم. وتقرأ رواياتها لا في العالم العربي فقط بل في العالم كله. وقد ترجمت أغلبية رواياتها إلى لغات أجنبية عديدة. وكذلك تم اختيار بعض رواياتها في أقسام دراسة الشرق الأوسط. وقد تناول ويتناول الكتاب والنقاد والباحثون كتاباتها وأعمالها بالدراسة والتحليل والنقد في العالم كله، ويقدمون أوراقا وأبحاثا في المؤتمرات والندوات والجامعات. هذا لا يدل إلى على نجاح الكاتبة في عالم الأدب والرواية.

وتتميز روايات سحر خليفة بالجدية الشديدة في معالجة قضايا الواقع الفلسطيني، والقضايا الاجتماعية والسياسية معا، ونالت بذلك استحسانا وقبولا حسنا. هي تبدو دائما تهاجم على الرجل وتنتقد التسلط الذكوري في المجتمع العربي. وتحاول بطلاتها الروائية انتزاع حريتهن من الرجل. وكذلك نجد أن بعض بطلاتها يشاركن في أعمال المقاومة والنضال جنبا إلى جنب مع الرجال. ومن أبرز السمات لروايات سحر خليفة أن قضية المرأة استغرقت مساحة كبيرة من أعمالها. ويمكن ذكر روايات سحر خليفة على الترتيب التالي:

(1) لم نعد جواري لكم (1974م)

(2) الصبار (1976م)

(3) عباد الشمس (1980م)

(4) مذكرات امرأة غير واقعية (1986م)

(5) باب الساحة (1990م)

(6) الميراث (1997م)

(7) صورة وأيقونة وعهد قديم (2002م)

(8) ربيع حار (2004م)

(9) أصلٌ وفصل (2009م)

(10) حبي الأول (2010م)

(11) أرض وسماء (2013م)

حظيت سحر خليفة منذ روايتها الأولى لم نعد جواري لكم باهتمام القراء والكتاب والنقاد، ونجحت في أن ترسخ وجودها على الساحة الروائية. وبنشر ثنائيتها الصبار وعباد الشمس وتصويرها فيهما لمعاناة الشعب الفلسطيني تحت قهر الاحتلال الغاشم منذ شهر يونيو عام 1967م فرضت سحر خليفة على نفسها تصوير حياة الفلسطينيين اليومية، ومعاناتهم من الاحتلال والتشابكات والاضطرابات أمام القراء. وتدور كتاباتها حول قضيتين مهمتين هما: المرأة في مواجهة الرجل، والإنسان الفلسطيني في مواجهة الاحتلال. تتجلى هاتان القضيتان معا في معظم رواياتها، حتى يصعب الفصل بين نضال الفلسطيني ضد الاحتلال

الإسرائيلي ونضال المرأة ضد ظلم التسلط الذكوري والقيود الاجتماعية السائدة. وتعتقد سحر خليفة أن استقلال الوطن من براثن الاحتلال لا يكون كاملا إلا بتحرر المرأة من أغلال العادات والتقاليد والقيود الاجتماعية.

ورواياتها تُظهر أن سحر خليفة آمنت أن ظروف المقاومة والنضال في ظل الاحتلال تغير عقلية المجتمع الفلسطيني، وتمحو الفوارق بين المرأة والرجل، وتغير من أوضاعها، ويأتي يوم يكون فيه الرجل والمرأة في مكانة واحدة لأن المرأة رافقته دائما في مواجهة الاحتلال والاستمعار. وقد رسمت سحر خليفة هذا الهدف في ثنائيتها الصبار وعباد الشمس. ولكنها وجدت بأن الاحتلال الطويل لم يحقق ذلك، وبقي المجتمع الفلسطيني محتفظا بكل عاداته وتقاليده القديمة. فالرجل لم يتبدل، ولم تتغير تصرفاته وسلوكه تجاه المرأة. ولم يُقم وزنا لتضحيات قدمتها المرأة الفلسطينية في الحياة النضالية والمعيشية فازداد حزن سحر خليفة. فاستمرت في معالجة قضية المرأة من حافزين. **أولا**: حافز القضية النسوية وما تعانيه المرأة الفلسطينية من اضطهاد وظلم داخل بنية المجتمع الفلسطيني. وتأتي ضمنه رواياتان أولهما: مذكرات امرأة غير واقعية التي عالجت فيها المعاناة النفسية للمرأة. وثانيهما لم نعد جواري لكم التي تتحدث عن معاناة المرأة الفلسطينية في ظل الثقافة والتقاليد السائدة في المجتمع الفلسطيني. **ثانيا**: حافز القضية النسوية في ظل الاحتلال. وتحدثت سحر خليفة ضمن هذا الحافز عن حياة الفلسطينيين ومعاناتهم بعد هزيمة حزيران، وخلال الانتفاضة، وبعد اتفاقيات أوسلو. والروايات التي أنتجت

في ذلك الضوء هي: الصبار وعباد الشمس وباب الساحة والميراث وصورة وأيقونة وعهد قديم وربيع حار.[4]

على هذا، نجد أن الروائية سحر خليفة التي فرضت على نفسها تصوير واقع حياة الشعب الفلسطيني في الأرض المحتلة، كتبت حتى الآن إحدى عشرة رواية كلها تعالج الوضع الفلسطيني تحت قهر الاحتلال والاستعمار، وقضية المرأة الفلسطينية داخل بنية المجتمع الفلسطيني وفي ظل الاحتلال. فالمحاور التي سارت عليها روايات سحر خليفة منذ البداية لم تتغير. فهي ظلت تكتب عن دفاعها عن حرية المواطن الفلسطيني من المحتل الإسرائيلي، وحرية المرأة من القيود والأغلال الاجتماعية.

في أعمالها الروئية تعبر سحر خليفة عن إيمانها العميق بأن وعي المرأة النسوي هو جزء لا يتجزأ من وعيها السياسي. وتُخبرنا بأن نضال المرأة الفلسطينية ضد القيود الاجتماعية هي جزء من النضال الفلسطيني العام. أما أسلوبها الروائي فهو شفاف ومقتصد. إنها تكتب بالعربية الفصيحة في معظم الأحوال إلا أنها تستخدم العامية الفلسطينية في بعض المواضع في الحوار.

ومعظم رواياتها ترجمت إلى العبرية والفرنسية والألمانية والهولندية والإنجليزية والإيطالية والإسبانية والماليزية واليونانية والنرويجية والروسية.

---

[4]. ينظر: غدير رضوان طوطح: رسالة " المرأة في روايات سحر خليفة، ص 234-235.

خبراتها العملية:

"1970-1972 عملت مترجمة في السفارة النيجيرية، طرابلس، ليبيا.

1973-1980 عملت في مكتب الإعلام والمطبوعات بجامعة بيرزيت، وكمديرة للمكتب، ومحررة لمجلة الغدير.

1984-1987 عملت في جامعة ايوا مدرسة في دائرتي اللغة الانجليزية والدراسات النسوية.

1988-2003 أسست مركز شؤون المرأة والأسرة في مدينة نابلس وكانت المديرة العامة للمركز.

◄ وهي حالياً متفرغة للكتابة.

البعثات والمنح الدراسية:

1972م-1976م أعفيت من الرسوم في جامعة بيرزيت بسبب التفوق وإدراجها في لائحة الشرف.

1978م-1980م فازت بمنحة من مكتب البحوث والدراسات، جامعة بيرزيت لكتابها رواية "عباد الشمس".

1980م-1982م نجحت في الحصول على بعثة فولبرايت الدراسية لبرنامج الماجستير وأعفيت من الرسوم بسبب التفوق، جامعة نورث كارولينا.

1984م-1987م حصلت على منحة من منظمة الطلبة العرب، أمريكا.

الجوائز التكريمية:

1984م جائزة السلام من منظمة السلام للنساء الملّونات، ايوا.

1991م ميدالية الصداقة من بلدية بولونيا تقديراً للعمل النسوي الفلسطيني-الإيطالي المشترك.

1996م حصلت على جائزة البرتومورافيا للرواية الأجنبية.

1999م حصلت على ميدالية قاسم أمين الذهبية لإسهامها في الكتابات النسوية.

درع وتكريم من جامعة بيرزيت للإبداع الادبي والعمل النسوي.

2004م درع الإبداع الأدبي وتكريم من جامعة البتراء الأردنية.

2006م تكريم من الجامعة الأمريكية بمناسبة ظهور رواية "الميراث" باللغة الانجليزية.

القراءات والمحاضرات:

قامت بتقديم العديد من القراءات الممسرحة والمحاضرات بدعوة من جامعات ومؤسسات أدبية نسوية أذكر منها:

- جامعة أيوا: في برنامج الكتاب العالمي بدعوة من دائرة الثقافة الأمريكية، عام 1987م.

- جامعة جورج تاون: ألقت محاضرة حول "الأدب والمرأة" في مركز دراسات الشرق الأوسط، عام 1978م.

- جامعة كورنيل في نيويورك: ألقت محاضرة حول "المرأة والتحول الاجتماعي في الشرق الأوسط، عام 1982م.

- جامعة استوكهولم: ألقت محاضرة حول "المرأة في الشرق الأوسط"، عام 1982م.

- جامعة ميونخ: قدمت قراءة ممسرحة "ممثلة محترفة تقرأ + محاضرة، عام 1982م.

- الجامعة الأمريكية، واشنطن: ألقت محاضرة حول موضوع "المرأة في الأدب الفلسطيني" وذلك في عام 1983م.

- جامعة بيروت العربية: ألقت محاضرة بمناسبة يوم المرأة العالمي، عام 1996م.

- الجامعة الأردنية: ألقت محاضرة أدبية، عام 1988م.

الدعوات من المؤسسات الشهيرة العالمية:

- اتحاد كنائس الشرق الأوسط، في قبرص: محاضرة حول "الحركة النسائية في العالم العربي بين المد و الجزر"، (1995م).

- المسرح التجريبي الحديث، جنيف، سويسرا: محاضرة حول "المرأة الفلسطينية والانتفاضة مع تقديم قراءة ممسرحة من الرواية "عباد الشمس".

- اتحاد الكتاب النمساويين، في فينا: تم فيه إلقاء محاضرة وتقديم قراءة ممسرحة من الرواية "باب الساحة" (1992م).

- مراكز نسوية إيطالية: في ستة مدن، هي بولونيا، تورينو، روما، فلورنس، كاتانيا، صقلين، سلسلة محاضرات حول "مذكرات امرأة غير واقعية".

- معرض الكتاب الدولي في القاهرة بمصر: وكانت المحاضرة حول موضوع "صورة المرأة في الأدب العربي"، (1994م).

- اتحاد الكتاب الألمان، ألمانيا: تمت فيه قراءة ممسرحة وإلقاء محاضرة حول "مذكرات امرأة غير واقعية" الصادر باللغة الألمانية، (1990م).

- اتحاد المرأة الفلسطينية بالتعاون مع اتحاد الكتاب الألمان، هامبورغ، ألمانيا: محاضرة حول "المرأة و حركات التحرر" وذلك بمناسبة الأسبوع الفلسطيني، (1988م).

- اتحاد الكتاب والصحفيين التونيسيين، تونس: محاضرة حول "المرأة في الأدب الفلسطيني"، (1988م).

- مركز الطاهر حداد النسوي، في تونس: كانت المحاضرة حول "المرأة العربية و التحول الاجتماعي"، (1988م).

- الرابطة الطبية السويسرية، زيوريخ: كان موضوع المحاضرة "المرأة الفلسطينية والاحتلال"، (1985م).

- جولة قراءات ممسرحة في ستة مدن سويسرية وألمانية، (1985م).

- جمعية الشابات المسيحيات YWCA، القدس: قراءة أدبية، (1975م).

- ملتقى الأدباء، غزة: محاضرة أدبية، (1977م).

- من خلال الكويكرز: جولة لمحاضرات أدبية نسوية في واشنطن، شيكاغو، مينيسوتا، اتلانتا، سان فرانسيسكو وسان دياغو، (1979م).

- المسرح الثقافي لبلدية زيوريخ، سويسرا: قراءة ممسرحة ومحاضرة، (1988م).

- الرابطة الطبية الفرنسية: جولة محاضرات أدبية نسوية في خمس مدن في فرنسا: باريس، تولوز، ليون، جرنيوبل ومونبلييه، (1979م).

الندوات والمؤتمرات وورشات العمل:

مع تقديم أوراق عمل:

- جامعة كورنيل، نيويورك: مؤتمر وورقة عمل حول "المرأة في العالم الثالث"، (1986م).

- اليونسكو، باريس: مؤتمر وورقة عمل حول "الأدب الفلسطيني"، (1986م).

- اتحاد الكتاب الألمان وجامعة ابرلانجن: مؤتمر وورقة عمل حول "المرأة وحركات التحرر في العالم الثالث" مع جولة محاضرة في ثلاث مدن ألمانية، (1988م).

- وزارة الثقافة الألمانية: ورشة عمل لثلاثة أيام لكتاب ممثلين عن آسيا، إفريقيا وأميركا اللاتينية مع كتاب ألمان في مقر اتحاد الكتاب الألمان-برلين، (1988م).

- مجلس السكان، المغرب: مؤتمر وورقة عمل حول "المرأة والتغّير في الشرق الأوسط"، (1991م).

- برلمان الاتحاد الأوروبي، بروكسل: مؤتمر وورقة عمل " Europe from the outside" (1991م).

- رابطة الخريجين العرب في أمريكا: مؤتمر وورقة عمل حول "أوضاع المرأة العربية" عقد في عمان.

- الرابطة الطبية السويسريه، جنيف: مؤتمر وورقة عمل حول "المرأة الفلسطينية والانتفاضة"، (1988م).

- اتحاد الكتاب الألمان وجامعة ايرلانجين: مؤتمر وورقة عمل حول "المرأة وحركات التحرر في العالم الثالث".

- المجلس الأعلى للثقافة والفنون، القاهرة: مؤتمر الرواية العربية الأول، (1998م).

- مؤسسة فريدريش الألمانية واتحاد الجمعيات الخيرية الأردنية: مؤتمر المنظمات غير الحكومية في الأردن ، فلسطين، لبنان وسوريا، (1997م).

- اسكوا ويونيفام: مؤتمر حول "المشاريع الإنتاجية الصغيرة للمرأة" عقد في عمان عام (1996م).

- مركز كوثر النسوي وجامعة جون هوبكنز الأمريكية، تونس: ورشة تحضيرية لفيلم "النساء العربيات يتكلمن"، (1995م)."[5]

[5] موقع "صالون الأستاذة الدكتوره أفنان دروزه الثقافي" تحت عنوان "تبذة عن الروائية الفلسطينية الدكتورة سحر خليفة".

الفصل الثالث

ليانة بدر: حياتها وآثارها

نبذة عن حياتها:

ولدت ليانة بدر في القدس بفلسطين عام 1952م. تلقت تعليمها في مدرسة خولة بنت الأزور الابتدائية، القدس من 1960م إلى1961م، وفي دار الطفل العربي، القدس، من عام 1963م إلى عام 1964م، ثم في مدرسة أريحا الثانوية للبنات، أريحا عام 1967م، وفي الجامعة الأردنية، عمان،عام 1971م، وجامعة بيروت العربية،عام 1973م، والجامعة اللبنانية، بيروت، من عام 1973م إلى عام 1975م وأكملت فيها ماجستير في علم النفس.[6]

"انتقلت ليانة بدر مع عائلتها إلى أريحا حيث كان والدها يعمل كطبيب. ثم انتقلت مع عائلتها إلى الأردن عام 1967م بعد النكسة، واحتلال إسرائيل الضفة الغربية وقطاع غزة. التحقت بالجامعة الأردنية، لكنها لم تكمل الدراسة فيها إذ أكملت شهادة الليسانس في علم النفس العام من جامعة بيروت العربية.

عملت في مجال الصحافة في بيروت منذ عام 1975م إلى عام 1982م. تزوجت ياسر عبد ربه، وهو سياسي فلسطيني، وانتقلت إلى دمشق عام 1982م للعيش فيها، وهذا هو العام الذي شهد خروج منظمة التحرير الفلسطينية من بيروت. ثم انتقلت إلى تونس للإقامة فيها مع زوجها، ثم عادت إلى رام الله عام 1994م وما زالت تعيش فيها حتى الآن. تم تعيينها بعد عودتها كمدير عام السينما

[6] روبرت ب. كامبل: أعلام الأدب العربي المعاصر سير وسير ذاتية، ص 293.

في وزارة الثقافة والإعلام التي كان زوجها يتولى حقيبتها في السلطة الفلسطينية. قامت بنسق عدد من المهرجانات السينمائية، وأقامت ناديا للسينما في مناطق الحكم الذاتي الفلسطيني. شاركت مع زوجها في حملة التوقيع على وثيقة جنيف، وهي وثيقة غير رسمية تقترح حلا سياسيا للصراع العربي الإسرائيلي، ولكن هذه الوثيقة كانت تتجاهل حقوق اللاجئين الفلسطينيين بالعودة وقضايا أخرى، لذلك رفضها الشعب الفلسطيني على نطاق واسع. درست بعد أن تولى منصبها في وزارة الثقافة والإعلام دراسة الفنون السينمائية فتعلمت فن الإخراج الوثائقي وكتابة السيناريو. وقد مولت لها وزارة الثقافة والإعلام إنتاج عدد من الأفلام الوثائقية عن أوضاع الفلسطينيين ومعاناتهم تحت الاحتلال."[7]

الأوضاع الاجتماعية التي ترعرت فيها ليانة بدر:

قضت ليانة بدر طفولتها في مدينة القدس حيث كانت ترقب من خلال أوراق شجرة التوت المعمرة أمام بيتها الجزء الآخر الذي صادرها الصهاينة على حساب السكان الأصليين. الصهاينة الذين لم يقنعهم الأمن والسلام اللذان ظللا أرض فلسطين تحت الأديان جميعها. استوردوا الأسلحة، وجلبوا المهاجرين من جميع أنحاء العالم، وطردوا الفلسطينين والسكان الأصليين خارجا مرتين. مرة عام 1948م، ومرة خرجت عائلتها عام 1967م تحت قهر القصف على أريحا وعلى مخيمات اللاجئين المحيطة بها. بعد عدوان 1967م لم يسمحوا للفلسطينين والسكان الأصليين بالعودة إطلاقا إلى بيوتهم وديارهم. منذ ذلك الوقت اكتشفت

[7] موقع القصة السورية تحت عنوان "الكاتبة: ليانة بدر".

ليانة بدر كم أن العدوان الحربي والعسكري مدمر للحياة الإنسانية. رموا بهم خارج وطنهم، إلى حيث التشرد وفقدان طمأنينة البيت والأرض، وضياع الهوية.[8]

صارت الكتابة ليانة بدر سعيا حثيثا منذ عام 1967م، وهي بعد طالبة في الثانوية، لاستعادة هذه المعاني المفقودة: البيت، والأهل، والهوية، والأرض. والحلم الإنساني بالإبداع والانطلاق خارج قيود المنفى. كانت ليانة بدر تكتب للتغلب على الخوف من الغارات الجوية الإسرائلية العديدة على السكان الفلسطينين وقد شهدتها في الأردن عام 1970م ولبنان 1974م-1982م. كانت تكتب لتقهر فقدان الطمأنينة الذي تشعر به خارج الوطن في حين أن معظم عائلتها وأهلها مازالوا يقيمون ويعيشون في الضفة الغربية من الأرض المحتلة. وتكتب لكي تدرب البصر والبصيرة على كل ما يمر بها وما شهدته. عام 1967م رأت الحرب اللا متكافئة بين شعب منزوع السلاح، مقهور، وضعيف وبين إسرائيل المتراس العسكري المسلح. عام 1970م شاهدت أيلول الأسود في عمان ، ورأت حرائق القذائف تجتاح المخيمات والتجمعات الفلسطينية. عام 1973م رأت هجموم السلطة اللبنانية على المخيمات في لبنان، وبعدها نشوب الحرب الأهلية، وما نتج عنها. عملت لعدة سنوات كمتطوعة للعمل الاجتماعي الثقافي مع النساء الفلسطينيات في مخيمي صبرا وشاتيلا. وهذا ما جعلها تلمس عن قرب الآثار الخطيرة للحرب على النساء والأطفال خاصة في غياب الوطن والحد الأدنى من مقومات الحياة الكريمة. كما أن عملها كصحافية أتاح لها تلمس أضرار النزوح والإبعاد عن قرب لعشرات

[8]. روبرت ب. كامبل: أعلام الأدب العربي المعاصر سير وسير ذاتية، ص 293.

الشخصيات التي التقت بها. لذا تكتب. عليها أن تكتب. إن التعبير عما ترى وتشهد هو الهدف الأسمى لهذه الكتابة. ما يهمها بشكل خاص هو وضع المرأة الفلسطينية في المنفى، وعلاقتها بالعالم الجديد خارجا. تحاول رصد مسألة التهجير، القضية الوطنية والانتماء، العلاقات الإنسانية والحفاظ على التراث الفلسطيني وسط هذه الآلام والصعوبات جميعها. تدور روايتها بوصلة من أجل عباد الشمس. ومجموعة قصصها قصص الحب والملاحقة، شرفة على الفاكهاني وهي تريد النهاد حول معاناة النساء والمنفيين، ومحاولتهم للحفاظ على ذاكرتهم المرتبطة بالوطن والانتماء.[9]

كان ولد ليانة بدر عالم فلك عربي معروف. علّمها والدها أنها تنتمي إلى حضارة عربية عظيمة. وأعطاها الدرس الأول من أسماء النجوم العربية القديمة لما سيلازمها فيما بعد من إحساس بقيمة الحضارة العربية أثناء نهضتها قبل قرون. يتجلى هذا على المستوى الإبداعي في البحث عن أصالة وجذور تخص روحهم ومفاهيمهم في منطقة الشرق الأوسط. وإنها علمت أيضا أن الأدب لن يعكس الحياة انعكاسا شفافا ولن يصورها تصويرا حقيقيا إلا إذا انغرس عميقا في الوجدان الجماعي للشعب الذي يريد التعبير عنه. لذا نجدها تهتم بكل ما يعبر عن شعبي من الغناء والفنون والرسم والتطريز والأمثال الشعبية أو الحكايات الفولكلورية. تهتم بملاحقة الإصدارات الروائية العالمية باهتمام كبير سواء لأوروبا، أمريكا الشمالية، أم اللاتينية، وتطالع الأعمال الجديدة في حقل علم النفس، كما تلاحق الإنتاجات

[9]. روبرت ب. كامبل: أعلام الأدب العربي المعاصر سير وسير ذاتية، ص س294.

السينمائية بمختلف ألوانها وأنواعها، إذ أن السينما هي توأم الرواية، وتتابع بدأب ما يكتب عن المسألة النسوية على المستوى العربي والعالمي. هي تشعر بحماس لقصص الأطفال فمع أنها كتبت بعضا منها ونشرته، إلا أنها لم تفقد ذلك الولع الطفولي المرافق للاطلاع عليها، وتقييم مستواها وقدرتها على الإيصال. بين الحين والحين، وإذا يطفح القلب بالحنين والنوستالجيا، تكتب نصوصا شعرية، لكن جهدها الأساسي مركّز على إنتاج القصة والرواية.[10]

ليانة بدر روائية وقاصة:

تعد ليانة بدر صوتاً قصصياً وروائياً فلسطينياً بارزاً، صدر لها العديد من الروايات وهي بوصلة من أجل عباد الشمس (1979م) و عين المرآة (1991م) ونجوم أريحا (1993م) كما صدرت لها عدّة مجموعات قصصية وهي: قصص الحب والملاحقة (1983م) وشرفة على الفاكهاني (1983م) وأنا أريد النهار (1985م) وجحيم ذهبي (1991م) وقد تُرجمت قصصها إلى العديد من اللغات. وبجانبها أنها تكتب قصصا للأطفال أيضا.

تم نشر أوّل قصة قصيرة لها في صحيفة الجهاد المقدسّية، ثم واصلت كتاباتها في مجالات مختلفة من القصة القصيرة والرواية والمقال وقصص الأطفال والشعر. وبالإضافة إلى الأعمال الروائية قد اهتمت اهتماما بالغا بالإنتاجات السينمائية وأخرجت عددًا من الأفلام الوثائقّية. قد سبق أن ذكرت أن الكاتبة ليانة بدر تنقّلت في عدة مدن، وهي: القدس وأريحا وعمان وبيروت ودمشق وتونس ورام

[10] روبرت ب. كامبل: أعلام الأدب العربي المعاصر سير وسير ذاتية، ص 294.

الله. وهي تعيش الآن في رام الله منذ عام 1994م. حياتها كانت غير مستقرة. فلا بد من تتأثر بذلك إنتاجاتها الأدبية والإبداعية. ودراسة أعمال ليانة بدر الروائية تكشف لنا عن حياتها غير المستقلة وأثرها في كتاباتها. ولذلك ظلّ الهّم الفلسطيني شغلها الشاغل في رواياتها ولا يعني ذلك أنها غادرت همها الخاص (قضية المرأة). إنها نجحت في مزج الهمين معا في كتاباتها، ومعالجتهما بصورة مقنعة. وفي جانب آخر نجد أن ليانة بدر تعتني باللغة الشاعرية في رواياتهاالتي تُولد الحس المرهف وتزيد من روعة اللغة والفكرة. كما لاحظنا تلك اللغة في روايتها الأولى بوصلة من أجل عّباد الشمس.

ولو وقفنا عند روايتها الثانية نجوم أريحا لوجدنا ذلك الحس المرهف بسبب لغتها الشاعرية. فالرواية تتحدث عن الوطن الفلسطيني من موقع المنفى، ولكن لا تتحدّث عن المنفى إلا إذا مست الحاجة إلى ذلك في إثارة الشوق واللهفة الى الوطن. وتدور قصة الرواية حول مدينة أريحا وجغرافيتها وبشرها وأنماط الحياة والسلوك فيها مع ذكر الطبيعة والطقس والنبات. وبواسطة هذه الأشياء تعبر الكاتبة عن تطلّعاتها وأشواقها وآمالها وحاجتها إلى الوطن بأسلوب شيق ومتميز.

وإلى جانب تصوير مدينة أريحا بأشجارها وناسها وبيوتها وشوارعها وأماكنها المختلفة، قد حفلت الرواية بعدد من المشاهد الرائعة، واللمحات الطيبة التي زادتها رونقا وبهاء. وكذلك تتجلى ثقافة الكاتبة في الرواية بشكل ملائم ما جعل الرواية مشتملة على بعد معرفي إلى جانب مستواها الفني المتقدم. ومن سمات روايات

ليانة بدر أنها تحتفي بالأماكن بشكل بارز ما يتطلب من القراء بذل جهد للوقوف على تفاصيلها للحصول على متعة القراءة بصورة جيدة.

وعندما تكتب ليانة بدر القصص للأطفال فهي أيضا لا تخلو من الاحتفاء بالمكان. بل يكون حضور المكان فيها بشكل ملموس. وأبرز مثال على ذلك كتابها رحلة الطير الجميل، وهو مهتم بالاحتفاء بمدينة أريحا بما تشتمل عليه من روعة العمارة الجميلة، ومنجزات حضارية رائعة، وطيور متلونة، ونباتات طبيعية. ويضاف إلى ذلك أنه كُتب بلغة سهلة وجميلة ويحمل في طيه المشاعر والإيحاءات. ومن أجل الحصول على هدف الاحتفاء بمدينة أريحا، فقد اختارت الكاتبة بداية ملائمة للقصة من خلال الطفلين حسن وليلى. حسن يقيم في القدس وهو ذاهب إلى مدينة أريحا مع أبيه وأمه وأخويه الكبيرين. وهو يذهب ليستطيع أن يلعب مع ابنة عمّه ليلى ألعابا مختلفة. وأثناء تلك القصة يأتي ذكر البستان الكبير، والطقس الجميل، ومنظر أشعّة شمس أريحا ولونها البرتقالي، ومنظر أشعّة القمر ولونها الفضّي وما إلى ذلك من المناظر الطبيعية الجميلة.

"ولكي تتموضع الكاتبة مكانها الفلسطيني في إطار أكثر شمولاً، فإنها تدع لبطلة قصتها أن تنظر إلى القمر لتسبغ عليه أوصافا حسية، ولذلك تلجأ إلى استخدام الفعل المضارع لإعطاء المشهد صفة راهنة، فكأن القمر موجود أمام عيوننا الآن. ثم تنتقل عبر الفعل المضارع أيضًا للتعبير عن لهفة حسن لزيارة أ ريحا، هذه الزيارة التي تعني له الذهاب إلى قصر هشام للتفرّج على الأرضيّة الملّونة من الفسيفساء، حيث تبدو شجرة برتقال محمّلة بالثمار، وحولها الغزلان التي

تطاردها الحيوانات المفترسة، وحيث النجمة المنتصبة في باحة القصر. وهنا تعيدنا الكاتبة إلى الإطار الأكثر شمولاً حينما تفاجئنا بالقول إن ليلى "تحبّ النجوم الساطعة في سماء ليل أريحا أكثر" من حبّها لنجمة القصر."[11]

وكذلك نلاحظ أن ليانة بدر اهتمت بالحيوان وبالقيم التربوية الحديثة في القصص الأخرى التي كتبتها للأطفال. كما نجد في قصة 'قطة لا تقول نياو' أن ليانة بدر تقدّم درسا أخلاقيا وتربويا. وتحث فيه الأطفال على معاملة الرفق بالحيوان وعلى أن يستعملوا "لا" إذا لم يحبّوا ما يفرض عليهم من خلال قصة القطة التي لا تستطيع ممارسة الاحتجاج بأن تقول لا، ولو تعرضت للمصيبة والأذى. فالقطة التي اقتناها عمّار وهند اختفت يوما. فخافت هند وعمار أن قطتهما تعرّضت لأذى إذ لا تستطيع التعبير عما يجول في قلبها، ولا تستطيع أن تمارس حقها في رفض الأشياء التي لا تحبها بينما يستطيع عمّار وهند أن يرفض كل مالا يحبه. ففي القصة درس أخلاقي للأطفال بأن يعاملوا معاملة حسنة مع الحيوان الذي لا يملك القدرة على الاحتجاج مثل الإنسان.

مثلما يتسم حسن المعاملة والرفق بالحيوان بأهمية كبرى في تربية الأطفال، "فإنّ علاقة إيجابية مع الطبيعة لها أثرها الفعّال كذلك. ويسهم التمتع بجمال الطبيعة والحفاظ على البيئة وتوفير كل الظروف التي تعطينا مكاناً نظيفاً، في خلق جيل من الأطفال القادرين على حبّ الحياة وعلى التسامح، البعيدين من نزعات العنف والحقد والكراهية داخل المجتمع الواحد. وضمن هذا السياق نتأمل قصة

[11]. صحيفة الاتحاد/ حيفا نشر بتاريخ 8 / 9 / 2012م.

’زهرة الثلج الحمراء‘ لليانة بدر، حيث نجد أنفسنا أمام رحلة محفوفة بالمخاطر تتكلّل في نهاية المطاف بالنجاح، والرحلة هنا تذكّرنا بالرحلات التي درج على القيام بها أبطال حكاياتنا الشعبية. والقصة تخبرنا عن قرية على أطراف الصحراء، حيث تهبّ ريح صحراوية تدمّر الحقول والأشجار، وثمة من هاجروا من القرية ومن بقوا فيها مع ملاحظة أن الصحراء مكان غامض فسيح مثير للفضول، وهي لم تظهر إلا على نحو شحيح في قصصنا المكتوبة للأطفال."[12]

ففي قصة ’زهرة الثلج الحمراء‘ نجد المزارع غسّان أنها ينصح أهل القرية بإحضار زهرة الثلج الحمراء التي توجد في قلب الصحراء في واحة لإنقاذ الأرض من زحف الرمال. يختار أهل القرية أربعة من شباب القرية: القوي، الشجاع، الذكي، والعامل. يفشل ثلاثة منهم في الوصول إلى المكان المنشود بينما ينجح العامل يوسف في الوصول إليه والاتيان بزهرة الثلج الحمراء التي تعيد الخضرة والحياة إلى القرية. فالسوال الذي يتبادر إلى الذهن هو لماذا نجح يوسف في مهمته الصعبة فيما أخفق الثلاثة الآخرون في إنجازها. فالنقطة التي تريد الكاتبة الإشارة إليها هي أن العامل يوسف على علاقة دائمة بالأرض وبالزراعة وبالعمل، وإنه كان يريد خدمة أهل القرية والناس ولا يهدف إلى تحقيق مجد شخصي كما كان يريد الآخرون. فكانت الرغبة في خدمة الناس محفزة في التغلب على المشاكل والصعوبات.[13]

---

[12]. صحيفة الاتحاد/ حيفا نشر بتاريخ 8 / 9 / 2012م نقلا عن موقع محمود شقير الشخصي.

[13]. المصدر السابق.

ولليانة بدر قصة أخرى وهي باسم القطة الصغيرة. تحتفي هذه القصة أيضا بالطبيعة ومظاهرها. ففي القصة قطة صغيرة كما يبدو من عنوان القصة. إذا رأت القطة الشمس فرحت في قلبه وكانت تريد أن تقبض على جزء من نورها. ولكن الشمس بعيدة لم تستطع الوصول إليها. مرة هي وجدت فحما مشتعلا في مدفأة البيت واعتقدت أن هذا الفحم المشتعل جزء من الشمس أو شموس صغيرة. وقبضت على قطعة فحم من المدفأة فاحترقت يدها الناعمة ففهمت القطة بأن الشمس حارة لا يستطيع أحد أن يقبض عليها.

ومن القصص التي كتبتها ليانة بدر للأطفال قصة بعنون "قطة لا تقول نياو"، غير أن نقادا يعتقدون أن القصة لم توفق في نقل ما تريد للأطفال، ويقول الناقد جمال السحلوت في موقعه الشخصي بأنه قرأ هذه القصة ثلاث مرات وبعد ذلك أعطاها لطفل وطفلة في الرابعة عشرة من عمرهما ولكنهما لم يفهما شيئا بعد قراءتها. وبعد ذلك أعطاها لولدين في الثامنة عشرة من عمرهما، ولكنهما أيضا لم يفهماها. وهولاء الأبعة في المراحل الابتدائية في التحصيل الدراسي، وهم من الأطفال الذين يطالعون قصص الأطفال. فالناقد يطرح سؤالا جدّيا على الكاتبات والكتاب الذين يكتبون للأطفال. وهو لأي عمر يكتبون؟ وما الفائدة من الكتابة إذا لم يفهم الأطفال الذين وجّهت الكتابة إليهم.[14]

وكذلك نجد أن ليانة بدر لم تعط اللغة في هذه القصة العناية المطلوبة في قصص الأطفال. كما نجد في موضع من المواضع في القصة حيث تقول: 'صار

[14]. موقع الكاتب جميل السلحوت، تحت عنوان " قطة لا تقول".

للقطة اسم، وفناء منزل، وطفلان يعطفان عليها'. إن القراءة العابرة للجملة تفيد أن "طفلان" ابنان للقطة مع أن الكاتبة تعني بذلك مالكين للقطة.

ليانة بدر شاعرة:

اشتهرت ليانة بدر أولا كروائّية وكاتبة قصّة. ولكنها أثبتت نفسها كشاعرة أيضا مع إصدار مجموعة شعرية زنابق الضوء، وهي صدرت عن دار شرقّيات للنشر والتوزيع القاهرّية في عام 1998م. فالسوال الذي يتبادر إلى الذهن في هذا الصدد هو: لماذا انتظرت ليانة بدر كل هذا الوقت قبل أن تنشر مجموعتها الشعرية؟ تذكّر الأديبة الفلسطينّية بمقولة ريلكه "تستلزم كتابة بضعة أبيات من الشعر عمرا بكامله". فكان الشعر جزءا لازما من إنتاجات ليانة بدر الإبداعّية، وكانت تكافح ضدّه أثناء إنتاج الأعمال النثرية، وتطرده من أن يدخل النصوص النثرية. وقد أشارت ليانة بدر إلى ذلك بأنها كانت تحس اشتباك الشعر داخل كتابتها الروائّية عندما كانت تكتب روايتها الأولى بوصلة من أجل عّباد الشمس إذ كان المناخ الشعري متلائما مع تلك الفترة الرومانسّية للثورة الفلسطينّية ولكنها ما لبثت أن شعرت بضرورة تنقية النصّ النثري من النص الشعري. فهي ظلت تكتب الشعر في الخفية للتغلب على الرغبة الدفينة ولتحرير الرواية من وطأة المشاعر الشعرية. هكذا تجّمعت لديها قصائد عديدة منذ الثمانينات من القرن العشرين. هذا ما أدى إلى صدور هذا الديوان الشعري القيم باسم زنابق الضوء.

ثم نشرت ليانة بدر مجموعة شعرية ثانية باسم زمن الليل. وتم نشرها عن دار الساقى للطباعة والنشر في حين يقام معرض الكتاب في بيروت عام 2008م.

ورد الكتاب في 175 صفحة متوسطة القطع ويحمل حوالي 80 قصيدة متوزعة على ستة أبواب رئيسية. وإن هذه المجموعة تصور هموم الفلسطينيين ومعاناتهم كما يشير عنوانها إلى ذلك. فتذهب قصائد المجموعة بالقارئ إلى عالم مليئ بالحزن والأسى وأنواع من المعاناة.

أعمالها الإبداعية في سطور:

الروايات:

- بوصلة من أجل عباد الشمس عام 1979م
- عين المرآة عام 1991م
- نجوم أريحا عام 1993م

مجموعات قصصية:

- قصص الحب والمطاردة عام 1983م
- شرفة على الفاكهاني عام 1983م
- أنا أريد النهار عام 1985م
- جحيم ذهني عام 1992م

ترجمت العديد من قصصها القصيرة إلى الفرنسية والهولندية والألمانية والبولندية والإنجليزية.

دواوين شعرية:

- زنابق الضوء عام 1998م
- زمن الليل عام 2008م

قصص الأطفال:

- رحلة في الألوان – بيروت – 1980م.
- فراس يصنع بحراً – بيروت – 1980م.
- في المدرسة – بيروت 1983م.
- القطة الصغيرة – بيروت – 1983م.
- طيارة يونس – القاهرة- 1990م.
- حكاية البنفسج – مسرحية للأطفال مثلت ست مرات

بالإضافة إلى هذه الأعمال الأدبية لها إسهامات في في مجالي الإخراج والإنتاج السينمائي. وهيأخرجت فيلماً تسجيلياً عن حياة الشاعرة فدوى طوقان.

الفصل الرابع

ليلى الأطرش: حياتها وآثارها

نبذة عن حياتها:

فتحت ليلى الأطرش عينيها في بيت ساحور، وأكملت الليسانس في اللغة العربية عام 1969م من جامعة بيروت العربية، وحصلت على الدبلوم في اللغة الفرنسية عام 1982م من معهد اللغات، كما حصلت على ليسانس الحقوق من جامعة بيروت العربية عام 1995م. ونجد أن لديها العديد من الدورات في إنتاج البرامج وإعدادها وتحرير الأخبار، وإنها شاركت في عدد من الدورات والمؤتمرات حول برامج التلفزيون وقضايا المرأة، وهي فازت بجائزتين للبرامج الثقافية، ولها شهادة تقدير خاصة لبرامج (بقعة ضوء)، عن عميد الأدب طه حسين، وجائزة فضية من برنامج (فكر وفن) عن حلقة عرار شاعر الأردن.[15]

أما حياتها في مجال العمل فهي بدأت بممارسة الكتابة الصحفية، في البداية كانت تكتب عمودا في الصحف الأردنية، ثم أصبحت مسؤولة التحقيقات في جريدة الجهاد المقدسية من عام 1965م إلى عام 1967م، وكذلك ظلت مسؤولة التحقيقات وصفحة الأسرة في الدستور الأردنية بين عامي (1967م-1969م)، بالإضافة لإشرافها على الصفحات الثقافية والاجتماعية في جريدتي الجهاد والدستور، إنها عملت في جريدة الخليج اليوم القطرية (الشرق حاليا). كما عملت

[15]. غادة إسماعيل محمد تيم: شخصية المرأة في أدب ليلى الأطرش الروائي، ص 5.

كمعدة لبرامج إذاعة قطر (1970م-1972م)، معدة ومذيعة للبرامج الثقافية في تلفزيون قطر (قناة قطر الفضائية).[16]

وممارستها في العمل الإعلامي تشمل المكتوب والمسموع والمرئي. وإنها تخصصت أيضا في التلفزيون بدورات مكثفة، وقامت بإعداد وتقديم برامج عديدة، تسجيلية وثقافية واجتماعية وسياسية وحوارية مباشرة، وقابلت رموز السياسة والأدب والفن في مواقعهم، وفازت بجوائز وشهادات تقدير في مهرجانات الإذاعة والتلفزيون في مدن عربية متعددة مثل دمشق والقاهرة وتونس والبحرين، وكذلك تمت إذاعة بعض برامجها من المحطات العربية العديدة. وتم تكريمها في المنتديات الثقافية العربية والجامعات في البلدان العربية المتعددة منها: المغرب والجزائر وتونس والأردن ولبنان وفلسطين. ترجمت بعض رواياتها وقصصها القصيرة ومقالاتها إلى عدة لغات أجنبية وهي: الإنجليزية والإيطالية والعبرية والفرنسية والألمانية والكورية، وقرر بعضها في جامعات أردنية وعربية وأمريكية وفرنسية، وقدم عنها عدد من الباحثين رسائل جامعية في مختلف الجامعات. وحوِّل عدد من أعمالها إلى مسلسلات إذاعية.[17]

والجدير بالذكر أن ليلى الأطرش تركت أثرا ملموسا في المجتمع العربي بأعمالها الأدبية والإبداعية حتى جاء اسمها ضمن قلة من الكاتبات العربيات اللواتي اختارتها الأمم المتحدة في تقرير التنمية الإنسانية العربية الرابع عن المرأة.

---

[16]. المصدر السابق 5.

[17]. موقع وزارة الثقافة الأردنية تحت عنوان "ليلى الأطرش".

وكذلك اعتبُرت واحدة من أنجح 60 امرأة في البلدان العربية حسب ما جاء في مجلة سيدتي الصادرة بالإنجليزية عدد ديسمبر 2008م.

إنها شاركت في عدد من الندوات والمؤتمرات الأدبية والإعلامية محليا ودوليا. وتكتب باستمرار مقالا أسبوعيا في جريدة الدستور الأردنية منذ 2000م، وكذلك كتبت مقالا ثقافيا شهريا في مجلة عمان. وكانت عضو الهيئة الاستشارية فيها 2004م- 2008م.[18]

ليلى الأطرش كاتبة وروائية:

إن ليلى الأطرش فرضت حضورها على الساحة الأدبية ككاتبة ناجحة وروائية بارزة، وحظيت كتاباتها باهتمام الكتاب والنقاد لما تحمل في طيها من جدة وجرأة وخصوصية، وتسجل جوانب مهمة من حياة الشعب العربى الفلسطيني، وتعالج قضايا اجتماعية وسياسية ونسوئية.

اشتهرت ليلى الأطرش أولا في مجال الصحافة والإعلام. فهي عملت كمذيعة في التلفزيون في وقت مبكر نسبيا، ونشرت مقالاتها وقصصها القصيرة في مختلف الصحف والمجلات، ولم تظهر أعمالها الروائية إلا عام 1988م، عندما صدرت روايتها الأولى وتشرق غربا مع أنها ولدت عام 1945م. يعني نالت ليلى الأطرش شهرتها الصحفية والإعلامية والتلفزية قبل شهرتها الأدبية والروائية. ولكنها احتلت مكانة مرموقة في مجال الأدب والرواية بعد صدور رواياتها.

[18] المصدر السابق.

إن الروائيـة الجـادة ليلـى الأطـرش اسـتخدمت تجربتهـا الطويلـة فـي مجـال الصـحافة والإعـلام فـي كتابـة الروايـات. فنظـرة علـى رواياتهـا تشـير إلـى خبراتهـا العلميـة والعمليـة واطلاعهـا الواسـع علـى القضـايا العربيـة والدوليـة. فهـي عالجـت القضايا الجديدة في الروايات العربية إذ كسرت الثالوث المحرم في معظم رواياتها، الـديني والجنسـي والسياسـي. قامـت بإثـارة قضـايا غيـر مسـبوقة واخترقـت التابوهـات الجنسية ولكن بدون هبوط. وهي تناولت القضايا السياسية والاجتماعية مثل قضايا الحرب والتقاليد الاجتماعية السلبية، وقضية التمييز والاختلافات الدينية، والحقوق الإنسانية، والثقافات الشرقية والغربية. أما قضية المرأة فقد برزت بشكل أساسي في معظـم أعمالهـا الروائيـة. قـد اسـتخدمت نمـاذج مختلفـة لتصـوير حيـاة المـرأة فـي المجتمع العربي الفلسطيني. وعكست معاناة المرأة الفلسطينية من خلال عدد من بطلاتها الروائية بسبب التمييز الذي يمارس ضد المرأة في مجالات مختلفة.

وقد أنتجت ليلى الأطرش حتى الآن عدة روايات يمكن ترتيبها على الوجه التالي:

- وتشرق غربا (1988م)
- امرأة للفصول الخمسة (1990م)
- ليلتان وظل امرأة (1996م)
- صهيل المسافات (2000م)
- مرافئ الوهم (2005م)
- رغبات ذاك الخريف (2009م)

- أبناء الريح (2012م)
- ترانيم الغواية (2015م)

أما الموضوع في روايات ليلى الأطرش فهو الهم الوطني العربي عامة والفلسطيني خاصة. ومن الروايات التي اهتمت اهتماما بالغا بهذين الهمين هي: وتشرق غربا، وامرأة الفصول الخمسة، ورغبات ذاك الخريف. أما روايتها 'وتشرق غربا' فيتجلى فيها التاريخ الاجتماعي والأمكنة الفلسطينية الحقيقية مثل القدس وبيت حنينا وبيت ساحور ورام الله وبيت لحم. بينما تدور أحداث الرواية في قرية متخيلة باسم بيت أمان. ويوجد في هذه الرواية تشابك الهم الخاص مع الهم العام في قصة حب بين فتاة مسيحية وطبيب مسلم. أما روايتها الثانية امرأة للفصول الخمسة فهي تعتبر كرواية نسوية بشكل أساسي. وقد كتبتها ليلى الأطرش بعد دراسات موسعة ودقيقة للفلسطينيين الذين يقيمون ويعيشون في الشتات.

وفي رواية رغبات ذاك الخريف ترصد الكاتبة أزمات المجتمع العربي بصورة عامة، بما فيها قضية اللاجئين الفلسطينيين وحق العودة لهم. وفي رواية نساء على المفارق ترصد الكاتبة مأساة المرأة في مجتمع مقيد. وفي رواية ليلتان وظل امرأة نلتقي بقضايا واقعية عديدة، هي: التحيّز ضد المرأة، الهجرة، المنفى، وحرصُ المرأة على تحقيق الذات بواسطة التعلّم. ورواية أبناء الريح تلقي الضوء على المسحوقين والمهمشين من المجتمع وما إلى ذلك من القضايا التي تتعلق بالوطن العربي أو الفلسطيني أو المرأة.

آثارها وإنجازاتها في سطور:

الروايات:

- وتشرق غربا (1988م)
- امرأة للفصول الخمسة (1990م)
- ليلتان وظل امرأة (1996م)
- صهيل المسافات (2000م)
- مرافئ الوهم (2005م)
- رغبات ذاك الخريف (2009م)
- نساء على المفارق- مذكرات شخصية (2009 م)
- أبناء الريح (2012م)
- ترانيم الغواية (2015م)

القصص:

- يوم عادي وقصص أخرى (1991م)

العضويات:

- رئيسة ومؤسسة رابطة القلم الدولية فرع الأردن - PEN JORDAN للدفاع عن حرية التعبير والرأي.
- عضوة هيئة تحرير مجلة عمان الثقافية من 2005م-2011م.
- عضوة مجلس إدارة وكالة الأنباء الأردنية بترا.

- عضوة اللجنة الوطنية العليا لـ"مكتبة الأسرة" وبرنامج "القراءة للجميع" – وزارة الثقافة – 2007م- 2009م ورئيسة اللجنة الإعلامية فيه 2007م و2008م.
- عضوة اللجنة الوطنية للمؤتمر الوطني الأول، والناطقة الرسمية باسمه، وعضوة المجلس الأعلى للثقافة والناطقة الرسمية باسمه 2005م-2007م.
- عضوة منتدى الفكر العربي.
- عضوة رابطة الكتاب الأردنيين.
- عضوة اتحاد الكتاب العرب.

الجوائز والتقديرات:

- "فازت بجائزة أحسن رواية أردنية لعام 2010م لروايتها رغبات ذاك الخريف، وجوائز عديدة في مهرجانات التلفزيون العربية في القاهرة ودمشق والبحرين وتونس، وشهادات تقديرية لحلقات تسجيلية عن طه حسين، والأخطل الصغير، وعرار شاعر الأردن، والعقاد، ونجيب محفوظ، وشهادات تقديرية عن حلقة اليهود في المغرب- التسامح الديني، وكرمت في المنتديات الثقافية العربية في المغرب والجزائر وتونس والأردن وبيت لحم.
- شاركت في كثير من المؤتمرات والندوات الأدبية والإعلامية في الدول العربية وخارجها، و شاركت في المنتديات حول المرأة وحقوق الإنسان.
- تنشر مقالات في الجرائد والمجلات العربية منها: جريدة الدستور ومجلة عمان الثقافية وغيرها من المجلات العربية.

- ترجمت بعض رواياتها وقصصها القصيرة ومقالاتها إلى عدة لغات كالإنجليزية والفرنسية والإيطالية والكورية والألمانية والعبرية، وتم تعيين بعضها في المقررات الدراسية في جامعات عربية وأمريكية وفرنسية، وكذلك حظيت بعض كتبها بالدراسة والتحليل بالعربية والإنجليزية والإيطالية.
- تم اختيارها في تقرير التنمية الإنسانية العربية الرابع عن المرأة والصادر عن الأمم المتحدة ضمن الكاتبات العربيات اللواتي تركت أعمالهن أثرا ملموسا في المجتمع.
- قدمت محاضرات أدبية وثقافية، باللغتين العربية والإنجليزية، في الجامعات العربية الأجنبية.
- اختارتها مجلة سيدتي الصادرة بالإنجليزية لعدد ديسمبر 2008م واحدة من أنجح 60 امرأة في العالم العربي.
- حوّل عدد من أعمالها وقصصها القصيرة إلى مسلسلات إذاعية."[19]

[19]. موقع ليلى الأطرش الشخصي.

الباب الثاني

المرأة والمجتمع

هذا الباب يشتمل على ثلاثة فصول وهي كما يلي:

الفصل الأول: العلاقة بين المرأة والرجل

الفصل الثاني : المرأة والقيم الاجتماعية

الفصل الثالث: المرأة ودورها في الوطن

الفصل الأول

العلاقة بين المرأة والرجل

إن الروائيات الفلسطينيات قد صورن شتى العلاقات بين المرأة والرجل في معظم رواياتهن، والتصوير يشتمل على صور إيجابية وسلبية، وما هي إلا تعبير ذاتي عن وجهة نظر الكاتبة للواقع في المجتمع الفلسطيني. سنحاول فيما يلي استعراض العلاقة بين المرأة والرجل سواء أ كانت داخل الأسرة أم خارجها حسب ما صورتها الروائيات الفلسطينيات في رواياتهن الشهيرة بتناول مختلف جوانبها وسماتها.

العلاقة بين الأم وأولادها: تحتل الأم مكانة مرموقة في الأسرة والمجتمع وتلعب دورا بارزا في إيجاد الترابط الأسري، والإصلاح الأخلاقي، والتغيير الاجتماعي، لأن الأسرة هي الخلية الأولى، وهي نواة المجتمع، فمنها يتكون المجتمع، ومن المجتمع تتكون الأمة. فلذلك نجد أن الإسلام كرّم المرأة باعتبارها أما حتى جعل حقها أعظم من حق الأب وجعل خدمتها وسيلة لدخول الجنة كما جاء في الحديث "الجنة تحت أقدام الأمهات"[20]، وهذا ما يقرره القرآن ويكرره في أكثر من سورة ليثبته في أذهان الأبناء ونفوسهم. فلا بد من أن تحظى الأم باهتمام الكتاب والأدباء على اختلاف اتجاهاتهم وتعدد اهتماماتهم، وتشغل حيزا بارزا في نتاجهم الأدبي شعرا ونثرا.

ولذلك نجد أن "قد شغلت صورة الأم حيزا واسعا في روايات سحر خليفة حيث قدمت نماذج متعددة لها، ولم تكتف الكاتبة بتقديم الصورة النمطية للأم، وهي

[20]. رواه النسائي (2 / 54) وصححه الحاكم، ولكن ضعفه العلماء من حيث الإسناد، أما منعاه صحيح و ثابت من الأحاديث الصحيحة.

الصورة المشرفة التي تمثل التضحية والصبر والعطاء، حيث قدمت صورا سلبية للمرأة الأم، مثل: صورة إيفيت زوجة شكري في روايتها الأولى 'لم نعد جواري لكم' وصورة سكينة أم نزهة في رواية 'باب الساحة'."[21] كانت إيفيت – وهي أم لطفلين و زوجة للتاجر شكري – تعاني من فراغ الحب والعاطفة. انتهز فاروق صديق زوجها هذه الفرصة لاستغلال هذه المرأة الحالمة بالحب والعاطفة والمتعة الشخصية. واستطاع أن يجذبها إليه وأن يستغلها من خلال كلامه الخلاب وأسلوبه الجذاب إذ كان "هو خريج أكسفورد، ويعرف من مفردات اللغة ما يعجز عنه المتخصصون". وكان يكثر الحديث معها والتغزل بها حتى أصبحت إيفيت تنجذب إليه وتتعلق به أكثر فأكثر بمرور الأيام وفكرت أنها وجدت الحب الذي لم تجده أبدا من زوجها شكري بسبب انشغاله بالتجارة. ولكنها لا تستطيع أن تترك أطفالها في سبيل حبها "فقالت مجفلة: لا، لا أستطيع! تسأل (فاروق) بدهشة: لا تستطعين ماذا ؟ (قالت إيفيت) أن أترك زوجي.. وبيتي.. وأولادي، فغر فاه ولسان حاله يقول: ومن طلب منك ذلك!"[22] إذ لم يكن فاروق مخلصا في حبه لها بل استغلها حاجتها إلى الحب للوصول إلى هدفه الجنسي، وبالعكس كانت مخلصة في الحب "فقالت بسذاجة: سأظل على حبك حتى الممات، هكذا كتب علينا: أن نشقى، وأن نتعذب.. ولكن في سبيل من نحب، يهون الشقاء ويهون الألم، وفي سبيل أطفالها تهون التضحية!"[23]

---

[21]. وائل علي فالح الصمادي: صورة المرأة في روايات سحر خليفة، ص 71

[22]. سحر خليفة: لم نعد جواري لكم، ص 103.

[23]. سحر خليفة: لم نعد جواري لكم، ص 103.

ولكن إيفيت غرقت في الحب وانساقت وراء الغريزة ونسيت مسؤوليتها نحو أولادها وأطفالها حتى تحاول أن تهرب مع فاروق وتشير إليه بقولها "لِـمَ لا تهرب؟ سنذهب إلى إيطاليا أو إلى أستراليا ونعيش معا، ولن تتركني بعد ذلك، ألا تريد هذا؟"[24]. وفي نهاية الرواية تفقد إيفيت بنتها نينا غرقا في بحيرة نتيجة لإهمالها أثناء التحدث مع عشيقها فاروق[25].

وفي رواية "باب الساحة" ترتسم الصورة السلبية لسكينة أم نزهة من خلال تصرفاتها وحياتها. "تزوجت سكينة رجلا كبيرا السن وانتقلت إلى الحارة الجديدة بعد اشتراء دار عتيقة يعود تاريخها لما قبل زلزال ال27، وكانت لعائلة عريقة اشتهرت بصنع الصابون ومبشور الغسيل، وبدأت العائلة الجديدة تعيش في هذه الدار العتيقة بعد ترميم جدرانها ودهن سقفها بمادة مضادة للدلف. في البداية، وكالعادة، استقبلت الحارة الجيران الجدد بالتساؤلات والحكايات المنقولة، فالرجل كبير والمرأة صغيرة، وهو مريض وهي قوية، حلوة وشاطرة، ولها عينان زرقاوان، وانتهت الحواديت عند ذلك الحد حين لم يجدوا المزيد من الإثارة، فالمرأة مستورة محتشمة منزوية، لا تزور ولا تزار. والأطفال لا يختلفون عن باقي الأولاد إلا بالعيون الزرق والشعر الأشقر."[26]

مات هذا الرجل وترك وراءه مجموعة من الأولاد وزوجته الشابة التي لم تكن متعلمة "كان الزوج في أواخر الخمسينات، أما زوجته فما زالت في العشرينات.

---

[24]. المصدر السابق، ص 151.

[25]. المصدر السابق، ص 175.

[26]. سحر خليفة: باب الساحة، ص 37.

وحين التوى وانطوى كانت ما زالت صغيرة، وجميلة، وبناتها كفلقات الأقمار."[27] وقع عبء إعالة الأولاد على كاهل الأم سكينة بعد وفاة زوجها. فحاولت التكسب عن طريق الخياطة والتطريز ولكنها لم تفلح في ذلك إذ لم يكن يحسن هذا العمل فحاولت البحث عن وظيفة أخرى، ولكنها وقعت في النهاية في الجاسوسية والدعارة وأصبحت عميلة أثناء البحث عن ذريعة الاكتساب لإعالة أطفالها وأولادها. كما صورتها الرواية "وانشغلت عن كل ذلك بالخياطة والتطريز، ثم دق العود فالأصوات واللهجات الغريبة... فالوجوه الغريبة كانت تقف بالمرصاد، وهناك عيون وجواسيس، وهناك آذان تتسمع، وهناك دولارات وشواقل."[28] فكانت النتيجة أن قتلت سكينة "وهناك على درجات الجامع وسط الساحة ُوجدت سكينة وفي صدرها مقبض سكين."[29]

إن أم نزهة "سكينة" ضلت عن سواء السبيل بسبب الظروف والعوامل الاجتماعية والعائلية سعيا وراء لقمة العيش وإعالة الأطفال مع أن الظروف العائلية والأحوال الاجتماعية لم تستطع أن تكون مبررا لاختيار الطريقة الغير المشروعة عقلا ونقلا.

ونلتقي في نفس الرواية بصورة جديدة للأم المقموعة والمستلبة، وهي أم عزام التي ضحّت بشبابها وسعادتها من أجل إرضاء زوجها وخدمته وتنفيذ أوامره في جانب والدفاع عن أولادها في جانب آخر. وهي كثيرا ما تتعرض للضرب والقمع

---

[27]. المصدر السابق، ص 38.

[28]. المصدر السابق، ص 38.

[29]. المصدر السابق، ص 39

من زوجها لأنها تدافع عن أولادها في جميع الأحوال "قلت له ولادي مش عاطلين، أنت العاطل، وإن كان هربوا، منك هربوا، وأنا رح أهرب. صار يصيح زي المجنون ولطشني بإبريق الشأي، ولما طلع صوتي بدأ يضربني، ع وجّي ع رأسي ع ظهري ع بطني، ووين ما إجت تيجي"[30].

وتطالعنا في رواية "الصبّار" لسحر خليفة، صورة الأم البسيطة التي تحمل في طيها الحب والحنان لأطفالها وأولادها وهي أم أسامة الكرمي كما صوّرها أبو نضال نزيه في كتابه "تمرد الأنثى" قائلا: "نموذج الأم/ الزوجة التقليدية نراه في والدة أسامة الكرمي التي تحيط ابنها بالبسملات والتبركات في حله وترحاله، وترجو له الراحة والاستقرار الزوجي السعيد."[31] وهذا ما تشهد له العبارة التالية من الرواية "أمي.. وارتمى على الصدر المترع بالبركة. وقبلات وبسملات ومرحبات. وكيف الصحة وما أخباركم وماذا طبخت؟ وصرت عريسا يا أسامة والبنات الجميلات يملأن البلد. وابنة خالك نوار أصبحت منورة طويلة. شعرها أملس بدون تمليس. والشباب يلحقونها كل يوم من باب الدار حتى كلية النجاح. وكل يوم تقوم القيامة في دار خالك أبو عادل. أنت تعرف طبعه. الرجل معه حق. يخاف على عرضه."[32]

وإن أم أسامة أمية لا تعرف القراءة والكتابة ولا تهتم بالسياسة، والاحتلال، ومقاومة العدو. بل همها الوحيد هو أولادها وكرّست حياتها في سعادتهم. كما يقول

---

[30]. سحر خليفة: باب الساحة، ص 165

[31]. أبو نضال نزيه: تمرد الأنثى، ص 114.

[32] سحر خليفة: الصبار، ص 29.

أسامة "أمي لا تقرأ أو تكتب. تبصم، لا أقل ولا أكثر. أمي تبصم. معظم الأمهات يفعلن هذا، والآباء كذلك. ومسؤولية القراءة ملقاة على عاتق هذا الجيل. وهذا الجيل قوي، متوقد، صلب كالصوان، رغم قده الممشوق كعود الخيزران."[33]

وفي صباح، تتحدث أم أسامة عن كل ما حدث في غياب ابنها كما تصور لنا الرواية هذا المشهد في هذه العبارة "يسعد صباحك ويطول عمرك ويرزقك ببنت الحلال. تشرب قهوة ؟ وأحضرت القهوة وجلست متربعة على حافة فراشة. وبدأت تقص عليه حكاياتها الساذجة الأليفة. حكايات يرجع زمنها لسنتين ماضيتين. كيف رحلت من طولكرم. وكيف ودعت جارات الحي الذي عاشت فيه أكثر من ربع قرن. وكيف وقف عادل إلى جانبها كأنه أسامة. فهو الذي استأجر لها هذا المنزل. وهو الذي نقل العفش بشاحنة أحضرها من نابلس. وهو الذي لاحق معاملة لّم الشمل. وهو الذي أوصى بها البقال. والبقال دائما يسأل عن أسامة ويريد أن يتعرف به."[34] وتدعو على اليهود عند ما جاءوا يبحثون عن ابنها "أشكوكم الله يا مجرمين. ستأخذون ابني! أين ذهب ابني؟"[35] وبكت عندما جاء اليهود يبحثون عن أسامة، حيث لا تتصور أن يكون ابنها أحد المناضلين "وذرفت أم أسامة الدمع السخين... ابني، حبيبي، يا ترى أنت فين يا أسامة يا روح أمك؟ معقول تكون عملتها يا أسامة؟ معقول يا ملاك يا أمير يا ابن الأمير؟ معقول؟!"[36]

---

[33]. المصدر السابق، ص 36.

[34]. سحر خليفة: الصبار، ص 35.

[35]. المصدر السابق، ص 143.

[36]. المصدر السابق، ص 144.

فهي صورة تقليدية للأم البسيطة التي لا تتدخل في السياسة، فكل همها هو أن تزوج ابنها وترى ذريتها، فالحل حسب وجهة نظرها لا بد أن يأتي من الخارج من أمريكا أوغيرها، "لم أفرح به يا عادل يا ابني، كنت أنوي أن أزوجه من نوار، لكنه عملها وكسر قلبي."[37] وبذلك نجد أن "هذه الصورة هي نموذج للمرأة التقليدية غير المتعلمة، التي لا هم لها سوى البحث عن عروس لولدها، أما الوطن والاحتلال ومقاومة العدو فليس لها دخل فيه، فالحل لا بد أن يأتي من الخارج وليس من الداخل، ولذلك حاربت الرواية هذه الصورة النمطية للمرأة غير المتعلمة التي تبقى قابعة في البيت، وليس لها علاقة في الأمور التي تحدث خارج بيتها، فالمرأة نصف المجتمع، ويجب أن تشارك في صنع القرار."[38]

وتسلط سحر خليفة في نفس الرواية (الصّبار) الضوء على واقع البؤس الذي تعيشه الأسرة الفلسطينية وأثره العميق على الأم من خلال أم صابر. فإن الأم أحيانا تضطر إلى القساوة وسوء المعاملة لأطفالها بسبب الظروف المعيشية مع أنها تحمل في طيها الحب والحنان "كما تصرخ أم صابر في وجه طفلها، حين مد يده نحو صندوق الاسكندنيا 'أترك من أيدك هذه الفاكهة ليست لنا'، وحين أخذت البائع الحمية والشهامة والكرم، وناول الطفل بضع حبات من هذه الفاكهة المحرمة على أطفال الأرض المحتلة المسحوقين، انتحت أم صابر بالطفل جانبا، وحذّرته من أن يحكي لإخوته عما حصل، خوفا من أن يثير شهيتهم، ويزيد من شعورهم بالحرمان. ولا شك أن رؤية الأم لأولادها، وهم يكتوون بنار القهر والظلم والفاقة،

---

[37]. المصدر السابق، ص 145.

[38]. وائل علي فالح الصمادي: صورة المرأة في روايات سحر خليفة، ص 76.

وهي عاجزة عن تلبية رغباتهم الصغيرة، تخلف في نفسها جروحا فاغرة الأفواه، تأبى الالتئام."[39]

وترسم سحر خليفة في رواية "الميراث" صورة الست أميرة كصورة للأم المتعلمة المحافظة على القيم والعادات والتقاليد التي لا تقبل من ابنتها "فتنة" عملها الفاضح التي تتلقح بمستشفى هداسا وتحمل حملا صناعيا كما هي تقول: "إنها لا تعرف كيف تفاتحهم وتعلن الخبر لأن أمها، على شطارتها، موضة قديمة ومتعصبة جدا لأمور الشرف وتخاف الله. والحبل الملقح في هداسا ليس منافيا للأمرين الجليلين المذكورين فقط، بل مناف لما اعتنقته الست أميرة طول حياتها في رحاب القدس وفي سبيله أسمت ابنها عبد الناصر. فيا ويل فتنة من غضب الأم حين تعرف، فأمها عصبية مجنونة وحين تغضب تقيم القيامة وتهزّ الأرض."[40]

وتصور لنا سحر خليفة في رواية "ربيع حار" صورة أم لا تقليدية وهي أم سعاد. هي تحملت مسؤولية الأولاد بعد سجن زوجها. هي في البداية كانت ككل النساء تقبع في البيت وتقوم بالواجبات المنزلية، ولكن عندما تم سجن زوجها تغيرت حياتها كاملة إذ وقع عبء إعالة الأولاد والزوج القابع في السجن على عاتقها "وأبو الأولاد لم يورثها إلا القلق والهم والغم ومصروف الدار ومصاريفه فهذا للمحامي، وهذه مصاريف الزيارة، وهذا مصروف لدخانه وأكله وشربه حين تزوره"[41]. فهي بدأت عمل الخياطة وطوّرته فاشترت عددا من ماكينات الخياطة وقامت بتوظيف

---

[39]. حسان رشاد الشامي: المرأة في الرواية الفلسطينية، ص 75.

[40]. سحر خليفة، الميراث، ص 86.

[41]. المصدر السابق، ص 242.

مجموعة من البنات الفلسطينيات كما ذكرته الرواية بألفاظ آتية: "ابتدأ الضرب فنادوهم بالسماعات: يا أهل نابلس استعدوا، هجم اليهود. فضحكت أم سعاد وقالت للبنات: يا الله اشتغلوا، مالكم واقفين؟ كانت تريد تسليم الشغل وقبض الثمن قبل بدء الهجوم، فهي المسؤولة عن فتح البيت وهي المسؤولة عن المشغل وأجور البنات. مذ فارقها وقبع (زوجها) في السجن صارت امرأة قوية. في البداية، ككل النسوان، قبعت في البيت تطبخ وتنفخ وتحبل وتلد مثل القطط والأرانب. ففي كل سنة ولد في البطن وولد في الحضن،و ولد يلتصق بركبتها حتى طفحت أركان الدار، وما عادت تتسع لفقس جديد، فجاء اليهود ورحموها. أخذوا المحروس فقاس البيض وتركوا الدجاجة والصيصان. صاحت ناحت وشدّت الشعر ثم انتفضت وبدأت تعمل. باعت أسورة مبرومة واشترت ماكينة لحبك الصوف. ثم أخرى، ثم أخرى فامتلأت الدار بالماكينات."[42]

لو وقفنا وقفة عند الفقرة المذكورة أعلاه نجد أن هناك نقدا لاذعا للأمهات اللائي يقعدن في البيت ويقمن بأداء الواجبات المنزلية وتلدن بدون تحديد أو تنظيم. هذا وجهة نظر الكاتبة وأنقلها موضوعيا وإلا أختلف عنها جزئيا إذ يجوز للمرأة أن تعمل خارج المنزل وتسهم في بناء المجتمع وتنميته والنهوض به ما دام عملها يتسم بالبناء والعطاء وإذا كانت مجالات العمل ملائمة للمرأة وبعيدة عن الزينة والإثارة والإغراء، وتوفرت لها العوامل المناسبة التي تراعي خصوصيتها التي يدعو إليها الدين، أما تحديد النسل فلا يجوز نقلا وشرعا وفقا لقول الله تعالى: "ولا تقتلوا

[42]. سحر خليفة، ربيع حار، ص: 241-242.

أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطئا كبيرا."[43] وقول النبي صلى الله عليه وسلم " تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة."[44]

وعند ما كبر أولاد أم سعاد تركوها وسافروا إلى دول أخرى كما يضطّر الآخرون إلى ترك وطنهم فلسطين إما للدراسة أو العمل "وكبر الأولاد وذهب سعيد ليدرس في الشام وعزيز ذهب إلى المغرب، ومروان هاجر إلى أميركا، ومحمود استشهد بعملية بغور الأردن، وجميل راح وعماد راح وما بقي منهم إلا سعاد؟ وكيف إذن لا ينادونها يا أم سعاد؟"[45] "أولادها باتوا في الغربة وهو أيضا متغرب عن أمه من 3 سنوات. لو أنه يعود إلى أمه ويعود سعيد وإخوته لها، لكن الحظ، والرزق، والنصيب والمستقبل. هناك الأولاد لهم مستقبل. أما هنا، ماذا يجدون؟ ما يجده الآن ابن غزة؟"[46]

إن العبارة السابقة لا تدل إلا على أن الظروف الاجتماعية في فلسطين تجعل الأمهات مضطرات إلى إبعاد أطفالهن وأولادهن عن حنان الأمومة كما تذكرت أم سعاد أولادها المغتربين في نفسها عندما وجدت الغزاوي يشتاق لأمه "قال لها مثل الأطفال: مشتاق لأمي يا أم سعاد. فهزّت رأسها وتذكرت سعاد وسعيد وعزيز ومروان وكل الباقين. وتذكرت أيضا زلمتها خلف القضبان. لماذا يا رب تحرمنا من أحبتنا وهم أحياء؟" لماذا تشتتنا وتفرقنا وتجعلنا أرامل ويتامى ونصف

---

[43]. سورة الإسراء، الآية: 31

[44]. رواه أحمد وصححه الألباني، انظر السلسلة الصحيحة 382/5

[45]. سحر خليفة، ربيع حار، ص 242.

[46]. المصدر السابق، ص 259.

أحياء في هذه الحياة؟ قدرك يا رب، عطفك يا رب. اعف عنا. لا بد أن الناس كفروا وفجروا حتى ينالوا مثل هذا العقاب. لكن يا رب، يا رب، يا رب!"[47]

ولا تقف أمومة أم سعاد عند هذا الحد، بل تشمل أمومتها شباب الوطن فهي تعطيهم الحب والحنان والعطف والرعاية وتصبح أما شاملة و أما للجميع كما تقوم برعاية الغزاوي كما تفعل الأم لابنه الحقيقي "وضعت إصبعها على فمها وهي تحمل طبق الفاصوليا وقالت: تعال، خليه ينام. وخرجت لتجلس على الدوشك بجوار الباب وفرشت له حصيره وطراحة وقالت: نم، الدنيا ليل ولازم تنام. فهز برأسه وقال بحسرة: مين اللي ينام؟ أنا من يومين مش قادر أنام"[48].

ونلتقي في رواية "وتشرق غربا" لليلى الأطرش بصورة موحية للأم المثالية وهي مريم النجار. هي كرست حياتها في خدمة زوجها شكري، وأبنائها؛ عماد، بسام، حسام، عطاء الله، وابنتها هند. رغم أنها أمية لا تعرف القراءة والكتابة، تحب العلم وتريد أن تغرس حب العلم والعرفان في قلوب أبنائها كما أنها تركز على تعليم هند وتغيير أفكارها وتطلب من زوجها أن يحكي للأسرة قصة من الكتب التي قرأها "وتصر أمها أن تغير أفكار هند: احكي لنا قصة من الكتب التي قرأت. جملة تظل مريم النجار ترددها لزوجها كل مساء.. فهي لا تعرف القراءة ولكنها تحب الحكايات والقصص... وتحب الكتب التي يدمن زوجها قراءتها.. وكذلك كتب أولادها.. وتنقلها بحرص وحب .. وعند ما يعود شكري النجار في نهاية الأسبوع وهو يحمل كتبا جديدة يشتريها بعد أن يورّد بضاعته إلى القدس.. تمسك زوجته

---

[47]. سحر خليفة، ربيع حار، ص 257.

[48]. المصدر السابق، ص 256-257.

الكتب برفق- تقبلها تفتش فيها عن صور، وتحدق إلى الأغلفة الملونة.. وتعجز، فترتبها في زاوية الخزانة الخشبية بحب عاشق عاجز، ولا تسمح للصغار بالعبث بها، وتظل تلح على زوجها أن يخبرها بما فيها."[49]

كانت هند تحب جدتها أم شكري وتحب قصصها الجميلة عن الأتراك والثوار والانجليز وحكايتها عن المارد والغولة ولكن أمها كانت لا تريد أن تنام هند مع جدتها وتستمع إلى حكايتها عن العفاريت والغولة بل كانت تريد أن تركّز على الدراسة فقالت: "جدتك عجوز خرفة.. ليس هناك عفاريت أو غولة، لا تذهبي إليها احفظي دروسك أحسن وأكثر فائدة لك."[50] وكان همها الوحيد أن تكمل ابنتها هند دراستها قبل الزواج ولذلك كانت ضد التزويج المبكر كما تقول: "الله يقطع الناس في هذه البلدة (بيت أمان). يصرون على تزويج الفتيات صغيرات. كان الأجدى لو تعلمن ثم يتزوجن. شوفي يا هند والله العظيم لو مدّ الله في عمري فستكملين علمك مثل إخوانك وأكثر!"[51]

"من خلال هذا الحوار، وعمق شخصية الأم مريم الأمية وصبرها ودأبها، نعلم أنها تؤمن بحق الفتاة في التعليم، فهي بلا تنظير وبلا كلام كبير ترى أن العلم يحرر المرأة من مصيرها البشع المرسوم لها في مجتمع يزّوج البنات وهن صغيرات للتخلص منهن، وتتصلا من حمل أعباءهن."[52] ولذلك نرى أن مريم النجار ترفض

---

[49]. ليلى الأطرش: وتشرق غربا، ص 19.

[50]. ليلى الأطرش: وتشرق غربا، ص 30-31.

[51]. المصدر السابق، ص 34.

[52]. رشاد أبو شاور: قراءات في الأدب الفلسطيني، ص 42 نقلا عن كتاب "شخصية المرأة في أدب ليلى الأطرش" لغادة إسماعيل، ص 151

مقترح زوجها لتزويج ابنتها هند قبل إكمال دراستها وتتحداه صارخة بصوت حاد وتقف أمامه مرتجفة وتقول له: "شو يعني البنت بنته! لا بنته ولا بنت أبوه، مستعجل عليها يا أبو عماد، عندك مئة بنت، هي واحدة بس... وبصراحة مش واقفة في زوري... البنت صغيرة ولازم تتعلم مثل اخوانها."[53]

وفي موضع آخر نجد أن الأم مريم حازمة في قراراتها تجاه عائلتها ووطنها، وتخشى من الكائن الغائب (الاحتلال الصهيوني) الذي ينتزع أرضها. فهي لا تسمح بابنها بسام أن يسافر إلى أمريكا لأنها تخاف من أن يحدث به شئ من الغائب ولا تستطيع العائلة أن تتحمل ذلك، فتقول: "لا .. أنت ما بتروح.. وين تتركونا إحنا وأبوك في آخر عمرنا.. وأختك لو تجوزت بتصير لحالها.. وأرضكم ودارنا.. علشان ياخذوها أملاك غائب! ما في حدا منكم بيروح.. بيكفيني اثنين."[54]

"وبعد هزيمة 1967م، توالت الأحداث بغياب عماد وحسام في أمريكا، وإدمان الابن الأصغر عطا الله على المخدرات، واعتقال بسام بتهمة رشق الحجارة على شاحنات تحمل الجنود، والتحريض على تنظيم المقاومة، فحكم عليه بالسجن عشر سنوات، وأصبح عاجزا نتيجة التعذيب، والتحاق هند بصفوف المقاومة الوطنية، إذ تقوم بعملية نضالية من أجل الوطن، وتسجن ويحكم عليها بالسجن عشرين سنة، ويتوفى والدها شكرى قبل محاكمتها، كل تلك الأحداث الجسام

---

[53]. ليلى الأطرش: وتشرق غربا، ص 88.

[54]. ليلى الأطرش: وتشرق غربا، ص 205.

تستقبلها الأم المتفهمة الواعية بصبر وجلد... ويتضح من خلال ذلك مدى قوة شخصية الأم وتماسكها وصبرها على الشدائد."[55]

ثبت مما سبق أن ليلى الأطرش اهتمت اهتماما بالغا في تتبع الدور المهم الذي تلعب به الأم الفلسطينية داخل الأرض المحتلة. تواجه الأم الفلسطينية جميع المشاكل والصعوبات بكل صبر وصمود، وتبذل جهودها في تسليح أولادها بثروة العلم والمعرفة وتضحي نفسها لتنشئ جيلا جديدا متحليا بالعلم والوعي ومحبة الوطن.

وتصور لنا الروائية ليلى الأطرش صورة أم جميل في رواية وتشرق غربا. كانت أم جميل هاجرت مع زوجها وأولادها إلى البرازيل قبل الحرب العالمية الثانية. ولكن زوجها أبو جميل هرب من البيت خوفا من الدائنين والعدالة، فاضطرت أم جميل إلى الكسب والعمل لإعالة الأولاد. ولكنها واجهت هذه المحنة وحدها، "وقفت أم جميل وحدها في بلاد الغربة .. باعت ما لديها، عملت مع أولادها، عرفت الجوع والفقر والإهانة والعمل في مزارع الآخرين، سنوات وسنوات من العذاب والألم وهي لا تعرف عن زوجها شيئا، وأكّد بعضهم لها أنه انتحر في مكان ما."[56]

أرادت ليلى الأطرش من خلال نموذج الأم "أم جميل" أنها أم قوية صامدة واجهت جميع المشاكل والمصائب في سبيل تربية أبناءها لتنشئ رجالا صامدين في خدمة الوطن مستقبلا وظلت محافظة على كيان الأسرة حتى بعد تخاذل زوجها في

---

[55]. غادة إسماعيل: شخصية المرأة في أدب ليلى الأطرش الروائي، ص 152-153.

[56]. ليلى الأطرش: وتشرق غربا، ص 65.

الغربة وتجرعها مرارة الفقر والإفلاس. ولا تقف علاقات الأمهات بالأبناء عند هذا الحد، فالأم الفلسطينية القروية الكادحة ليست كسائر الأمهات. أمومتها تشمل شباب الوطن الواعدين، فهي تعطيهم الحب والحنان والعطف والرعاية والحماية، وتحظى منهم الاحترام والتقدير والمحبة كما في رواية "بوصلة من أجل عباد الشمس" لليانة بدر تطالعنا شخصية "سليمة الحاجة" الأم البسيطة الطيبة التي شملت بعطفها وحنانها أطفال الوطن وشبابه، من المناضلين الثوريين. "فحين اعتقل ابنها إثر حوادث أيلول مع ثلة من رفاقه، بذرت شيخوختها على أعتاب الدوائر الحكومية في عمان، طالبة الإفراج عن ابنها وعن رفاقه."[57] ونقع في الرواية نفسها على "شخصية "أم محمود" التي تتجاوز بأمومتها حدود البيت والأسرة، لتشمل أولئك الذين يعملون دون كلل أو ملل، من أجل أبناء وطنهم المنفيين في مخيمات الأسى والشقاء، فإذا بهم يلوذون بأمومتها الدافقة حين تكسرهم الغربة والوحشة، وإذا بصوتها الدافئ الحنون ينزع عنهم آلامهم وتوجساتهم، كما يتجرد الموج على الشاطئ من زبده وطحالبه."[58] على هذا النحو "كانت العلاقة بين الأم الفلسطينية وأبناء الوطن، نابضة بالحب والمودة والاحترام والصدق الإنساني. فمع الأم الفلسطينية وتحت أجنحتها الملائكية، يتحول أبناء الوطن إلى أسرة متماسكة، تنشد هدفاً سامياً هو تحرير الأرض من مغتصبيها."[59]

---

[57]. ليانة بدر: بوصلة من أجل عباد الشمس، ص 108.

[58]. ليانة بدر: بوصلة من أجل عباد الشمس، ص 85.

[59]. ينظر: حسّان رشاد: المرأة في الروية الفلسطينية، ص 26-29.

قد ثبت مما سبق من النماذج للأم الفلسطينية أن الرويات الفلسطينية النسوية لم تكتف بذكر النماذج التقليدية للأم التي تمثل الصبر والتضحية فقط بل قدمت صورا سلبية للأم أيضا لتستطيع أن تصور الحياة الواقعية في المجتمع الفلسطيني بكل أنواعها وألوانها وتبين الأسباب الدافعة وراء ذلك كله.

العلاقة بين الأب وابنته: "ترصد سحر خليفة علاقة الفتاة بأبيها منذ الطفولة في مجتمع الطبقة البرجوازية في رواية مذكرات امرأة غير واقعية وهي واحدة من الروايات الفلسطينية القليلة التي اهتمت بهذا النموذج من الآباء، ولكنها أيضا، من أبرز الروايات استيعابا لقضية المرأة العربية التي تنتمي إلى الطبقة البرجوازية، وما يؤرقها ويقض مضجعها منذ الطفولة إلى ما بعد الزواج. وقد عزت الروائية كل ذلك إلى دور الأب التقليدي والمجتمع المتخلف، فحملتهما جميعاً أزمة البطلة "عفاف" وضياعها في حمى الغربة ولجتها. صحيح أن الأب لم يكن شخصية حاضرة في الرواية، إلا أننا نراه ونسمع صوته بشكل مكثف عبر ابنته عفاف، إذ تصفه بأنه متحجر القلب، متجلد القسمات، متجهم الوجه."[60] وهذا ما تصوره الروائية بألفاظ تالية: "وكان أبي يحب الكيف. يبدو منشرحا وسعيدا حين يستمع أو يغني، وكان إحساسه ينتقل إلي. وتدريجيا، كلما كبرنا تجهم وجه الوالد وأصبح أكثر تزمتا ورصانة، وصار ينهرنا حين نفتح الراديو بحثا عن أغنية عاطفية أو مقطوعة راقصة."[61]

---

[60]. حسّان رشاد: المرأة في الروية الفلسطينية، ص 30.

[61]. سحر خليفة: مذكرات امرأة غير واقعية، ص 127.

وتصور الروائية سحر خليفة العادات الاجتماعية المتوارثة من خلال إبراز موقف والد عفاف من الصداقة القائمة بين طفلته وابن الجيران إذ الوالد رافض لمثل هذا النوع من الصداقة. فالكاتبة تشير إلى وجود القيم الاجتماعية السائدة التي تقوم على التمييز بين الجنسين. ففي الفقرة التالية تتحدث عفاف عما حدث يوم رآها والدها وهي كانت تلعب مع ابن الجيران بكل فرح وسرور. "تصاعد الإحساس حتى لم أعد أطيق الخم فاندفعت تحت المطر وبدأت أركض وأقفز وهو (ابن الجيران) يلحقني ويصيح. وأنا أضحك. وفجأة ارتطمت بوجه الوالد، كان قد أقفل سيارته، وفتح مظلته السوداء، وهو يهرول نحو الدار. نظر إلي من تحت المظلة، توقفت عن الركض والضحك، وتحت نظراته، أحسست أني أقوم بعمل مشين، فبدأت أنتفض من البرد، قال باقتضاب: عفاف! ومدّ يده فاقتربت منه دونما مقاومة ومشيت تحت المظلة السوداء وقلبي يدقّ. وكان ابن الجيران ما زال يقف تحت التفاحة العارية والماء يسيل على وجهه وشعره ملتصق بجبينه وعيناه ترمشان تحت الماء، وتحملقان."[62]

وأضافت عفاف قائلة: بأن أهلها وقف في وجه حبها البرئ وأّدى بذلك إلى موتإحساسها ومشاعرها "أحببت ولداً كان يقول بنفور (لست ولداً أنا رجل)، وكنت أضحك من هبله، وكنت أدعه يمسك بيدي فأحس بأني أمه وأخته وملاكه. وما أحسست أني وقحة. أو ربما وقحة من نوع آخر. نوع لا يخيفني بل يخيفهم، فقتلوني."[63] "لقد قتلت حين حكم على حبها واختيارها بالموت قبل أن يرى النور.

---

[62]. سحر خليفة: مذكرات امرأة غير واقعية، ص 129.

[63]. المصدر السابق، ص 25.

وبات عليها القبول بزواج معد سلفاً والقبول بواقع فرض عليها دون إرادة منها، فقاومته من الداخل، ولكنها أخفقت في تخطيه "فبقيت ممزقة بين العالم الذي ارتأته لنفسها، والعالم الذي فرض عليها. بين الحلم والواقع، فتقضي العمر موتاً بطيئاً. تعتمل في داخلها مشاعر الحب والحلم والحياة، دون أن تستطيع تحقيق ذاتها."[64]

و"ثمة مسوغات لدى الكاتبة في لجوئها إلى تعرية علاقة الأب بابنته، في الطفولة، ومرحلة الفتوة، وتصويرها لسلبية هذه العلاقة، وأثرها على طبيعة التكوين النفسي والاجتماعي والفكري للفتاة. ذلك أن من الأهداف الرئيسة التي تتوخاها الكاتبة في روايتها، كشف بعض سلبيات المجتمع التقليدي المتخلف، ونظمه الجائرة، التي تتعامل مع المرأة، بوصفها ضلعاً قاصراً. ولما كان والد عفاف، هو أحد ممثلي هذا التخلف، والمسؤول عن ضياع ابنته، كان من المنطقي أن تقف عنده الكاتبة، وهو الذي ينتمي إلى الطبقة المتوسطة سليلة الإقطاع. التي أدانتها في مجمل رواياتها. إذ نجدها في ثنائيتها (الصبار، وعباد الشمس) تسخر منها على لسان أحد أبنائها، وهو عادل الكرمي الذي يميط اللثام عن عيونها، ويعري مواقفها الجوفاء، ويكشف زيفها وتناقضاتها، وتداعياتها من الداخل، حين يتحدث عن والده الوجيه، الذي يصر على تزويج ابنته 'نوار' من الدكتور 'عزت' الذي يملك مالاً وفيرًا، ويقف الزبائن أمام عيادته كالذباب. وهو يفضله على ابن أخته

[64]. شعبان، بثينة "سحر خليفة وامرأة غير واقعية "الموقف الأدبي، عدد 212-213 1988 ص 37 نقلا عن كتاب لمرأة في الروية الفلسطينية لحسّان رشاد، ص 31.

أسامة الشاب الثوري طريد العدالة والمخابرات الإسرائيلية، كما يصفه، من غير أن يأخذ في الحسبان رأي ابنته، ومن تريد."[65]

"لقد استطاعت سحر خليفة أن تصور جانباً هاًما من العلاقة التي تربط الفتاة بأبيها، وما يميز تلك العلاقة... فوجدنا أن سليل الطبقة البرجوازية يتعامل مع ابنته في إطار مصالحه الشخصية، وفي ظل علاقات تقليدية بالية. فيبعدها عمن تحب، ويكرهها على الزواج ممن لا ترغب فيه ولا تجده كفواً لها. فلا يأخذها في الحسبان في اختيار شريك حياتها وبناء مستقبلها والزواج من الشاب الذي ترتضيه لنفسها، ويناسبها اجتماعيا وخلقيا وفكريا."[66]

نريد أن نقف هناك وقفة متأنية ونشير إلى أن الروائية سحر خليفة قد أشارت في الفقرات السابقة إلى أمرين سائدين في المجتمع العربي الفلسطيني بالنسبة للعلاقة بين الأب وابنته، الأول هو أن كثيرا من الآباء خاصة من الطبقة البرجوازية يكرهون بناتهم على الزواج من دون استشارتهن من رجال لا يرغبن فيهم ويعتبرون أن الفتاة ليس لها حق في مسألة اختيار شريك حياتها أو حتى المشاركة في الاختيار، وكل ذلك يحدث تمسكا بالعادات والتقاليد السائدة في المجتمع رغم أن الدين الإسلامي أعطى للفتاة الحق في اختيار شريك حياتها وأن يكون لها رأي في مسألة زواجها كما جاء في الأحاديث المختلفة حتى نجد في الحديث أن المرأة في بعض الأحيان كانت تطلب الزواج ممن تراه صالحا ومناسبا لها كما جاء في قصة المرأة التي عرضت نفسها على الرسول "عن أنس رضي الله عنه قال جاءت امرأة

---

[65] . حسّان رشاد: المرأة في الروية الفلسطينية، ص 31.

[66] . حسّان رشاد: المرأة في الروية الفلسطينية، ص 32.

إلى رسول الله تعرض عليه نفسها أي ليتزوجها قالت: يا رسول الله الك بي حاجة؟ فقالت بنت أنس – وكانت حاضرة – ما أقل حياءها، وا سوءتاه وا سوءتاه! فقال أنس لابنته: هي خير منك، رغبت في النبي صلى الله عليه وسلم فعرضت عليه نفسها."[67] وكذلك جاء في حديث آخر "أن وديعة بن خدام أنكح ابنته، فجاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله، إن أبي أنكحنى رجلا لم يوفقني، فأرسل إلى أبيها، فذكر ذلك، فقال لها: أنكحتها بابن عم لها كفء، ورجل صدق، فقال: استأمرتها؟ فقال: لا فردّ الرسول ذلك النكاح ولم يجزه."[68] والثاني هو أنها نقدت الوالد الذي لا يعطي ابنته حرية كاملة في إقامة الصداقة مع الولد واللعب معه خارج البيت مثل الأولاد فهذا لا أؤيده واختلف عن الكاتبة في هذه المسألة إذ الاختلاط بين النساء والرجال له آثارها السيئة، ومفاسده الواضحة، وقد حرّم الإسلام جميع الأسباب والدواعي التي تؤدي إلى الوقوع في الفاحشة واختلاط النساء بالرجال من أعظم الدواعي والمقدمات للوقوع في الفاحشة.

هذا، وقد صورت رواية 'الصبار' العلاقة بين الوالد وابنته من خلال "البطلة الرئيسية هي 'نوار الكرمي' (وهي تمثل نموذج المرأة المثقفة المحافظة على جسدها من الابتذال)، التي تحب الفدائي السجين صالح الصفدي، ولكنها تبقى صامتةً ولا تعلن حبها أمام والدها الذي يريد أن يزوجها من طبيب غني، فيثور أخوها باسل ويحثها على أن تصرح بحبها لصالح أمام والدها، وأن تعلن موقفها دون خوف، فتعترف نوار بحبها بعد موقف أخيها باسل الذي أعلن أمام الأسرة أن

---

[67]. محمد بن إسماعيل البخاري: صحيح البخاري، باب عرض المرأة نفسها على الرجل الصالح.

[68]. ينظر: المصدر السابق، باب إذا زوج ابنته و هي كارهة فنكاحه مردود.

نوار الكرمي تحب صالح الصفدي، فتقول إنها لن تتزوج إلا من صالح ولو انتظرته مئة سنة."[69] كما تعلن نوار الكرمي موقفها بكلمات تالية بعد أن وقف أخوها إلى جانبها "بلى بلى سأتزوج منه. أنا لن أتزوج إلا من صالح، ولن أرى أي رجل آخر. لا عبد ربه ولا أي عبد آخر. أنا لن أتزوج إلا من صالح حتى ولو انتظرته مئة سنة. أنا لن أتزوج من غيره. لن أتزوج أي رجل غير صالح. وبدأ العرق يتصبب من جبهة الوالد وأنفاسه المضطربة تلهث، أمسك بذراع عادل يشدها: تزوره أمام الناس؟ ماذا يقول الناس عن مملكة الكرمي، ماذا يقول الناس عني؟"[70]

العلاقة بين الإخوة والأخوات: وإذا ما اهتمت الرواية الفلسطينية النسوية بتصوير العلاقة بين الأمهات والأولاد وبين الآباء والبنات، فإنها لم تهمل رصد العلاقة بين الإخوة والأخوات.

إن العلاقة بين الإخوة والأخوات أخذت طابعا أكثر ديمقراطية وتحررا في الجيل الجديد، كما نلاحظ أن الكاتبة سحر خليفة تُتابع في ثنائية الصبار وعباد الشمس (1976م- 1980م) التطورات الطارئة على البنية الاجتماعية والمواقف الفكرية السياسية للجيل الجديد، ، وخير مثال على ذلك ما آلت إليه الطبقة البرجوازية، من تهتك وانهيار وجمود وعزلة، متمثلة بأبي عادل الكرمي الذي يحيا على أمجاد الماضي، إنه بقية البرجوازية الفلسطينية التي تتشبث بموقعها غير

[69]. غدير رضوان طوطح: المرأة في روايات سحر خليفة، ص 94.

[70]. سحر خليفة: الصبار، ص 170.

متنبهة للزمن الذي تغير ونبذها."[71] هذا التطور الذي طرأ على المفاهيم الاجتماعية في الأرض المحتلة يتجلى بصورة واضحة حيث يحاول "أبو عادل" ممارسة سلطته ليفرض الزواج على ابنته "نوار" من الدكتور عزت، فيتصدى له كل من عادل وباسل، ويقفان إلى جانب أختهما، فيقول عادل لأبيه: "دع الفتاة تدافع عن حقها في الحياة، دعها تتعلم كيف تجابه الأمور بحزم"، فهو يعبر عن احترامه لأخته – وللمرأة – ولرأيها واختيارها."[72] وعندما قال الوالد موجها القول إلى نوار: "سيحضر غدا لرؤيتك. تجلى القرف في عيني عادل لكنه لم يعلق. وواصل المضغ... أرجو أن تدافع الفتاة عن كرامتها، وإذا لم تفعل؛ فهي لا تستحق الكرامة، ولتدخل عالم الحريم غير مأسوف عليها. همس باسل في أذن نوار مشجعا: تكلمي، الآن.. الآن.. ."[73] وهو يحثها على التعبير عن رغبتها في الزواج من صالح الصفدي. وكذلك نجد أن باسل يبارك العلاقة العاطفية بين أخته نوار وصديقه صالح، فيقول لها: "أتظنين أني لا أعرف قصتكما، الجميع يعرفون، فكيف لا أعرف أنا؟ ولا تنسي بأنه لا أسرار في مدينتنا... طأطأت ولم تعلق.. قال مشجعا: صالح رجل لا كأي رجل، وهو جدير بكل التضحيات ولكن هل ستواظبين على الكتابة إليه، وزيارته بالرغم من كل الاحتمالات؟ واندفع يعلن رأيه، لو كنت مكانك لما أبقيت المسألة سرا. والمسألة ليست سرا على أية حال، فالجميع يعرفون بأمر هذه العلاقة إلا الوالد والوالدة."[74] ولا يقف باسل عند هذا الحد بل حين يرى ضعف أختها بأنها

---

[71]. ينظر: د. علي الراعي: الرواية في الوطن العربي، ص: 245 نقلا عن كتاب المرأة في روايات سحر خليفة لغدير رضوان طوطح، ص105.

[72]. غدير رضوان طوطح: المرأة في روايات سحر خليفة، ص 106.

[73]. سحر خليفة: الصبار، ص 164.

[74]. سحر خليفة: الصبار، ص 157.

لا تستطيع إظهار حبها لصالح أمام والديها، هو نفسه يعلن الحقيقة أمام والده، "وفجأة بدون مقدمات سمع نفسه يقول بصوت تقريري: نوار الكرمي تحب صالح الصفدي لكنها لا تعترف بهذا وقد وعدته بانتظاره طوال مدة سجنه، إذا استمر الاحتلال، أما إذا لم يستمر الاحتلال فستتزوجه بالرغم من كل واحد فيكم، وبالرغم من والدها قبل الجميع. وواصل بنفس اللهجة: نوار الكرمي تحب صالح الصفدي وتكتب له الرسائل، ولن تتزوج من أي رجل سواه.. وصاحت نوار وهي تهب واقفة: بلى سأتزوج منه، أنا لن أتزوج إلا من صالح حتى ولو انتظرته مئة سنة."[75]

إني أريد أن أعقب على النقطة التي تشير إليها سحر خليفة في العبارة المذكورة وهي أن الفتاة تصر على الزواج ممن تحبه بدون موافقة والدها. لا ريب في أن الفتاة لها حق في اختيار الزوج عقلا ونقلا ولكن لا يجوز لها الإصرار على الزواج بدون موافقة والدها.

العلاقات بين الأزواج: إن الرواية الفلسطينية النسوية قد عالجت العلاقة الزوجية بصورة إيجابية وسلبية فنجد أن علاقة تتسم بالجودة والحب والألفة وثانية تتصف بالتنافر والجفاء. ويرى الباحث في الرواية الفلسطينية النسوية أن العلاقة الزوجية لم تحظ باهتمام كبير بالنسبة لعلاقة الأم بالأولاد. و"السبب في ذلك يعود إلى أن الأسرة الفلسطينية، منذ ما قبل النكبة وما بعدها، لم يقدر لها أن تعيش بسلام، فالانتداب البريطاني، ومن ثم الاستيطان الصهيوني، وما جر ذلك من ويلات وفجائع، حتّما على الأزواج أو رجال فلسطين الحقيقيين، حمل السلاح للدفاع عن

[75]. المصدر السابق، ص 167-168.

حياتهم وأرضهم وشعبهم. فكان أن استشهد الكثيرون مخلفين وراءهم ثكالى ويتامى، مما حتم على الأم الفلسطينية القيام بواجب إضافي هو الأبوة."[76]

فنجد أن الروائية سحر خليفة "حاولت في ثنائيتها (الصبار وعباد الشمس) أن ترسم لوحة واقعية للأسرة الفلسطينية داخل الأرض المحتلة ممثلة في سعدية وزوجها زهدي وأولادهما، أسرة يسودها الحب والتفاهم والإخلاص والتعاون، على الرغم مما تعانيه هذه الأسرة، وسواها من الأسر، من ظروف بالغة القسوة نتيجة للسياسة القمعية اللاإنسانية التي تتبعها قوات الاحتلال. ويأبى واقع الاحتلال إلا أن يضع بصماته على هذه الأسرة، وكل الأسر الفلسطينية. إذ يجد الزوج نفسه في السجن، بسبب ضربه للعامل الإسرائيلي (شلومو) الذي استفزه وأهانه. وتعاني الزوجة والأولاد، مرارة غياب رب الأسرة، ويعاني هو بدوره، صعوبة الفراق، وقساوة الحياة في زنزانة البؤس والشقاء."[77] كما يحلم زهدي الخروج من السجن إلى "عالم الحرية والناس والشوارع المتوترة بالحياة والحركة، والشجر و نوار أيار. و رائحة العشب الساخن وأشعة الشمس تحتضن الوجود."[78] ويتحقق حلمه هذا بإطلاق سراحه فهو يتوجه إلى البيت وقلبه يضرب، يدفع الباب بقدمه ويدخل "وكانت سعدية تشق الباب وتنادي: مين؟ دفع باب الحمام والتحم بالجسم الساخن المبلل بالماء. وشهقت سعدية، وبكت، وتأملت وجه زوجها من خلال سحابات البخار والرعب مرسوم على وجهها الملفوح بسخونة الحمام وحرارة الانفعال.. وأخذ يقبل

---

[76]. حسّان رشاد: المرأة في الروية الفلسطينية، ص 41-42.

[77]. المصدر السابق، ص 46-47.

[78]. سحر خليفة: الصبار، ص 146.

اللحم الساخن، ويغرز أنفه في عبير الصابون، وأمواج الأنوثة. دعيني أنسى.. حلمت كثيرًا، حلمت، حلمت، لكني لم أحلم بلقاء أسخى وأكرم"[79].

وتصور لنا سحر خليفة العلاقة الزوجية المتوترة في روايتها "مذكرات امرأة غير واقعية" من خلال بطلتها الرئيسية "عفاف" التي أكرهت على الزواج من رجل لا ترغب فيه دون استشارتها فهي تقول: "تزوجت، وتعذبت، حملت، فقدت سرّ استمراري في بيئة تعتبر النسل أهم مبرر من مبررات وجود المرأة."[80] وكانت تسأل عفاف نفسها دائما ما هو السبب الذي أوقعها مبكرا في الزواج الذي لا ترغب فيه وكانت تقول: "ما الذي أوقعني في هذا الفخ؟ ألأنني واحدة من قطيع بنات غير مرغوب فيهن، فاستغلوا أول فرصة للخلاص وتخلصوا؟ ألأنني كنت مراهقة صعبة تحلمأحلاماً كبيرة، وتقرأ كتباً كبيرة..؟ أو ربما لصغر سني واهتزازي العاطفي، وعدم ثقتي بنفسي وبتصرفاتي المدانة دوماً، كبوت ووقعت وغرقت؟"[81]

"لقد انتهت مرحلة استلابها كفتاة، لتبدأ مرحلة جديدة من الاستلاب وهي استلابها كزوجة. زوجة قبلت مرغمة بالنصيب وما استطاعت أن تقول لا، لأنه ما كان في وسعها أن تقول نعم. فغرقت في مستنقع الزوج الآسن.. وعانت في دنياه شتى صنوف القهر والذل والحرمان والوحدة القاتلة. وبسبب فقدانها لمشاعر الحب والدفء والألفة، في أسرتها، ثم في بيت زوجها، ونتيجة لظروف القهر والاستلاب التي تعانيها من جراء تبعيتها المطلقة للزوج، ولي الأمر، لجأت إلى التعويض عن

---

[79]. المصدر السابق، ص 146-147.

[80]. سحر خليفة: مذكرات امرأة غير واقعية، ص 40.

[81]. سحر خليفة: مذكرات امرأة غير واقعية، ص 18.

طريق تعلقها بقطتها عنبر."[82] وهي "قطة عفاف جميلة لأبعد حد، بيضاء منفوشة.. وكانت تغيظه تعيي حيلته فيغضب، يضربها.. فتطير، وترتطم بجدار الحمام، أسمع صوتاً مكبوتاً لفرو وعظم. أبكي سراً ثم أغافله وأحضنها، وأهمس ضربك؟ فتقول: ناو، الحيوان ضربك؟ فتقول: ناو، وأنا يضربني، وأغرس وجهي في فروتها وأبكي أكثر."[83]

فنجد أن "عفاف تعاني من اغتراب مزدوج، بينها وبين نفسها، ثم بينها وبين الناس، تعيش عفاف حياتها مع زوج لا تحبه في بلد غريب فتتضاعف غربتها ولا تجد وسيلة للتخلص من هذا الاغتراب إلا بالتشبث بالماضي/الطفولة/الحلم، ما يجعلها دائما تبدأ بالحاضر متنقلة إلى الماضي، عاجزة عن اتخاذ قرار مصيري تجاه وضع لا ترضاه، فهي تحن إلى التمرد... وتؤكد عفاف أنها تكون وحيدة أكثر حين تكون مع الآخرين الأهل والأقارب والمعارف والجيران والزوج وهذا يجعلها تتقوقع وتبحث عن صلة مع الأشياء بدل بحثها عن صلة مع البشر، وينحصر عالم عفاف في البيت، في المطبخ وغسل الثياب، ما يجعل حياتها رتيبة ويزيد من اعتمادها على الزوج خارج البيت، وبسبب اعتمادها واتكالها فهي عاجزة عن التصرف بمفردها، تخاف من أن تخطو خطوة من دونه، ما يجعل تمردها عاجزا مشلولاً. فتسلم الزوجة ذاتها وتبيعها من أجل بقائها وهذا الاغتراب السلبي، كما يدعوه روسو.. إن الاغتراب معناه التسليم أو البيع، فالإنسان الذي يجعل من نفسه

---

[82]. حسّان رشاد: المرأة في الرواية الفلسطينية، ص 50.

[83]. سحر خليفة: مذكرات امرأة غير واقعية، ص 12.

عبد الآخر إنسان لا يسلم نفسه، وإنما هو، بالحرى، يبيع نفسه من أجل بقائه على الأقل."[84]

وكانت عفاف تحس بالفراغ والوحشة بسبب فقدان الحب والمودة في العلاقة الزوجية فكانت، أحيانا تلجأ إلى التعويض عن طريق تعلقها بالقطة وأحيانا تريد أن تلجأ إلى الأمومة التي قد أصبحت لدى المرأة المقموعة تعويضا عما تعانيه في حياتها الزوجية، فتقول: "من هو؟ زوج كريه لامرأة عقيم. ومن أنا؟ امرأة اعتاد وجودها رغم العقم، تنظف بيته، تطبخ له، تستسلم لنزعاته البهيمية والسادية، ولا تلوم أو تعاتب بعد أن اعتادت ويئست. لكن حبي للأطفال يتزايد مع تزايد وحشتي ويأسي وتساقط السنين."[85]

ويرى الباحث أن الروائية سحر خليفة قد صورت العلاقة الزوجية المتوترة أحسن تصوير في العبارة التالية: "وكلما اشتد الفراغ، ازددتُ فراغا على فراغ، ما عاد رأسي يدور إلا داخل ثقب إبرة. وكلما أمعنت الأيام في سحقي ازددت خنوعا. واتسم الخنوع بملامح الرضى فبتّ راضية ولا أطلب من الله إلا المزيد. وباتت محاسن زوجي تتكشف، فلمت نفسي على قصر النظر. فإذا أحضر شيئا جديدا للدار حمدت الله أنه ليس بخيلا. وإذا توقف عن السهر بضع ليال متتاليات حمدت الله أن باتت حياتنا مستقرة. وإذا أمرني أن أقوم بعمل سخيف حمدت الله أنه بات يعتمد علـّي في كل صغيرة وكبيرة. وتمر أيام وأنا في أجمل حال وأهدأ بال. وتنمسح من ذاكرتي كل المساوئ وتصبح مجرد شبح أطرده بإصرار وهمة. فإذا ما

---

[84]. غدير رضوان طوطح: المرأة في روايات سحر خليفة، ص 81-83.

[85]. سحر خليفة: مذكرات امرأة غير واقعية، ص 45.

عاد زوجي إلى طريقته، أصابتني صدمة فادحة وحملت نفسي مسؤولية الانحراف. وأقول لنفسي: لو لم تكوني يا عفاف سقيمة لما سئم أجواءك المملة. لو لم تكوني يا عفاف قبيحة لما هفت نفسه لغيرك. وفي محاولة يائسة لإصلاح ما أفسده الدهر أبدا بتجميل البيت وتجميل نفسي أقلب البيت عاليه سافلا فأغسل الزجاج بالليف والصابون حتى يصبح كالألماس، وأنحت البلاط حتى يصبح كالمرآة، وأملأ النوافذ وحفاف البلكون باللحف والبطانيات ومخدات الإسفنج، ومخدات القطن وأشّمس بذلاته حتى يتصاعد منها البخار. وأنزل للسوق وأشتري اللحم والخضار وأتقن في انتقاء الأكبر، والأنضر والأطزج."[86]

وتذهب بنا الروائية سحر خليفة إلى تصوير العلاقة الزوجية في الطبقات البرجوازية من خلال إيفيت زوجة شكري في رواية "لم نعد جواري لكم" وهي تعاني من فراغ عاطفي نتيجة الزواج المبني على المصلحة والنفاق وتقع في براثن الانتهازي فاروق صديق زوجها شكري فتقول: "سأظل على حبك حتى الممات، هكذا كتب علينا: أن نشقى، وأن نتعذب.. ولكن في سبيل من نحب يهون الشقاء ويهون الألم. وفي سبيل أطفالي تهون التضحية!"[87] فإيفيت تحلم بالحب والحنان وتريد أن تملأ فراغها العاطفي عن طريق الخيانة الزوجية بالرغم من أنها متزوجة وأم للأطفال، وفي جانب آخر استغل فاروق هذه الفرصة للوصول إلى غايته الجنسية إذ لا يخلص في حبه لها ولا يرغب في الزواج منها. فيقول لها يوما: "أنا أحبك كثيرا، وأنت تعرفين هذا، ولكن يجب علينا مراعاة الظروف قليلا، يحسن في

---

[86]. سحر خليفة: مذكرات امرأة غير واقعية، ص 62-63.

[87]. سحر خليفة: لم نعد جواري لكم، ص 103.

رأيي أن تكون لي علاقة مع امراة أخرى لكي أبعد الشبهة عنك!.. فقالت وهي تنشج باكية: ولكني لا أطيق هذا، لا أطيق رؤيتك مع امرأة أخرى!"[88]

وظّفت ليلى الأطرش شخصية 'نادية الفقيه' في رواية امرأة الفصول الخمسة وأسندت إليها الدور النمطي الذي ينحصر في الزوجية والأمومة لتصوير المرأة العربية التي تحيا وتعيش لأجل الزوج، وتتخلى عن رغباتها لصالح رغبات زوجها. فهي نموذج لابنة المجتمع الأبوي، لا دور لها إلا الإنجاب والأمومة ، والاعتناء بالزوج.

و"تضطر نادية الفقيه - التي تربت بين أسرة متوسطة الحال تربية تقليدية، حيث الزواج هو الهدف النهائي لرغباتها - إلى ترك كل ما تحب من دراستها الجامعية وقراءة الكتب من أجل الزوج وإنجاب الأطفال، وتتخلى عن لونها المفضل – الوردي – لصالح رغبات زوجها، وحبها الأول جلال الناطور الذي أحبته ثم تزوجت بأخيه 'إحسان الناطور' الذي سارع قبل أخيه لطلب يدها.. فهي تصبح بعد الزواج الشخصية الدمية التي يشكلها الزوج التشكيل الذي يريده، و يتناسب ورغباته في تحقيق الثراء الذي يريد، وتتحدث نادية الفقيه تلك السلبية وارتدادها لذاتها الداخلية التي وصلت إليها نتيجة معاملة الزوج لها."[89] كما تقول: "وأنا لا اختلف عنهن.. تركت كل ما أحب حين جاء الرجل وصرت امرأته. شغلني الزواج حين دفع بي إلى دهاليز المجهول مأخوذة، وانتشيت برغبة الاكتشاف والمعرفة. كان نفقا مظلما محفوفا بالخطر وبسعادة هلامية لا أستطيع تصورها، ومحرم

---

[88]. المصدر السابق، ص 175.

[89]. غادة إسماعيل: شخصية المرأة في أدب ليلى الأطرش الروائي، ص 92-93.

اكتشافها."[90] فتمثل "نادية الفقيه" في الرواية نموذج المرأة الدمية المقهورة لا يعتبرها زوجها إلا قطعة أثاث يزين بها بيته، أو قطة تسكن في بيت كما يقول "يا قطتي الجميلة.. هذا العطر يناسك أكثر... لن أتركك تبردين، ولن أضعك تحت الدوش. أيتها القطة!"[91]

في الفقرة السابقة تنتقد ليلى الأطرش الحياة الزوجية التي عاشتها نادية الفقيه التي أصبحت دمية على يد زوجها بعد الزواج. هي لا تستطيع أن تتخذ أي قرار في حياتها حتى فيما يتعلق بكينونتها وشخصيتها. ولا يقيم الزوج لها وزنا ولا يعتبرها شريكة حياة، بل يناديها بقطة.

ويرى الباحث أنه حدث تغير حاد في شخصية نادية الفقيه مع مرور الزمن. فهي تتحول من نموذج المرأة الدمية جراء تربية الأسرة العربية التقليدية، إلى شخصية فيها تمرد. كما نجدها تتمرد على زوجها إحسان عندما يناديها يا قطتي. وتعلن بأنها حرة، لا يستطيع أحد أن يملكها، فتقول: "لست امرأتهم! لست امرأة أحد! تخيلت دائما أن جلال أقدر على لمس إنساني الداخلي، أن يشف حتى قدر أن يرى ذلك الرابض في أعماقي بلا جنس فيتواصل معه. فإذا أنا له امرأة أنثى.. وهو رجل ... أنا ... نادية الفقيه، لا يستطيع أحد أن يعرفها أو يملكها... بل أنا منذ هذه اللحظة أملك نفسي. وسيرون وجهي الذي لا يعرفون."[92]

---

[90]. ليلى الأطرش: امرأة الفصول الخمسة، ص 50.

[91]. المصدر السابق، ص7 و 20.

[92]. ليلى الأطرش: امرأة الفصول الخمسة، ص 128.

علاقة الرجل والمرأة خارج الأسرة: إن الباحث والمتتبع لعلاقة المرأة والرجل في الرواية الفلسطينية النسوية يجد أنها لم تهتم برصد العلاقة بين المرأة والرجل داخل الأسرة فحسب، بل اهتمت بتصويرها خارج الأسرة أيضا التي يمكن تقسيمها إلى نوعين، وهما علاقة عاطفة صادقة وهي توجد في الطبقة الكادحة، وعلاقة زائفة وهي توجد في الطبقة البرجوازية.

علاقة عاطفة صادقة: إننا نلاحظ علاقة عاطفة صادقة من طرف واحد في رواية عباد الشمس لسحر خليفة، إذ "ترصد الروائية العلاقة العاطفية الأحادية الجانب بين رفيف وعادل، فرفيف شابة فلسطينية في الثلاثين من عمرها، تعمل صحفية في مجلة البلد في الضفة الغربية، أحبت صديقها في المجلة 'عادل الكرمي' وهو شاب مثقف، أُعجب بها، ولكن إعجابه بها لا يصل إلى حد الحب، أو التفكير بالزواج منها،"[93] إذ أنه "أحس بالرغبة فيها ولكنه يراها فتاة عربية تريد الحب، وهذا مالا يقدر عليه."[94]

ولكن احتدمت مشاعر رغبته عندما قضت معه لحظات الفرح والسرور "إذ رفعت وجهها للسماء وهي تطلق عواءات حيوانية، مزيج من العذاب وفرح الطفولة. شعرها يطير وعيناها تموجان، فأحس بها قريبة جدا منه، وأن العالم دافئ له طعم النبيذ، وأراد أن يحتويها، وأن يقول لها أشياء حميمة، وأن يقّبلها، وينام معها على الحشيش. وأن يستمر معها في الطيش والجنون والنسيان."[95] "لكن هذه الرغبات

---

[93]. غدير رضوان طوطح: المرأة في روايات سحر خليفة، ص 102.

[94]. سحر خليفة: عباد الشمس، ص 19.

[95]. سحر خليفة: عباد الشمس، ص 20.

تبقى أسيرة التمّنى لديه، فهو لم يحاول خداعها، أو التغرير بها، كما أن رفيف ليست من ذلك النوع المنفلت الذي يسعى وراء اللذة، وإشباع رغبات الجسد، ولكّنها من النوع الذي يسعى لإقامة علاقة متكافئة مع من تحب. تحافظ من خلالها على إنسانيتها وكرامتها وصدقها وعفويتها. علاقة تمنحها الحب الحقيقي، وتمهد أمامها الطريق للزواج، وإنشاء الأسرة، وتحقيق الاستقرار".[96]

فحين "شدّها إلى صدره محاولا امتصاص حزنه و حزنها، اختبأت لحظات وانسحبت بعنف... استدارت بوجهها عنه، فهي تعرف أنه لا يحبها، وأنه لا يحتاجها، وأن حاجتها إليها لحيظة مؤقتة. وأية امرأة أخرى باستطاعتها أن تسد الفراغ. وهي ترفض هذا، ترفض أن تبني علاقات عابرة سطحية. العلاقة يجب أن تكون عميقة. كل شئ يجب أن يكون عميقا، حادّا، يجعل للدنيا معنى وطعما ونتيجة. كل شئ يجب أن يقّرب الإنسان من قلب الدنيا، من موطن الدفء من رحم الحياة، وهناك تكمن الحرية."[97]

إن "رفيف تجد دفئا وحرية في ارتباطها العاطفي الحقيقي بمن تحبه وترضاه بينما يراه عادل الكرمي عبئا و صكا للعبودية، ويرى أن الفتاة الشرقية العربية تكون حرمة بمجرد ارتباطها العاطفي وتعيش في دوامة الروتين، هذا ما صورته الروائية سحر خليفة قائلة: "فها هي فتاة شرقية أخرى. فتاة العالم العربي ترفض إلا أن تكون حرمة، ثم الروتين والكذب. ربما كانت الثمرة حمراء كمرجانة، لكن شباك

[96]. حسّان رشاد: المرأة في الرواية الفلسطينية، ص 65.

[97]. سحر خليفة: عباد الشمس، ص 23.

العنكبوت تهدد بالاستنزاف والموت...لماذا نلح أن نكون عبئا على الآخرين؟ لماذا يتوجب علي أن أقدّم صكا للعبودية؟"[98]

ونرى أن "رفيف ترفض أن تصبح تابعًا له، وأن تستسلم لعواطفها حتى في أكثر اللحظات دفئاً وشاعرية، بفضل قوة شخصيتها وتماسكها، وبفضل تسلحها بالوعي، وبالقيم الأخلاقية والاجتماعية والفكرية. وهكذا تستجمع قواها، فتغلب عقلها على عواطفها، معلنة: أن الموت أرحم من رؤيته لها وهي تنهار. وتستطيع رفيف التغلب على مشاعرها تجاه من تحب، وتتمكن من التحرر من هيمنته عليها، فتشعر بفرح الانتصار، إذ امتلكت حريتها وكبرياءها وأصبحت سيدة نفسها... هكذا تعلي سحر خليفة من شأن العاطفة، فلا تعدّها نقطة ضعف، وفي الوقت نفسه تؤكد دور العقل الواعي في توجيهها، والسمو بها بعيداً عن الانسياق وراءها، والتردّي في مهاوي الخطأ والفساد."[99]

علاقة زائفة: أما العاطفة الزائفة فنقع على شخصية نوال الثورية التي ولدت في أسرة "لها تاريخ مع الاعتقالات والتعذيب وغرف التحقيق.. إنها أحبت رجلا ثوريا (مزيّفا) وهو كان يحبها أيضا ويشتركان في توزيع المنشورات السياسية. ولكنه خدعها وقت الزواج وتزوج ابنة عمه، فتاة صغيرة لا تفقه شيئا."[100] "فهي تأثرت كثيرا بهذا الحادث وشربت النبيذ مع صديقتها وهي تحكي أمامها قصة الحب الفاشل و بكت كثيرا بتأثير النبيذ على الحب الضائع وتقول: "آه كم يحمل هذا

---

[98]. سحر خليفة: عباد الشمس، ص 24.

[99]. حسّان رشاد: المرأة في الرواية الفلسطينية، ص 67-68.

[100]. سحر خليفة: مذكرات امرأة غير واقعية، ص 117

الصدر! اعتدنا الفجيعة منذ الصغر، لكن فجيعتنا فيمن نحب أشد."[101] ولكنها استطاعت أن تتغلب على هذه الفجيعة وتحقق استغلالها وحريتها بالعمل والكفاح.

و"تحكي رواية 'بوصلة من أجل عباد الشمس' لليانة بدر عن العديد من الفتيات الثوريات، وغيرهن، وعلاقاتهن بالأرض والوطن والثورة والرجل والمجتمع.. هذه العلاقات التي لم تكن بمنأى، في بعض الأحيان، عن الانزلاق في مهاوي الإخفاق والخيبة، كعلاقة شهد الصمدي بماجد عبد الباهي الذي قدمته الرواية إنساناً متناقضاً عاجزاً عن فهم المرأة واستيعاب ظروفها وواقعها. فهو شاب مثقف، عصري وذكي، خريج جامعة اكسفورد، يدرس في معهد للإناث. وكثيراً ما كان يتحدث عن مشاريعه الحديثة في تطوير المعهد. أعجب بشهد، إحدى تلميذاته، وهي فتاة ذكية، مثقفة، ومتحررة، رومانتيكية منفتحة على الجميع. أعجبت به، وبثقافته وذكائه. قال لها يوما:"[102] "أتمّنى لو أصبحت علاقتنا حميمة. أجابته بفضول محايد: ليس ما يمنع هذا، فأنا صديقة للجميع - -ولكنك نوع نادر مختلف عن الأخريات. أحسك تعامليننى بطيبة الأصدقاء القدامى."[103]

كانت شهد الصمدي تنظر إلى ماجد عبد الباهي كأستاذ، وتحبه محبة الأب والأستاذ. فكانت تتكلم معه وتوجه إليه بعض الأسئلة. وبالعكس كان ماجد عبد الباهي ينظر إليها من منطلق الشهوة والرغبة، وتعتبرها صيدا له يقتنصه إذا سنحت له الفرصة، وقد حدث ذلك يوما. "فك أزرار قميصه الأولى: الحر الخانق، تأفف

---

[101]. المصدر السابق، ص 118.

[102]. حسّان رشاد: المرأة في الروية الفلسطينية، ص 70.

[103]. ليانة بدر: بوصلة من أجل عباد الشمس، ص 52.

وقال: سألته بوداعة ولطف: هل أفتح الشباك؟ لا. لا داعي، كيف تكون البداية مع هذه الفتاة؟ قام وشدها إلى صدره في عناق عنيف. أشياء كثيرة حدثت، فهل يذكر جمود عينيها وبحلقتها المفاجئة؟ أم صرخة الذهول التي أعقبها فكاكها من يديه وجريانها إلى باب البيت، وهي تتقلص تدريجيًا متحولة إلى صرخات متتابعة مختنقة."[104] هكذا "تتكشف الخديعة أمام شهد، وتنهار الأقنعة، وإذا بماجد عبد الباهي يلوي وجهه عنها فيما بعد، فيتحاشى التحدث إليها، ويتجاهل كلماتها في الصف، ويرمي بأسئلتها بعيدًا، كلما عنّ لها أن تماحكه، متغافلاً عنها، وهو الذي حدّثها يومًا عن طيبة الأصدقاء القدامى."[105] هذا ما يدل أن شهد كانت تحب أستاذها حبا مطهرا ما يوجد بين التلميذ وأستاذه ولكن حب أستاذها لها كان مبنيا على الزيف والخديعة وكان يريد منها الإشباع الجسدي فحسب.

---

[104]. خليفة ليانة بدر: بوصلة من أجل عباد الشمس، ص 54.

[105]. حسّان رشاد: المرأة في الروية الفلسطينية، ص 71.

الفصل الثاني

المرأة والقيم الاجتماعية

إن العادات والتقاليد الاجتماعية السلبية قد نالت حظها من النقد في الروايات الفلسطينية بهدف خلق البيئة الصالحة التي تتيح الفرصة لجميع أفراد المجتمع ذكورا وإناثا أن يساهموا في بناء الوطن ويناضلوا معا ضد الاحتلال. ولكن الروايات النسوية أحسنها تصويرا لها لأن المرأة هي أقدر من الرجل على فهم القضايا المتعلقة بالنساء كما تقول سيمون دي فوار: "نحن النساء نعرف خيرا من الرجال عالم المرأة، لأننا مرتبطات الجذور به، ونحن أقدر على إدراك ما معنى أن يكون الكائن الإنساني امرأة."[106] ولذلك نرى أن الروائيات قد اهتممن اهتماما بالغا بمعالجة العادات والتقاليد الموروثة في المجتمع العربي. وتتجلى من بينهن سحر خليفة التي عالجت القيم الاجتماعية السلبية معالجة حسنة وهي "ترى أن الثورة كلٌّ لا يتجزأ: ثورة ضد المحتل وضد السلبي من الموروث والعادات والتقاليد."[107] "وهذه المقولة تتفرع عنها مقولات أخرى أهمها: إن مسؤولية تحرر المرأة وإثبات وجودها، تقع على عاتقها بالدرجة الأولى، لتتمكن من القيام بدور فاعل في وسطها الاجتماعي، وتستحوذ على ثقة الآخرين. وقد قدّمت سحر، شخصيات نسائية، استطاعت بوعيها وذكائها ونبل أهدافها وشرعية طروحاتها ومثابرتها، أن تغير بعض المفاهيم التقليدية السائدة حول المرأة، وعملها وشرفها وسوى ذلك، فوجدنا

---

[106]. سيمون دي فوار: الجنس الآخر، ص 10.

[107]. بثينة شعبان: مئة عام من الرواية النسائية العربية، ص 216.

نساء ناضجات رفضن أن يكن تابعات للرجل، وتعاملن معه من موقع الند لما تميزن به من قوة إرادة وعناد صلب."[108]

ففي 'مذكرات امرأة غير واقعية' "تعالج الكاتبة قضية على جانب كبير من الأهمية وهي: قضية انتماء المرأة وتحديد هويتها، وتأكيد استقلاليتها، وإلى جانب جملة من القضايا التي تثيرها، إذ مازال يتوجب عليها أن تكون ابنة فلان أو زوجة فلان، دون أن يتم قبولها كفلانة فقط، بغض النظر عن الذكر الذي يحمي اسمها اجتماعيا. كذلك، تطرح الرواية عدداً من القضايا التي تبرز ذلك التناقض والتباين بين ماتطمح إليه المرأة المتمردة الرافضة، ومايرتضيه المجتمع لها ويطلبه منها، بل يفرضه عليها. وفي ذلك ما يعد نكوصاً لوضعها وقضيتها، وكأنها مابرحت مكانها، فلا هي ثارت على السلبي من العادات والتقاليد، ولا هي استسلمت لتناقضات الواقع."[109]

وتصور سحر خليفة النظم الاجتماعية الجائرة بالمرأة منذ ولادتها إلى ما بعد زواجها إذ يبدأ التمييز بين الذكر والأنثى منذ الولادة "جاء الولد وامتلأت الدار بالزغاريد والشموع وملّبس الأفراح وتفريق العملة على الأطفال والفقراء وشيوخ الموالد والزبالين والمسحّرين وصبية الفران والكّواء ورؤوس المارة في الشارع."[110]

و"إذا ما خفق قلبها بحب شاب يناسبها، واخترق شعاع الحب روحها دون إرادة منها، وقفت السلطة الرادعة المتمثلة في الأب أو الأخ في وجه سعادتها

---

[108]. ينظر: بثينة شعبان: "سحر خليفة وامرأة غير واقعية". الموقف الأدبي. عدد 212-213 ص 34-35 نقلا عن كتاب "المرأة في الروية الفلسطينية لحسّان رشاد، ص 80.

[109]. ينظر: المصدر المذكور، نقلا عن كتاب "المرأة في الروية الفلسطينية لحسّان رشاد، ص 82.

[110]. سحر خليفة: مذكرات امرأة غير واقعية، ص 19.

وحرية اختيارها. إذ لا يحق لها التعبير عن آرائها وأفكارها واختيار شريك حياتها، بصفتها قاصرة، غير مسؤولة عن مصيرها الخاص، وهذا ماتعانيه الفتاة العربية التي تعيش في بيئة متخلفة، فيفرض عليها الزواج ممن لا ترغب به أو تنسجم معه، ومن الطبيعي أن تعيش، بسبب ذلك الزواج القسري غير المتكافئ، سلسلة من المآسي المستمرة. وحين تحاول اختراق الطوق الاجتماعي المضروب حولها، تنتصب أمامها جملة من المشكلات المترتبة على هذا الانعتاق، مما يجعلها ترتد نحو الخيبة واليأس."[111]

"فلا الهجر ولا الطلاق يحلان مشكلة المرأة المتزوجة المقموعة التعيسة، ذلك أن حرمانها من إكمال تعليمها ومن العمل لاشك، يؤديان إلى شل قدراتها ويبقيانها في دائرة التبعية للزوج. وهذا يعني أن تستسلم وتصبر على واقعها المرير، خوفاً من المستقبل المظلم الذي ينتظرها، في ظل مجتمع تسود فيه بعض المفاهيم الخاطئة التي تعد المطلقة إنساناً ناقصًا، وتجعله عرضة لألسنة الناس وافتراءاتهم. ناهيك عن المشكلات الاجتماعية الأخرى التي يخلّفها الطلاق في البيئات المتخلفة، إذ يتشتت الأولاد مابين الأبوين المنفصلين، وتضيع المرأة المطلقة، فلا بيت يؤويها، ولا دخل يحميها، ويقيها الفاقة، وإن وجدت مكاناً لها في بيت أحد إخوتها، فإنها تعيش حياة مريرة، لاشك أنّها أدنى من تلك التي عاشتها في بيت زوجها،"[112] كما صورته الرواية 'مذكرات امرأة غير واقعية' بألفاظ تالية: "أي خلاص يا مجنونة؟ يطلقني وأخلص؟ والأولاد من يربيهم؟ أنا أم هو؟ وأدور وراءه في المحاكم أطالبه

---

[111]. حسّان رشاد: المرأة في الروية الفلسطينية، ص 83.

[112]. حسّان رشاد: المرأة في الروية الفلسطينية، ص 83.

بالنفقة وأرجوه أن يترك لي هذا الولد أو ذلك سنة أخرى أو أشهرا أخرى؟ وإذا نسينا فهل ينساه الأولاد؟ وإذا أخذهم وحرق قلبي فلن أعيش وأين؟ عند الإخوة وتحت أرجل نسوان الإخوة؟"[113]

و"المجتمع العربي يبجل الولد تبجيلا بالغا ولا مكانة للأنثى في المجتمع العربي لا في بيت الأبوين ولا في بيت الزوج ولا.. ولا... وبالعكس إن الذكر "جوهرة البيت وزينة أخواته وقرة العين ومحروس العيلة. وهذه الظاهرة لم تكن جديدة علّي، فأنا أيضا تخرجت من بيت يتعطر ببول الذكر."[114] وكذلك تحرم البنات من الميراث مؤديا إلى زيادة معاناة المرأة في بيت زوجها الذي يتوقع الحصول عليها خاصة إذا كانت المرأة من سليلة حسب ونسب كما تقول عفاف في رواية "مذكرات امرأة غير واقعية": "فقد كنت سليلة حسب ونسب وأصل طيب، وكان زوجي يعتبر هذه الميزة أعظم مواصفاتي. لكنه حين سمع بقصة الميراث جن جنونه وبات يعيّرني بأصلي، فلم يبق لي في هذه الدنيا شئ أفاخر به. وفي محاولة يائسة لاستعادة قيمتي هرعت إلى البلد... وقالوا: عيب عليكن، زوج الواحدة منكن يساوي قنطار ذهب... وقالت إحدى أخواتي: عيب علينا يا عفاف أن نقاصر الإخوة، أبناء والدنا أولى بميراثه من الأصهار الأغراب. قلت: ونحن؟ قالت: نحن زوجات الأغراب. قلت: وإذا طلّقنا الأغراب؟ فصاحت يا عفاف يا عفاف! صرت على

[113]. سحر خليفة: مذكرات امرأة غير واقعية، ص 66.

[114]. سحر خليفة: مذكرات امرأة غير واقعية، ص 48.

أبواب الثلاثين! اعقلي، كوني واقعية! وصحت أنا: أ تظنين أنه احتمال بعيد؟ من يضمن لي؟"[115]

و"تعيش المرأة بعد الزواج في الخوف وتحت رحمته، والخوف من أن تلد البنات بدلا من الصبيان، والخوف على ابنتها من فقدان البكارة والخوف من الفضيحة الاجتماعية لسبب أو لآخر. ولكن حين توضع هولاء النسوة في مواجهة العدو يظهرن صلابة وشجاعة وتضحية وصمودا بالإضافة إلى تحمل أعباء المنزل والدار وتدبير شؤون الكبير والصغير في المنزل والحي. وترفض المرأة أن تستقر داخل التضحيات التي يتداولها المجتمع عنها كأم وأرض ورمز،"[116] وتصرخ "أنا لست الأم ولست الأرض ولست الرمز، أنا إنسانة. آكل أشرب أحلم أخطئ أضيع أموج وأتعذب وأناجي الريح. أنا لست الرمز. أنا المرأة."[117]

وفي رواية "باب الساحة" نجد أن سمر الفتاة الجامعية لم تستطع اتخاذ قراراتها المصيرية بحرية تامة وصارمة لأنها مقيدة بشبكة من الأعراف والتقاليد الاجتماعية كما جاءت في الرواية "هّبت الى سريرها واختبأت تحت اللحاف. وكانت ترتجف من الغضب والخوف. غضب من نفسها لأنها خافت، وخوف من خوفها لأنها أدركت أنها ما زالت تتخبط وسط هذا الطوق المحكم من العلاقات المعقدة والعقد."[118]

---

[115]. سحر خليفة: مذكرات امرأة غير واقعية ، ص 67-68.

[116]. بثينة شعبان: مئة عام من الرواية النسائية العربية، ص 221-222.

[117]. سحر خليفة: باب الساحة، ص 176.

[118]. المصدر السابق، ص 133.

"من خلال شخصية (سمر) تظهر رواية (باب الساحة) وضعية جديدة للمرأة، وهي أنها أصبحت متعلمة وحاملة لشهادة جامعية عليا، لكن ماذا ستصنع هذه الشهادة في التقاليد الموروثة منذ أزمنة سحيقة؟ ماذا ستغير هذه الشهادة من وضعية المرأة العربية الاجتماعية؟ لعل الصعوبات التي لاقتها سمر تبين أن المرأة العربية لن تستطيع النيل من النظرة التي رسختها الأيام في عمق الحياة الاجتماعية. ومع شخصية نزهة نقف على الباعث الأساسي في تلك النظرة التي يمكن تغييرها، وهي نظرة أخلاقية محضة. فأي حكم صادر في حق المرأة يستند على قاعدة أخلاقية مكتسبة عبر أجيال متعددة من سيل من الأعراف والتقاليد والعقائد. ونزهة هي الشخصية الروائية النسائية التي تكشف عن الخلفية الضابطة لرؤيتنا الى المرأة رغم اختلاف وضعياتها الاجتماعية التي رأينا في رواية 'باب الساحة'، وهي وضعيات خضعت لمنطق التسلسل والتدرج من البسيط الى المعقد."[119]

ويرى الباحث أن الروائية سحر خليفة لم ينتقد المجتمع والرجل العربي فحسب، بل كانت النساء التقليديات أيضا محط انتقاداتها وراء تخلف المجتمع العربي إذ هن اللواتي يخضن في الأحاديث التافهة المملوءة بالاختلاق والمغالطات حول الزواج والطلاق والحمل والعقم والولادة كما تعبر عنها الروائية على لسان البطلة "هن السبب في الكثير مما نحن عليه."[120] كذلك "تدين سحر خليفة بعض العادات والمعتقدات الشعبية التي تؤمن بها بعض النساء التقليديات ويمارسنها عن

---

[119]. محمد معتصم: النزعة الإنسانية في الرواية العربية، ص 37-38.

[120]. سحر خليفة: مذكرات امرأة غير واقعية، ص 136.

قناعة ورضا. كلجوء بعضهن إلى الحجاب والكتابة لجلب الحظ لمن لم تتزوج أو تحمل. ولجوء بعضهن الآخر إلى المشعوذين والدجالين. وهذا ما أشارت إليه الروائية أيضاً في روايتها "الصبار"، حين نسبت زوجة أحد العمال المصائب التي حّلت بأسرتها للعين الشريرة، وراحت تعالجها بالاستخارة، وشي الشبة، وكتابة الحجاب عند السامريين. كما انتقدت اعتقاد بعضهن بأن أفضل وسيلة للتمسك بالزوج هي الإكثار من الخلف. وأن المرأة العقيم لا يبقي عليها زوجها."[121]

ونـّددت سحر خليفة النساء اللواتي يرتضين بالأمر الواقع المبني على الأعراف والتقاليد الاجتماعية وينسبنه للنصيب والحظ، ولا يحاولن تغييره بأنفسهن "كانت كلمة نصيب هي القرار لأغنية جماعية خشنة يطلقها جنس لطيف. تبدأ الواحدة بنعف حطامها الداخلي في جلسة حميمة، وتفرغ محتويات قلبها وأحشائها وكشكول أحزانها وتذرف الدموع و تحشش السجائر وتعفّر الدخان وتنعت زوجها بوابل النعوت والألقاب وتستنزل اللعنات والأمنيات، وحين تسمع بوق سيارته يزمر في الخارج تلملم شتاتها وتمسح وجهها وتملس شعرها وأطراف ثوبها وتنظر في العيون المسبلة بمشاركة وجدانية وتهمس بحكمة (نصيبنا)."[122] يعني تلوم سحر خليفة المرأة للجوئها إلى عالمها الداخلي هروبا من الواقع الاجتماعي إذ لا بد من مواجهة الواقع لحل المشاكل التي يواجهها الإنسان، ذكرا كان أم أنثى، فعلى المرأة أن تواجه الواقع بالإرادة والعمل اعتمادا على الذات بدل الاعتماد على الآخرين للتخلص من القيود الاجتماعية المفروضة عليها.

---

[121] . حسّان رشاد: المرأة في الروية الفلسطينية، ص 84.

[122]. سحر خليفة: مذكرات امرأة غير واقعية، ص 64-65.

وتنتقد الروائية ليلى الأطرش بعض العادات السائدة في المجتمع العربي من خلال رواياتها العديدة، فهي ترى أن المرأة محفوفة بالعقبات وجملة من القيود الاجتماعية الجائرة إذ يمنح المجتمع الرجل حق فرض الرأي على المرأة في الأمور كلها حتى حرمانها من التعليم و سلب حقها لاختيار شريك حياتها. ولا تستطيع المرأة أن تعبر عن حبها و عاطفتها للزواج ممن تحبه وترضاه، وترتبط بمن لا ترغب فيه ما يؤدي إلى فشل عاطفي وفراغ نفسي ولجوءها إلى عالمها الداخلي الخيالي تعويضا عن معاناتها في حياتها الزوجية كما تعبر عنها ليلى الأطرش على لسان شخصية منى في رواية 'ليلتان وظل امرأة' "وارتضيت الانجراف في بحر الأحلام الكسيرة.. أسبح مع تيارها، منقادة خائفة ومستسلمة.. تحوّم بي التيارات.. تدور وتدور.. تلفني حتى ينعدم مني التوازن، فأحلّق خارج نفسي. نعم، تعودت أن أنفصل عن جسدي، أخرج منه ومن واقعي.. وحدي أنا.. كان الحس ينسل مني.. من جسدي التائه، يهوّم شاطحا في تمرد على استسلام ذاتي.. ينتقي مني خيالاتي ويطير بها، فأنتشي بوحدتي خارج جسدي وواقعي وأطرب لها. ولكن أحلامي الجميلة كانت تنقصها لحظة الحقيقة. وهشام (الذي كانت تحبه) هو الخيال الجميل، والأحلام هي التي تعيننني على التعايش مع واقعي وقبول مرارته."[123]

و"تطرح ليلى الأطرش قضية الهم الخاص (الهم النسوي) في روايتها 'ليلتان وظل امرأة' قبل الهم العام من خلال قضية الجسد ومعاناة الأخت الكبرى 'منى

[123]. ليلى الأطرش: ليلتان وظل امرأة، ص 31-32.

الأشهب' التي تعودت على الاستقلال عن جسدها بخيانة زوجها كلما اقترب منها مع خيال الحبيب الأول – هشام – الذي لا تدري أين هو، وذلك نتيجة حرمانها من أبسط حقوقها، حقها في الاختيار، فقد قمعتها النظرة الاجتماعية فتزوجت بمن لا تحب، وتحاول منى الأشهب التأقلم والتعود في ظل هذا الزواج التقليدي، فتسعى إلى امتلاك ذاتها من خلال العمل بإنشاء صالون للسيدات، وتربيتها لأبنائها، وتحاول أن تتوازن مع حياتها، وعندما يتفجر صراعها مع ذاتها في ظل المكاشفة التي حدثت بينها وبين شقيقتها آمال الأشهب، عندما التقتا في عمان بعد غياب سنوات طويلة، وجفاء نفسي من حواجز أقامتها ترسبات الطفولة، وتمييز الأسرة في معاملتها لأبنائها، وبعد سفر أصغر أبنائها ليلتحق بأخوته للدراسة في أمريكا؛ في ظل ذلك كله تعجز منى الأشهب عن اتخاذ قرارها وترك زوجها الذي اعتادت عليه، وتعود إليه بعد سفر ابنها،"[124] ويعود السبب في ذلك إلى "عقدة الصورة الاجتماعية للبنت المؤدبة التي تراعي سمعة عائلتها فلا تجر ذكورها إلى المحاكم حين يسلبون حقوقها، وتحتمل ضيم الأهل والزوج لئلا تصير مطلقة فيضيق الخناق الاجتماعي عليها أكثر. وشخصية آمال الأشهب، وهي شقيقة من الأشهب في نفس الرواية قد حظيت بحظ وافر من التعليم الجامعي في مجال القانون وتزوجت بمن تحبه وترضاه ولكنها أيضا لم تفز وتنجح في زواجها إذ تعرف أن زوجها يخونها، ولكنها تبرر خوفها من الحكم الاجتماعي على فشلها بمحاولتها تجنيب ابنها العيش في عائلة مفككة، وهي ذريعة اجتماعية شبه سائدة عند النساء حتى المستقلات

[124]. غادة إسماعيل: شخصية المرأة في أدب ليلى الأطرش الروائي، ص 20.

اقتصاديا."[125] فراحت تجلد ذاتها، وتعتقد أنها سبب خيانته لها، محاولةً المحافظة على صورة زواجها خوفا من تلك العقدة الاجتماعية ذاتها التي تحكم النساء بشكل عام، فتفضح الرواية عجز المتعلمات قبل غيرهن من النساء، أحيانا، عن الوقوف في وجه الأعراف الاجتماعية،"[126] يعني كلتا الشقيقتين المتعلمة ونصف المتعلمة تعجزان عن الخروج عن القيود الاجتماعية وتفشلان في اتخاذ القرار عجزاً عن مواجهة الظروف الاجتماعية السائدة.

إن "المرأة تخشى اهتزاز صورتها الاجتماعية في نظر المجتمع، فهي تخشى الطلاق والفضيحة، لذلك تظل المرأة محكومة بثقافة التسليم لأمر الواقع، بعكس الرجل الذي يستطيع أن يطلق أو لا يطلق، ويتزوج من جديد ويحتفظ بعشيقته أو أكثر، ويغادر البيت أو يعود إليه كما فعل عادل (في رواية "ليلتان و ظل امرأة") بآمال، وبموازته هناك يوسف الذي هم بشقيقة امرأته، وكان ذلك من الأسرار التي يهّم آمال ألاّ تعلم بها منى وتبقيها في دائرة المسكوت عنه، فإلى أين يمضي المجتمع بعلاقات القهر والنفاق واستبداد الرجال بالنساء."[127]

"فلا تجد المرأة إلا طريقا محفوفا بالعقبات، وجملة من القيود الاجتماعية، والضغوط المتمثلة في سلطة الأهل، ومن ثم الزوج، إضافة إلى سطوة بعض العادات والتقاليد السلبية التي تضغط على المرأة، وتدفعها إلى ثقافة التسليم،

---

[125]. نضال برقان: مشكلة الإبداع العربي في عقول الأوصياء والقائمين على الثقافة، مجلة الأسبوع العربي العدد 1634، 4 شباط 1991م ص: 37 نقلا عن "شخصية المرأة في أدب ليلى الأطرش الروائي" لغادة إسماعيل، ص 21.

[126]. غادة إسماعيل: شخصية المرأة في أدب ليلى الأطرش الروائي، ص21.

[127]. أحمد دحبور: ليلتان وظل امرأة، رواية للساحورية ليلى الأطرش، الحياة الجديدة، فلسطين 13 نقلا عن "شخصية المرأة في أدب ليلى الأطرش الروائي" لغادة إسماعيل، ص 122.

والارتداد النفسي، والاكتفاء ببعض النجاح الاقتصادي، والرضوخ للواقع الذي يفرض عليها الحياة مع زوج لم تختر أو تحب، عاجز عن القيام بأي مشروع ذي نفع، على صعيد تحقيق الذات وإثبات الوجود كما هي حال منى التي رضخت إلى واقعها، واكتفت بالأسرة والعمل والعودة إلى الزوج،"[128] يعني تستسلم المرأة للواقع التقليدي وفي المقابل "تريد لرجلها أن يعشقها حتى النهاية، أن يجلّلها في لحظات الخوف من الآتي."[129]

يتضح مما سبق أن ليلى الأطرش حاولت تصوير العادات والقيم الاجتماعية التي تحدّ من تمرد المراة العربية فتظل مقهورة مقموعة كما نجد أن شادن مع كونها من المثقفات الواعيات تخفي عواطفها ومشاعرها ولا تريد أن تكسر الأعراف والتقاليد التي فرض عليها المجتمع وتقول "علمتني أمي أن امرأة عربية مثلي يضيرها أن تصرّح بالمشاعر.. أكسر قانونها."[130] فلا تجرأ شادن أن تتمرد عليها إذ تنتمي إلى بيئة تحافظ على عاداتها وتقاليدها، وقد عرضت ليلى الأطرش صورا مختلفة لمظاهر القمع الاجتماعي التي تواجهه المرأة في ظل الأعراف والعادات السائدة في المجتمع العربي، وأدانت الواقع الذكوري الذي لا يسهم في تحرير المرأة من القيم الاجتماعية السلبية.

وكذلك أضاءت رواية بوصلة من أجل عباد الشمس لليانة بدر أهم العادات والتقاليد والمشكلات الاجتماعية التي عانتها المرأة العربية الفلسطينية، كما لم تُغفل

---

[128]. غادة إسماعيل: شخصية المرأة في أدب ليلى الأطرش الروائي، ص123.

[129]. ليلى الأطرش: ليلتان وظل امرأة، ص 37.

[130]. ليلى الأطرش: مرافئ الوهم، ص 25.

عرض جانب هام من معاناة المرأة الفلسطينية التي تعيش في المخيم، من وطأة الظروف الاجتماعية الصعبة التي تواجهها، إضافة إلى اعتراض بعض العادات والتقاليد السلبية طريق تقدمها وتطورها. ليس ذلك فحسب، بل إن تحكم الرجل التقليدي، سواء أكان أباً أم أخًا، بقراراتها وحركتها، قد وقف عائقاً في طريق انخراطها في العمل الوطني على الصعيدين النضالي والاجتماعي، بسبب تعنت الكثير من الآباء، أو تزمت الإخوة أو الأقرباء. تقول جنان: التي كان لها دور فعال في تأسيس بعض الجمعيات والتنظيمات التي كانت لها نشاطاتها الاجتماعية والصحية والتعليمية والتوجيهية."[131] "عملنا مازال يعاني نقصاً في الكوادر. والبنات حين يتعرفن على أنفسهن في العمل معنا، يسارع أهلهن إلى تزويجهن، خوفاً من مصلحتهن من القيل والقال.... فمن تفلت من إسار الزواج المحبب أو القسري، لابد أن تعاني من تعنت الأب، أو تزمت الأقرباء . وعلى من تبقى وتستمر، أن تكون خبيرة في الإسعاف والدفاع المدني، ومحرضة سياسية وموزعة نشرات، وموجهة اجتماعية.. كل هذا في آن واحد، وهذا يعني، أيضًا، تمرساً بالعمل المرهق الدائم، واستعدادًا دائمًا لتحمل الخسارات الكبيرة."[132]

والرواية "نجوم أريحا لليانة بدر أيضا تشير إلى بعض الأعراف والعادات السائدة في المجتمع كما أن النساء يذهبن إلى المنجمين لقراءة الطالع، ولمعرفة مصير أبنائهن كما تذهب أم فضل إلى المنجم لمطالعة مصير ابنها فيخبرها أنه لن يبقى في هذه الأرض، فتعتقد أن ابنها سيموت ولكن المنجم يخبرها أنه سيسافر

---

[131] . حسّان رشاد: المرأة في الروية الفلسطينية، ص 85.

[132]. ينظر ليانة بدر: يوصلة من أجل عباد الشمس، ص 77.

بعيداً عن وطنه وبالفعل يسافر حسين إلى الخليج ليبقى هناك خمساً وثلاثين سنة كاملة فتعتقد الأم أن المنجم مصيب في نبوءته مع أن الله هو عالم الغيب والشهادة. ومن تلك العادات سهر الوالدين عند باب غرفة العريس بانتظار ما يؤكد عفة العروس ويصون شرف العائلة وما إلى ذلك."[133]

قد ثبت مما سبق أن الهم الوطني الفلسطيني لم يمنع الروايات الفلسطينية من معالجة بعض القضايا الاجتماعية، وإلقاء الضوء على القيم الاجتماعية السلبية، وتصويب سهام النقد على الأعراف والعادات السائدة في المجتمع الفلسطيني والعربي، والروائيات أقدرهم وأحسنهم تصويرا للواقع الاجتماعي وأشدهم نقدا للقيم الاجتماعية السلبية، وعلى رأسهن سحر خليفة، وتليها ليلى الأطرش وليانة بدر.

[133]. ينظر ليانة بدر: نجوم أريحا، ص 147-158.

الفصل الثالث

المرأة ودورها في الوطن

ظلت المرأة الفلسطينية سندا للرجل في الثورات والانتفاضات الوطنية منذ البداية. ولكن دورها كان مختلفا في الأزمنة المختلفة. قبل عام 1948م، كانت المرأة تلعب أدوارا ثانوية، مثل بيع الحلى لشراء الأسلحة. وكذلك كانت تساعد الرجل في نقل المعلومات المعنية أو إخفاء المجاهدين وما إلى ذلك من الأدوار الثانوية. ثم "أخذ هذا الدور ينمو ويتطور بفعل الظروف التي عاشتها المرأة بعد النكبة، إلى أن انطلقت حركة التحرير الوطني الفلسطيني عام 1965م، التي شرّعت أبوابها للمرأة لتنخرط في صفوفها، ولتمارس دورها النضالي على جميع المستويات الوطنية والثقافية والإعلامية والصحية... وتسهم مساهمة فعالة، إلى جنب الرجل في صياغة مستقبل الوطن. فأثبتت كفاءة عالية في تحمل مسؤولية النضال. وعبّرت عن حيوية المجتمع الفلسطيني، وقدرته على التحول الإيجابي تبعًا للظروف."[134]

والجدير بالذكر هناك أن الباحث يجد في الروايات النسائية الفلسطينية تصويرا لنوعين من النساء بهذا الصدد. النوع الأول ينتمي إلى الطبقة البرجوازية أو الإقطاعية، والنوع الثاني ينتمي إلى الطبقة الكادحة. أما المرأة التي تنتمي إلى الطبقة البرجوازية معزولة في عالمها الخيالي الضيق ومهتمة بمصالحها الشخصية ولا ترى الأحداث والاضطرابات التي تحدث داخل الأرض المحتلة إلا من باب

---

[134]. ينظر: مي الصايغ: "المرأة العربية، الواقع والتطلعات"، مجلة النهج، عدد 1995/41، ص 107 نقلا عن كتاب "المرأة في الروية الفلسطينية" لحسّان رشاد، ص 96.

القدر، كما نجد شخصية أم أسامة في رواية "الصبار" وهي شقيقة الإقطاعي الوجيه، تقول: "البلد بخير، وبكره يحلّها الحلال، ويمكن الصحفيين الأجانب الذين يزورون خالك يؤثّرون على أمريكا، وأمريكا تقول لإسرائيل انسحبي فتنسحب، أرأيت كيف أن الأمور ليست صعبة كما تتصور؟ ألم أقل لك بكره يحلها الحلال؟"[135] فهي لا تهتم بالهم الوطني بل تهتم بالهم الشخصي وتلح على ابنها أسامة الذي رجع إلى الأرض المحتلة بعد غياب خمس سنوات أن لا يقلق على البلد وتقول لها: "لا تكفر يا أسامة الله يرضى عليك. ألا تؤمن بقدر الله جل وعلا؟"[136] وتقترح عليه أن يعمل في مزرعة خاله مع ابن خاله و يتزوج ابنة خاله "عرضت عليه فكرة غير متوقعة، فلماذا لا يعمل في مزرعة خاله؟ المزرعة خالية. وعادل مثل أخيه، والعمل في الزراعة ليس صعبا. كان والدك مزارعا طيلة عمره.. وقد جعل من الأرض الصخرية جنة. نقب الحجارة و فتت الصخور ونخل التربة. ستتعب في البداية لكنك ستعتاد ذلك. ولن تكون مرؤوسا من قبل أحد. فعادل مثل أخيك. وبعد عمر طويل سترث نوار حصتها. وتصبح شريكا في المزرعة."[137]

وكذلك نقع في رواية مذكرات امرأة غير واقعية على شخصية عفاف سليلة الطبقة البرجوازية، وهي تستسلم كليا لهمومها الشخصية ولا تهتم بكل ما يجري في الوطن الفلسطيني وتعيش معزولة في عالمها الخيالي الضيق كما لو انقلبت دودة كما تقول هي نفسها: "وأنا في الداخل دودة قز في شرنقة. ومع الوقت انقلبت دودة.

---

[135]. سحر خليفة: الصبار، ص 30.

[136]. المصدر السابق.

[137]. المصدر السابق، ص 36.

دودة حقيقية. دودة لا تقوى على شيء إلا ممارسة الزحف. وكنت أسمع أخبار البلد بالصدفة لأهز كتفي وأقول:يكفيني همي."[138] فهي لا تهتم بما يجري في الأرض المحتلة من المشاكل والتحديات ومعاناة أهلها بسبب الاحتلال والحواجز الخارجية.

ولكن الباحث يجد أن نساء الطبقة الكادحة والمسحوقة يشاركن الرجال في الدفاع عن الوطن الفلسطيني بالمشاركة في جميع المستويات الوطنية والإعلامية والثقافية، واستطعن أن يواجهن جميع صنوف القهر والاضطهاد لتحرير الأرض المحتلة من براثن المحتلين الصهاينة.

قد قدمت الروائيات الفلسطينيات صورا متعددة لنساء الطبقة الكادحة ودورهن في العمل النضالي بأشكال مختلفة. "قدمت الرواية 'عباد الشمس' صوراً رائعة لفتيات يقاومن قوات الاحتلال بالحجارة، ويمارسن ثورتهن ضد الأعداء على طريقتهن، كما تقدم 'عباد الشمس' وجهاً آخر من أوجه النضال والمقاومة وهو التضامن والتوحد في وجه المحن، وذلك أثناء عرضها لردات فعل الفلاحين، إثر مصادرة قوات الاحتلال لأراضيهم واستيلائهم عليها، بعد إبادة المحاصيل، وقطع المياه، وتهجير الأهل. إذ يأمر الحاكم العسكري كل ذكر من سن الثالثة عشرة، ومافوق بأن يذهب إلى ساحة المدرسة في القرية. وهناك تكّوم الرجال صفوفاً مرصوفة على الأرض، والجنود يعملون فيهم ضرباً وتنكيلاً. يستفزون هذا ويصفعون ذاك. وتظهر 'سعدية' التي صودرت أرضها، أيضًا، وهي تبحث بعيون أرهقتها الدموع، وأضناها السهر، عن ابنها رشاد بين الجموع، فإذا بها ترى في كل

[138]. سحر خليفة: مذكرات امرأة غير واقعية، ص 44.

الوجوه وجه رشاد. فهناك يتوحد الشعب الفلسطيني، فيغدو لمئات الفتيان أماً واحدة، بعد أن انصهروا جميعاً في بوتقة النضال والصمود."[139]

ومن دور المرأة الفلسطينية في النضال الوطني أنها تقاوم الجنود والقوات بكل جرأة وبسالة، كما شتمت أم أسامة أحد الجنود عندما اقتحموا بيتها بحثا عن ولدها أسامة وسأل أحدهم: "أين ابنك؟... وماذا تريدون من ابني؟ لا شئ سنأخذه دقائق معدودات ونعيده إليك بالسلامة. لا سلم الله فيك موخز إبرة يا ابن الحرام، تضحك على شيبتي يا لعين الوالدين! سافر ابني الله يرضى عليه إلى عمان قبل ثلاثة أيام و لم يعد."[140]

إذا كانت الفقرة السابقة مثالا للمقاومة العفوية والصدام المباشر مع قوات الاحتلام، فإن هناك نوعا آخر أكثر تقدماً وفاعلية وتطوراً، يدخل في إطار العمل السياسي السري المنظم، من مثل ماعرف بالخلايا الفدائية، التي سجّلت نشاطاً له تأثير كبير في الأرض المحتلة، ولاسيما في منتصف الستينات، ومابعد. وكان للمرأة الفلسطينية دورها المميز والفعال في هذا الميدان، إذ أسهمت نظرًيا وعملياً في العملية النضالية. وقدمت الرواية الفلسطينية صوراً متعددة لتلك المهمات الجليلة والنشاطات السرية، التي قامت بها المرأة. فصورتها وقد انخرطت في صفوف الثورة، فدائية، منظمة للخلايا، مناضلة سياسية وقيادية بارعة، فأثبتت جدارتها وكفاءتها العالية في تحمل مسؤولية الكفاح المقدس."[141]

---

[139]. حسّان رشاد: المرأة في الروية الفلسطينية، ص 105-106.

[140]. سحر خليفة: الصبار، ص 142.

[141]. حسّان رشاد: المرأة في الروية الفلسطينية، ص 107-108.

تقدم رواية الصبار صورة "لينا" المثقفة، وهي أخت المناضل صالح كفتاة مناضلة تتصف بالجدية والصلابة، و تنتمي إلى إحدى الخلايا الفدائية كما يتحدث عنها أسامة في أحد المواضع في الرواية "حاذر يا باسل، المسألة جدية. أنت تعرف العاقبة. لن أذكرك بما أوصيتك به سابقا. نصيحة نهائية. لا تقطع بأي موضوع دون استشارة لينا. فتاة صلبة. لديها خبرة."[142]

وعندما عثر اليهود على أن "لينا" تنتمي إلى خلية فدائية طّوقوا الشارع الذي تسكن فيه واعتقلوها سحبا من فراشها في منتصف الليل فيخاف باسل الذي ينتمي إلى نفس التنظيم عقب اعتقال لينا ويفكر أن الاعتقال يجرّ من نتائج ويتسأل: "ماذا لو حضر اليهود؟ ماذا لو حصلوا من لينا على اعتراف كامل؟!. التعذيب... أسامة... القبو... الصناديق.. المناشير.... ما العمل؟! لينا إنسانة صلبة؟ هكذا قيل له، وقد تحتمل التعذيب، ولكن هل يحتمله هو؟"[143] فهذه الفقرة تدل على أن الرواية الفلسطينية غلّبت إمكانية عدم انهيار السجينة الفلسطينية أمام جلادها المجرد من الرحم والإنسانية وعدم اعترافها بالرغم من أنواع شتى من التعذيب والتنكيل. وتشير إلى أن المرأة مستعدة لتحمل جميع صنوف المصائب والآلام في سبيل تحرير الوطن بكل صمود وصلابة. ففي روية "الصبار" يلفت أسامة أنظارنا إلى فتاة ضُبطت في نقطة التفتيش لتهريبها شيفرة تحت الباروكا، وهي تتعرض للضربات والتعذيب الجسدي على أيدي الجنود الصهاينة، "وفجأة ارتفع صياح فتاة ما... وسمع دوي صفعات متلاحقة، وقف الشعر في رأسه..... وارتفع صوت

---

[142]. سحر خليفة: الصبار، ص 135-136.

[143]. سحر خليفة: الصبار، ص 159.

الصراخ ثانية، وبدأت الفتاة تشهق، والجندية الإسرائيلية تصيح: افتخ رجليك، افتخ رجليك، لازم أشوف جوه.... وتلاحقت الفرقعات، ياكلاب، ياكلاب، ياكلاب.....آ.....آ.....آ...."[144]

"هكذا يصبح الاعتقال والسجن امتداداً لنضال المرأة الوطني، ومقياساً حقيقياً لمدى صلابتها وصمودها وقدرتها على التحمّل. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنه يفضح الممارسات الإرهابية التي تقوم بها سلطات الاحتلال تجاه المعتقلين والمعتقلات، ويعري أساليبها الوحشية في قمع السجناء وتعذيبهم جسدياً ومعنوياً، بغية تحويلهم إلى حطام أو بقايا كائنات، متجاوزة بذلك كل الأعراف والقوانين والقيم الإنسانية والأخلاقية."[145]

أما في رواية "باب الساحة" فإن "سحر خليفة تقدم مكاشفة عن دور المرأة في الانتفاضة والمقاومة في الأرض المحتلة، ترى أن المرأة هي العمود الفقري للمواجهة الحقيقية مع العدو، بينما يضطر الرجال إلى الهروب أو الاختباء بعد كل عملية وتبقى النساء في مواجهة شراسة أساليب الاحتلال و تنكيلاته اليومية. (إني أعقب على هذا الكلام بأنه مبالغة يتجاوز حد القبول). وتناقش ضمن هذا الإطار المفهوم الاجتماعي للشرف والخيانة والحب والصمود، وتقدم صورة حقيقية عن الواقع المعاش بدلا من اللجوء إلى الكليشيهات والتنظير، التي راجت كبديل للواقع لفترة ليست بالقصيرة. فالست زكية القابلة التي تدور من بيت إلى بيت تعرف أسرار البيوت والمناضلين، ولكنها صامتة لا تنقل كلاما ولا تبوح بسّر، تعتبر ضمير

---

[144]. المصدر السابق، ص 21 و 14.

[145]. حسّان رشاد: المرأة في الروية الفلسطينية، ص 109-110.

المجتمع وبوصلته التي تؤشّر في الاتجاه الصحيح. فأولا لم تكن لتجيب تحية الصباح على نزهة التي قتلت أمها على أيدي المقاومين لأنها متهمة بالتعامل مع العدو والتي تسكن في دار مشبوهة يرتادها الإسرائيليون؛ ولكن وبعد أن قدمت نزهة مأوى لحسام بعد جرحه غيّرت الست زكية موقفها من نزهة، و أخذت تزورها في منزلها لتشرف على ابن أخيها الجريح."[146]

وتحاول الروائية ليلى الأطرش في روايتها "وتشرق غربا" أن تثبت بأن النساء مساويات للرجال في الأزمة الوطنية، "فعندما تقع البلاد في أزمة، تكون النساء أول من يهب للدفاع عنها من خلال طرق و وسائل مختلفة. حسنة، الشخصية التي يشفقون عليها كثيرا في القرية، قد دفعت بأبنائها الخمسة من أجل فلسطين وعاشت بقية حياتها في حالة جنون. وهي تحمل معها دائما مفتاح بيتهم في القدس الشرقية حتى وهي نائمة. وعند احتلال الضفة الغربية، تكون هند بين أول الذين يسجلون أسماءهم في المقاومة وينفذون العمليات ضد قوات الاحتلال. في هذا الميدان، تحصل النساء على المديح والموافقة، إذا ليس من الأهمية بمكان أين يمكن أن يذهبن أو مع من يمكن أن يكنّ. أما أشد المحرمات المتعقلة بالنساء فهي الانغماس في علاقات جنسية، أو الزواج برجال من طوائف أخرى أو جنسيات أخرى. مثل هذه العلاقات تسبب الكثير من الثرثرة والانتقاد الاجتماعيين، ولكن حين تمارسها النساء فقط؛ أما الرجال فبإمكانهن الزواج بمن يريدون دون أن يجلبوا العار إلى أسرهم أو يلوثوا اسم آبائهم."[147] يعني تشير الروائية إلى نقطة مهمة وهي أن

---

[146]. بثينة شعبان: مئة عام من الرواية النسائية العربية، ص 221.

[147]. المصدر السابق، ص 154.

الفوارق الاجتماعية تختفي بين الرجال والنساء في الأزمة الوطنية لأن التركيز يتحول من الحقوق إلى الواجبات، حيثما تكون الواجبات في المقدمة فإن النساء يعتبرن دائما مساويات للرجال على الأقل، إن لم يكنّ أفضل، لأنهن يتحملن الأعباء نفسها إن لم يتحملن أكثر.

وتتعدد أشكال النضال الوطني لدى شخصيات ليانة بدر النسائية في روايتها "بوصلة من أجل عباد الشمس. "فها هي جنان تحاول أن تتكر جسدها الأنثوي، لما يمثله من ضعف، فترتدي اللباس العسكري، معظم أوقاتها، وتمارس نشاطها الوطني عبر المعسكرات الطلابية التي يتم فيها تدريب الفتيات على حمل السلاح، واستعماله ساعة الحاجة. كذلك تشارك في جمع التبرعات وشرح المواد التحريضية، وتوزع المنشورات السياسية. ولم يقتصر دور جنان على هذه المهمات المتتابعة، بل تعداه إلى المشاركة الفعلية في العمل التمريضي، ولاسيما أثناء أحداث أيلول. ويعلق صديقها عامر أثناء مروره بمركز الإسعاف: وأصبحت ممرضة أيضاً؟ لاشك أن سليمة الحاجة سوف تخيط لك ثوباً أبيض بعد انتهاء الحرب، وتدعوك بالطبيبة الجليلة."[148]

قد "أبرزت رواية ليانة بدر 'بوصلة من أجل عباد الشمس' دور المرأة الفلسطينية. ولا سيما المرأة المثقّفة الثورية في عملية النضال الوطني والاجتماعي، من خلال حشدها لعدد غير قليل من الشخصيات النسائية التي أظهرت بطولات، لا يستهان بها في بعض المراحل الصعبة التي مرت بها القضية الفلسطينية، ومن بين

[148]. ينظر: بوصلة من أجل عباد الشمس، ص: 21 و 62.

هذه الشخصيات تبرز شهد الصمدي التي قدمتها الرواية عن طريق ذكريات جنان صديقتها منذ الطفولة، ورفيقة دربها في النضال، وشريكتها في التظاهرات والانتفاضات، وهي أيضاً شاهدة على مآسي شهد، ومواقفها الشجاعة في مختلف مراحل حياتها، وظروف معيشتها... كانت طالبة متميزة تنتظر المساء بفارغ الصبر، لتمارس مع صديقتها جنان نشاطهما السري، الذي يتمثّل بتوزيع المنشورات السياسية الممنوعة، ولصقها على جدران المعهد، والتحريض على المظاهرات ضد سياسية القمع والاضطهاد، والثورة على المحتل. وقد اعتادت الاشتراك بمثل هذه التظاهرات، وهي لما تزل تلميذة صغيرة."[149]

"وإذ تحاول الكاتبة أن تجسد في شخصية 'شهد' الروح الثورية الحقيقية، لتتجاوز بذلك تناقضات الرجل المثقف، وتكشف زيف ادعاءاته، فإنها تمنحها دوراً كبيرًا يتناسب مع وعيها وملكاتها الفكرية، ومؤهلاتها، بوصفها امرأة مثقفة ثورية، عرفت موقعها في صفوف الثورة، من خلال اشتراكها في المعسكرات الطلابية، وقيامها بالكثير من المهمات النضالية التي كلفت بها، إضافة إلى نشاطاتها الأخرى، كجمع التبرعات، والقيام بأعمال الإسعاف والتوجيه والإعلام وتوزيع المنشورات السياسية، وسوى ذلك من النشاطات النضالية. كل ذلك جعلها تتجاوز دورها وحجمها كأنثى، تبعًا للمفهوم التقليدي، لتؤكد ذاتها وقدراتها على الصمود والمواجهة، وحمل السلاح. إذ تشارك مع رفاقها في عمليات المقاومة في أحداث أيلول عام 1970م وتقوم بمهمات قتالية عديدة، تظهر فيها جرأة وكفاءة عالية.

[149]. حسّان رشاد: المرأة في الروية الفلسطينية، ص 195-196.

وتمارس دورها التوجيهي الواعي، الذي برز أثره في حماية المقاتلين من آثار الإصابة بالقنابل الفوسفورية. وتستطيع، أيضًا، أن تتجاوز محنتها، وتتغلب على أحزانها إثر استشهاد حبيبها المناضل محمد فلاحة على مرأى منها."[150] لأنها تؤمن بأن "العالم لا ينتهي عند إنسان واحد، وهو واسع فسيح، يسمح على نحو ما باحتضان أمنياتنا، والعمل من أجل تحقيقها."[151] هكذا "تتمكن شهد من إعادة ترتيب أمورها، وتنظيم حياتها، على نحو يكفل لها الاستمرار. فمسيرة الثورة علّمت المناضل الثوري أن لا وقت للدموع، وأن الحرص على استمرارية الثورة، يعني من جملة ما يعنيه، دفن الأحزان، وعدم الاستسلام لليأس، والصمود أمام الصعاب، وتجاوز كل العقبات نحو غد مشرق، وحياة أفضل. وإذ تنتهي أحداث أيلول، تواصل شهد مسيرتها النضالية، من موقعها الجديد، بعد أن تخرجت من المعهد، وعملت معلمة للغة الإنكليزية، في إحدى مدارس وكالة الغوث، فكانت تبث أفكارها الثورية في رؤوس تلميذاتها. ولكنها سرعان ما تفصل من العمل في المدرسة، ويتكرر الفصل في أماكن أخرى، وتغلق دونها أبواب العمل في دوائر الدولة ومؤسساتها، بسبب نشاطها السياسي، لتصبح أخيرًا سكرتيرة في إحدى الشركات التجارية الخاصة في عمان. وعلى الرغم مما عانته من جراء فصلها المستمر من العمل، وملاحقة المخبرين لها بعد أحداث أيلول، لم تستسلم أو تهادن، أو ترضخ لأساليب الترغيب والترهيب التي مارستها عليها أجهزة السلطة، وهي تحاول دفعها إلى الانهيار والسقوط، أو الاعتراف بما لديها من معلومات حول علاقاتها مع

---

[150]. حسّان رشاد: المرأة في الرواية الفلسطينية، ص 197

[151]. ليانة بدر: بوصلة من أجل عباد الشمس، ص 68-69.

المقاومة، مقابل منحها شهادة حسن سلوك، تخولها العمل في أفخم المدارس، وتصبح أحسن معلمة. وتصر شهد على المواجهة والتحدي، يدفعها في ذلك عزيمة قوية، وإرادة صلبة، وإيمان عميق بسلامة المبدأ، ونبل الهدف، وقدرة كبيرة على مغالبة الشدائد، وأمل كبير بتجاوز هذه الأزمة كسابقاتها."[152] فنجدها تقول لصديقتها جنان: "يريدون تدمير عالمي بالفصل المستمر من جميع الأمكنة. حسنًا، ليفعلوا إن استطاعوا. لو تفتت العالم فسوف أعيد تجميع أركانه، ولربما خلقته من جديد كي أغيظهم."[153]

"إن التجربة الصعبة، والمعاناة المرة التي عاشتها شهد الصمدي، وسواها من شخصيات الرواية، أثناء أحداث أيلول وما بعدها، تصور صمود المرأة الفلسطينية المثقفة، المدعمة بالفكر الثوري، بل تصور صمود الجماهير في وجه الاضطهاد والسحق ومؤامرات التصفية. كما تعبر عن هموم المقاومة، وأزمتها الحادة في تلك المرحلة التاريخية الخطيرة من حياة الثورة والقضية الفلسطينية، وتؤكد حق المناضلين في مقاومة الموت والدمار، والدفاع المستميت عن ثورتهم ووجودهم، وحقهم في حياة حرة كريمة. وإذ تحرص الرواية على تقديم المرأة المثقفة الثورية، بصورة واقعية متوازنة، فإنها لا تهمل الجانب العاطفي-الشعوري من حياة شهد لكي لا تحولها إلى محض مناضلة ثورية لا هم لها إلاّ المقاومة، ولذا تبرز الرواية الجانب الإنساني الآخر من شخصيتها كالشفافية والحساسية المفرطة تجاه الأشياء المحيطة بها. فمثل هذه الشفافية، تمنح الشخصية بعداً آخر، يكسبها حضورًا أكبر،

---

[152]. حسّان رشاد: المرأة في الروية الفلسطينية، ص 197-198.

[153]. ليانة بدر: بوصلة من أجل عباد الشمس، ص 86.

فتبدو مقنعة صادقة نظيرة للواقع بكل ما تجسده. فشهد الشجاعة الصلبة. الجادة، ذات التطلعات الثورية، والإرادة القوية، تحب الحياة، وتستميت في الدفاع عنها، وتعشق الحرية، والعيش في أحضان الطبيعة، فلا عجب أن سمتّها صديقتها جنان:"[154] بأنها "شهد المطر والسوسن البري... حين رأتها تركض إلى الحديقة، غبّ المطر، وتقطف الأزهار الزرقاء... ثم تأتي بها إلى غرفتها بالمعهد، وتنثرها في جميع الزوايا وعلى كل رفوف الكتب وأغطية السرائر الخشبية."[155]

"كانت شهد فتاة رومانتيكية صارخة، لكن رومانتيكيتها بدأت تخبو وتتلاشى إثر الأحداث التي شهدتها... الفصل المتكرر من الأعمال يدفعها إلى مواصلة البحث عن العمل، إيماناً بأن العمل، ضرورة حيوية للإنسان، فهو نسغ حياته الذي يمنح وجوده معنى وقيمة، ويصون حريته، ويحمي خياراته الحياتية. ترفض شهد الزواج من رجل أكرش، يملك شقة كبيرة مترفة، وعدداً من السيارات الفخمة، وتصم أذنيها عن نصائح أمها لتقبل بهذا الرجل زوجاً. كما ترفض الرضوخ لدعوة خالها بالتخلي عن العمل النضالي، والأفكار الثورية. لم تتراجع شهد عن مبادئها، ولم تهادن، أو تستسلم لمن يريد اغتيال أحلامها الثورية، ودفعها إلى الانهيار والسقوط."[156] ولذلك رأيناها تكتب لصديقتها "يا جنان...إني دائمة الإحساس بأن من يكون مثلنا سيتمكن من مواجهة الرديء بنفس الشجاعة التي يواجه بها أفضل الأشياء. وسنستطيع أن نخلق من البشاعة، جمالية أخرى تكرس أصولها في صميم

---

[154]. حسّان رشاد: المرأة في الرواية الفلسطينية، ص 198.

[155]. ليانة بدر: بوصلة من أجل عباد الشمس، ص 17.

[156]. حسّان رشاد: المرأة في الرواية الفلسطينية، ص 199.

اليومي والعادي، وما يفرض علينا رغماً عنّا. ربما كان إحساساً بالفخر هو جزء من الحب العظيم الذي يشدنا إلى الوطن."[157]

هكذا ظهرت شهد الصمدي كامرأة ثورية وجريئة، مليئة بالحيوية والنشاط، متسمة بحرارة الخبرة، متألمة بأوجاع الوطن والشعب، وأحزان الرفاق، وهمومهم وآمالهم. كانت تؤمن بأن العلم والعمل والإرادة الصلبة هي العدة المهمة في الثورة والنضال. وفي نفس الوقت لا بد للإنسان أن يعمل بالصبر والحكمة.

"ورواية 'عين المرآة' لليانة بدر تلقي الضوء على معاناة المرأة وصمودها في المنفى من خلال نماذج عديدة. ومنها البطلة الرئيسية عائشة التي عاشت في مخيم "تل الزعتر" منذ أن كانت طفلة في مدرسة الراهبات إلى أن أصبحت أنثى مكتملة النضوج ثم متزوجة. والمخيم حيث أصبح "الناس تموت ليل نهار، الحياة هي الإستثناء والموت هو القاعدة." وهي النتيجة، التي يلاحظها من عاش في الواقع أو في الرواية مأساة مخيم (تل الزعتر) عام 1976م، ذلك المخيم/البؤرة الفلسطينية القابعة – دون سلام – في وسط بيروت الشرقية، حيث الأغلبية المسيحية، والتي أصبحت بعد الفرز الطائفي الذي أعقب إندلاع الحرب الأهلية عام 1974م،مركزاً للأحزاب والتجمعات اليمينية الساعية إلى إقتلاع الوجود الفلسطينيكاملاً من الأراضي اللبنانية، وسوء حظ (تل الزعتر) إنه كان (التجربة) الميدانية الأولى في هذا المخطط، لذلك ذاق أهله من المرارات ما لا يمكن وصفه ومعايشته إلا كما أجادت وتفوقت ليانة بدر في روايتها "عين المرآة". استطاعت

[157]. ليانة بدر: بوصلة من أجل عباد الشمس، ص 88.

ليانة بدر من خلالها الإطلال على جزئيات وبواطن النفس البشرية لشخصية عائشة لتعطينا شخصية ستظل مميزة ومتفردة،"[158] "التي يؤرقها أمر وحيد هو أن تفهم لم حدث كل هذا؟ لم الحرب؟ لم نحن هنا؟ لم الموت؟ ولم لا نعيش حياة طبيعية مثلنا مثل غيرنا؟ لم لا يقبلون أن يتركونا في حال سبيلنا؟ لم يخرجوننا من بلادنا ويغضبون حين نعمل على الرجوع إليها، ثم لا يقبلوننا حيث نحن! أين نذهب إذا؟..... سحبت عائشة أنفاسها الثقيلة من قعر صدرها رغما عنها. الحر ! ورائحة الجثث والدماء الفاطسة. لا يمكن أن يتحول البشر الأحياء إلى رائحة مرة وقاتلة كهذه. لا يمكن أهذا معقول!. أهذا معقول على رأي أم حسن التي سبقتها إلى الجانب الآخر من المدينة. واستجمعت في فكرها ما كانت تقوله العجوز لها: يا خالتي سنصير كلنا نساء قبضايات. هل خلوا لنا شيئا آخر كي نكونه؟ كل شيء يأخذونه منا، الزوج والأولاد والبيوت والحواديت والعواجيز.. كل شيء. لهذا نظل ندافع طيلة الوقت كأننا لسنا نساء بل واقفات وراء متراس."[159] وكذلك "كانت أم حسين وأم جلال من النماذج الحية للمرأة الفلسطينية التقليدية التي كبرت مع الذل والشقاء، ورغم ذلك يفعلان أكثر مما يستطيعان، لمساعدة المقاتلين المدافعين عن المخيم.. وفي هذا السياق، من المهم ملاحظة أن 'عين المرآة' من الروايات القليلة جداً في ميدان الرواية الفلسطينية، التي ركزت وبشكل فني على بطولة (الأنثى) ودورها في صمود مخيم (تل الزعتر)، وهي بطولة ليست مختلفة فنياً، لكنها التعبير الفني عن بطولة حقيقية صنعتها (المرآة) – شابة ومتقدمة في العمر وطفلة –

[158]. د. أحمد أبو مطر: "حول رواية "عين المرآة" لليانة بدر شخصيات حالمة وسط مأساة دامية"، الموقع الشخصي للكاتب.
[159]. ليانة بدر: عين المرآة، ص 174.

وبدونها لما توفر لمخيم تل الزعتر ومقاتليه الصمود كل ذلك الوقت... أم حسين، أم جلال، الممرضة خزنة، عاملة الإشارة هناء، حتى الطفلة ابتسام، هنّ اللواتي صنعن بطولة 'تل الزعتر' وأسطورته. وقد التقطت ليانة بدر تلك النقطة بحسها الأنثوي، وما كان غيرها من الكتاب (الرجال) في مجتمع (رجولي) التفكير والسيادة، أن يدرك الدور الأنثوي في أسطورة تل الزعتر."[160]

إننا شاهدنا مما سبق من النماذج من الشخصيات الروائية أن المرأة الفلسطينية ظلت قوة فاعلة في حركات بناء الوطن الفلسطيني وكائنا مؤثرا في سبيل تحرير الأرض المحتلة واقفة إلى جنب الرجل تشاركه في سفر الكفاح والنضال وتؤازره في معركة الصمود بكل جدية وصلابة.

[160]. د. أحمد أبو مطر: "حول رواية "عين المرآة" لليانة بدر شخصيات حالمة وسط مأساة دامية"، الموقع الشخصي للكاتب.

الباب الثالث

الصور المختلفة للمرأة

هذا الباب يشتمل على خمسة فصول وهي كما يلى:

الفصل الأول: المرأة المثقفة

الفصل الثاني: المرأة المستسلمة/المهمشة

الفصل الثالث: المرأة المناضلة

الفصل الرابع : المرأة المتمردة

الفصل الخامس: المرأة المومس

الفصل الأول

المرأة المثقفة

لشخصية المرأة المثقفة حضور بارز في النص الروئي لأنها تتحلى بنعمة العلم والمعرفة والثقافة وهي تتأثر بالبيئة الاجتماعية وتؤثر فيها أكثر من غيرها. ولذلك نجد أن الروائيات الفلسطينيات قد اخترن الشخصيات النسائية المثقفة بشكل ملموس لإبراز القضايا المهمة التي تتعلق بالنساء. وقدمن نماذج متعددة للمرأة المثقفة من أمثال المرأة المثقفة الضائعة، المرأة المثقفة الواعية، المرأة المثقفة المتمردة وما إلى ذلك.

ومن أبرز الروائيات الفلسطينيات الكاتبة البارعة سحر خليفة التي قدمت صورا متعددة للمرأة المثقفة في رواياتها المتعددة وهي لم نعد جواري لكم، ومذكرات امرأة غير واقعية، والصبار، وعباد الشمس، وباب الساحة، والميراث، وربيع حار.

ففي رواية "لم نعد جواري لكم" قدمت سحر خليفة صورة للمرأة المثقفة الرسامة من خلال شخصية "سهى بركات" التي كانت تبحث عن الحرية المطلقة في حياتها الفردية ولكنها وقعت في المأزق ولم تستطع الحصول على الحرية والسعادة في حياتها الشخصية. إنها كانت تريد أن تعيش حياة متحررة من قيود المجتمع وشروطه حتى أصبحت عبدة الفساد إذ اعتقدت أن الحرية في التمتع بممارسة الجنس كما تقول سهى بركات في رواية "لم نعد جواري لكم" بكل صراحة "قالت ببساطة: كنت أشتهيه!. ابتسم وطأطأ رأسه ولم يعقب، فقالت بحدة: نعم كنت

أشتهيه، ماذا، ألا يحق لي أن أشتهيه؟! وأخذ يرقبها بابتسام، فصاحت: ألم تشته امرأة أبدا؟. قال: ومن ينكر هذا؟"[161].

وكذلك أخذت سهى بركات تتعاطى المخدرات المتنوعة هربا من الواقع وبحثا عن الحرية الشخصية فهي تقول: "أنا لا أتعاطى نوعا محددا كي لا يدمنه جسمي، فأنا أتعاطى شتى الأنواع، كل الأنواع، أى نوع يصادفنى أو أستطيع الحصول عليه!. فقال بدهشة: ولكن هذا صار جدا، وسوف يتلف صحتك وأعصابك!، فتساءلت بسخرية: وعلام الخوف؟

- على الحياة، ألا تخافين على الحياة؟
- بلى أخافها، ولا أخاف عليها."[162]

وتعلمت سهى الفن لتهرب من عبودية الرجل لأنها تريد أن تعبد الفن دون الرجل لأن الرجل يقضي على الحرية إذ الفن يؤدي إلى الحرية ويتيح الفرصة للتعبير عن المشاعر والعواطف التي تموج في الداخل، ولكنها فشلت في البحث عن الحرية والسعادة من الجنس والمخدرات والفن، ووقعت في صراع حاد بين نداء الروح ونداء الجسد، وأصبحت دائمة الحزن والألم.

وفي رواية "مذكرات امرأة غير واقعية" نلاحظ أن سحر خليفة تقدم صورة المرأة المثقفة التي تعاني من الضياع وأزمة الانتماء في المجتمع الذكوري من خلال شخصية عفاف فهي تقول في مستهل الرواية "أنا ابنة المفتش، وبقيت كذلك حتى تزوجت وأصبحت زوجة تاجر، وأحيانا أكون الإثنين معا. فحين يسخر الزوج

---

[161]. سحر خليفة: لم نعد جواري لكم، ص 120.

[162]. المصدر السابق، ص 169.

ينادني: يا ابنة المفتش، وحين يغضب الوالد ينادني يا امرأة التاجر."[163] وتجد عفاف نفسها كمرأة مغتربة نفسيا واجتماعيا، وهي تندفع في حركتها تارة، وتنغلق على نفسها تارة أخرى، تتمرد حينا، وتحاول أن تصارع، لكنها تستسلم لقدرها، وتتراجع عن الصراع، لتبقى تمردها حبيس جدران عزلتها. تقول عفاف في موضع: "أصابنى الذعر فانثنيت حتى أتنى علي، ثم سئمت فأطلقت هبة، وحين تنفست اختنق الجميع."[164] "تعبر الكاتبة في هذه الجملة عن واقع اغترابها حين تصطدم بقيم الأهل التي تتعارض مع قيمها، فينعتها والدها بالهوائية، فتنشرح، لكن الوالد يؤكد لها أن الكلمة نقيض للإحترام فتصاب بالذعر، وتدخل في عالمها الخاص مغتربة عن والدها وعن جميع من يحمل قيما تعجز عن فهمها."[165] ولم يتغير شعورها بالاغتراب حتى بعد الزواج إذ تزوجت من رجل لا تحبه ولا ترغب فيه، وكان زوجها يعيش في بلد غريب، فزادت غربتها المكانية إلى غربتها النفسية، ولجأت إلى ممارسة الرسم للهروب من الواقع، ولكن الرسم لم يساعدها للتخلص من الاغتراب والوحدة والضياع النفسي كما تقول عفاف: "بدل أن يساهم الرسم في تحقيق ما طلبت حرمني راحة البال والصداقة، وحرمني مشاركة ابنة المفتش."[166]

مع أن الزواج كان فاشلا لم تستطع التمرد منه، واستمرت الحياة الزواجية حفاظا على اسم العائلة وسمعتها، فكانت تحس بالفراغ والوحشة حتى بين الأهل والأقارب، "وهذا يجعلها تتقوقع وتبحث عن صلة مع الأشياء بدل بحثها عن صلة مع البشر، وينحصر عالم عفاف في البيت، في المطبخ وغسل الثياب، ما يجعل

---

[163]. سحر خليفة: مذكرات امرأة غير واقعية، ص 6.

[164]. المصدر السابق، ص 6.

[165]. غدير رضوان طوطح: المرأة في روايات سحر خليفة، ص 81.

[166]. سحر خليفة: مذكرات امرأة غير واقعية، ص 149.

حياتها رتيبة ويزيد من اعتمادها على الزوج خارج البيت، وبسبب اعتمادها واتكالها فهي عاجزة عن التصرف بمفردها، تخاف من أن تخطو خطوة من دونه، ما يجعل تمردها عاجزا مشلولا."[167] يعني تحاول عفاف التمرد من القيود الاجتماعية أو الزواجية ولكن الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية لا تسمح بذلك كما تقول: "إذا فقدته فمن ينتظرني ومن يوصلني ومن يستقبلني؟ ومن يهئ لي التذكرة والجواز وإذن الخروج، من يحول لي العملة ومن يعطيني العملة؟"[168].

مع أن عفاف إمرأة مثقفة لا تثق بالنفس وتخاف أن تسافر بمفردها للعودة إلى بلدها وحضن أمها، ولكنها فيما بعد استجمعت قواها وقررت أن تسافر لوحدها للعودة إلى وطنها. وفي طريقها تلتقي مع نوال، امرأة واقعية إيجابية، التي نصحتها أن تبدأ حياتها من جديد وأن تصبح واقعية. ولكن نجدها في نهاية الرواية تلجأ إلى عالمها الخيالي، وتعود إلى طريقها المسدود الذي كانت تحاول اختراقها للحصول على الحرية والاستقلال، وتحديد هويتها ووجودها في المجتمع. وبهذا تريد الروائية أن تشير إلى أن المرأة العربية تواجه المشاكل والصعوبات في طريق التحرر والاستقلال، ولا فرق في أن تكون المرأة مثقفة أو غير مثقفة كما تخبر عفاف بطلة الرواية "تأملت باب المغارة ما زال مسدودا بالأشواك والحجارة وأعشاب الزمن."[169]

وفي رواية "الصبّار" نجد البطلة الرئيسية "نوار الكرمي" كنموذج للمرأة المثقفة ولكنها تتردد بين القديم والجديد، بين القيود والمعوقات الاجتماعية الراهنة والطموحات والآمال التي تحلم بها في الفترات الآتية. هي تحب الفتى الفدائي

---

[167]. غدير رضوان طوطح: المرأة في روايات سحر خليفة، ص 82-83.

[168]. سحر خليفة: مذكرات امرأة غير واقعية، ص 82.

[169]. سحر خليفة: مذكرات امرأة غير واقعية، ص 92.

السجين في إحدى سجون الاحتلال وتكتب الرسائل إليه وتزوره في السجن مدعية خطيبته، ولكنها لا تستطيع أن تعبر عن حبها له أمام والدها الذي يريد أن يزوجها من الطبيب الثري "عزت"، فيحثها أخوها الثوري باسل على إعلان حبها له حتى قال مرة "لو كنت مكانكِ لما أبقيت المسألة سرا."[170] وهو الذي بادر إلى إعلان ذلك أمام أسرته قائلا: "نوار الكرمي تحب صالحا الصفدي ولا ترغب في الزواج من أي رجل آخر."[171] فاندفعت نوار في ذلك الحين إلى الاعتراف بحبها لصالح الصفدي قائلة: "بلى بلى سأتزوج منه. أنا لن أتزوج إلا من صالح، ولن أرى أي رجل آخر. لا عبد ربه ولا أي عبد آخر. أنا لن أتزوج إلا من صالح حتى ولو انتظرته مئة سنة. أنا لن أتزوج من غيره. لن أتزوج أي رجل غير صالح."[172] تريد الكاتبة من خلال نوار الكرمي الإشارة إلى أن الثورة العامة تؤدي إلى الثورة الخاصة أن الثورة الفلسطينية الوطنية ضد القوى المحتلة في الأرض المحتلة تدفع المرأة خاصة المرأة المثقفة إلى التمرد من القيم الاجتماعية والقيود التقليدية كما سنكتشف اهتمام نوار الكرمي بمعاناة أبناء الضفة تحت الاحتلال من خلال الحوار التالي الذي جرى بينها وبين أسامة. تبدأ نوار الحوار قائلة:

"سأتخرج... هذا العام. ثم أعمل وأساعد عادل في حمل أعباء الدار.

وأنت؟

- وأنا أيضاً. سأحمل أعباء الدار والدنيا. والدنيا هنا ملخبطة.

---

[170]. سحر خليفة: الصبار، ص 157.

[171]. المصدر السابق، ص 169.

[172]. المصدر السابق، ص 170.

- علا العبوس وجهها.

-ملخبطة جداً

- قال مازحاً:

- يحّطها الحلاّل

- قلت بجدية:

- نحلّها نحن.

رمقها متفحصا. تساءل:

- والحياة صعبة. أليس كذلك؟ وأحياًنا يضطر الإنسان لأن يطأطئ.

رفعت عينها. سحبت كتبها من يده:

- الأقوياء لا يطأطئون.

وهل أنت قوية؟

-أحاول...

-وخالي؟

- أبي كل يوم على هذا المنوال. الصحفيون هم شغله الشاغل. يتسلى.

- يتسلى!

- ماذا إذن؟ الصحافة لن تحل القضية. ولكن لا بأس. هذا يجعله يحس بأنه يؤدي عملاً. يتعاطى الكلام. مجرد كلام....

وصعدا الدرجات بصمت. وقالت وهي تلمس الغبار المتراكم على خشب السلالم بإصبعها:

- الدار قذرة باستمرار. أترى؟.... وأردفت: ومازال الناس يفخرون باقتناء دور كبيرة كهذه، موضة قديمة. لا تجارى روح العصر. هذه الدار بحاجة لثلاث خادمات على الأقل. وليس في الدار من خادمة سواي.

- علّق.

- وظاهرة الخدم انقرضت. هل يزعجك هذا؟

-لا أمر طبيعي. علينا أن نتعلم خدمة أنفسنا بأنفسنا. لكن هذه الدار مصيبة لا يحس بها أحد سواي."[173] قد ثبت من الحوار السابق بأن البطلة الرئيسية إمرأة مثقفة واعية بما تواجه المرأة الفلسطينية من معوقات في الحياة اليومية من جانب، وبما يواجها أبناء الأرض الفلسطينية من جانب آخر.

ولكننا عندما نصل إلى الجزء الثاني من ثنائيتها "عباد الشمس" نجد أن قولها لا يتماشى مع فعلها ووعدها. فهي تتراجع عن وعدها بأنها لا تتزوج إلا من صالح الصفدي ولو مست الحاجة إلى انتظار مئة سنة. لم تستطع أن تفي بوعدها لانتظار صالح الذي كان يساعده في تحمل المصائب والآلام في السجن. إن الكاتبة تريد من خلال هذا التطور الذي طرأ في الجزء الآخر من ثنائيتها أن تشير

[173]. سحر خليفة: الصبار، ص 32-34.

إلى نقطة مهمة وهي أن تحولت نوار من كونها امرأة مثقفة انتقالية إيجابية إلى امرأة مستسلمة راضية لأنها لم تستطع أن تواجه القيود والمعوقات الاجتماعية التي ترعرعت في جوها ولأنها تنتمي إلى طبقة برجوازية لا تهتم إلا بمصالحها الشخصية، فهي لم تتمكن من الخروج من انتمائها الطبقي.

ولكن تقدم سحر خليفة نموذجا مختلفا للمرأة المثقفة في رواية "عباد الشمس" من خلال شخصية "رفيف" وهي فتاة شابة تبلغ الثلاثين من عمرها وتنتمي إلى أسرة تقليدية من الطبقة المتوسطة وتمثل نموذج المثقفة الواعية. هي تعمل في مجلة كصحفية، وتحرر زاوية المرأة فيها، وتبذل جهودا كبيرة في إثارة قضية المرأة بواسطة مهنتها الصحفية، وتسعى لتحقيق وجودها وتأكيد هويتها في المجتمع العربي الذكوري، وهي تعتقد بأن تحرر الوطن الفلسطيني مرتبط بتحرر المرأة الفلسطينية من القيود الاجتماعية السلبية. لذلك نراها تحاول من خلال مهمتها الصحفية تغيير المفاهيم البالية ونشر الوعي والمعرفة، وتطالب من هيئة التحرير للمجلة أن تتوسع زاوية المرأة لتشمل نصف المجلة فتقول أثناء النقاش مع أعضاء هيئة التحرير: "وبناء على كل ما أوردت أقول: لنصف الشعب الحق في نصف المجلة."[174] لتحتوي المجلة على موضوعات علمية متعددة بشأن قضايا المرأة وتكون فاعلة ومؤثرة لإيقاظ الوعي العربي بتحرر المرأة العربية ثم تحرر الوطن العربي الفلسطيني.

وفي رواية "باب الساحة" تطالعنا شخصية "سحاب" كنموذج المرأة المتعلمة تعليما جامعيا، وهي واعية ومستيقظة، ولها إلمام بالسياسة "تدرس العلوم والأحياء،

---

[174]. سحر خليفة: عباد الشمس، ص 219.

تخرجت من الجامعة الأميركية في بيروت بعد أن نالت منحة، كانت من العشرة الأوائل. فهي إذن ذات عقل وفهم، الجامعة الأميركية والأحياء؟ يا رب السماء!"[175]

إنها وقعت في حب قيادي كبير في السياسة، ولكنها علمت فيما بعد أنه انتهازي ويستغلها جنسيا ولا قيمة للمرأة عنده، بل هي كزوج جرابات عنده، كما هي تحكي "اصح يا شاطر بعدك صغير، تحكي عن الحب؟ تذكّرني بقيادي كبيري، كان بلبنان قبل الضربة، أحببته أكثر من عمري، بس يا خسارة! المرأة عنده زوج جرابات. كل زوج من لون، كل لون في درج، وكل درج برقم، وخزانة مسكّرة بالمفتاح، يمد يده يلوي الخزانة بالمفتاح، يفتح الخزانة بفتح الدرج، ويأخذ من الدرج زوج جرابات، اللون المناسب للبدلة."[176] يعني هي تنتقد القادة والسياسيين الكبار انتقادا لاذعا الذين يستغلون المرأة لحاجاتهم الشخصية، ولا يقيمون لها وزنا في الأسرة والمجتمع. وكذلك نراها ترفض رفضا باتّا أن تُستخدم المرأة كرمز للوطن أو الأرض أو الأم، وتنادي بضرورة التعامل مع المرأة بصفتها إنسانة تبكي وتضحك، تخطئ وتصيب، تأكل وتشرب كما "قالت بعتاب: بل الفكرة يا ابني يا شاطر في الأولى أنا كنت الأم، والآن، أنا كنت الأرض، وغدا، طبعا، أكون الرمز. اصح يا شاطر، أنا لست الأم، ولست الأرض ولست الرمز، أنا إنسانة آكل أشرب أحلم. أخطئ أضيع أموج وأتعذب وأناجي الريح. أنا لست الرمز، أنا المرأة."[177]

وكذلك نجدها ترفض أن تكون المرأة بضاعة في أيدي الرجال وتسلط الضوء على ذلك بطريقة منطقية في الجمعية التي جرى النقاش فيها عن المرأة، "قالت سحاب في الجمعية، لكن الحضارة وعي ومنطق، بدون الوعي لا تكون حضارة،

---

[175]. سحر خليفة: باب الساحة، ص 53.
[176]. سحر خليفة: باب الساحة، ص 174.
[177]. المصدر السابق، ص 176.

بـدون حضـارة ينكسـر الحـر. و"الطبقيـة؟" حجـر ببنـاء أهرامـي. حجـر واحـد. و"الحريـة؟".... الحـب لا يعنـي الطاعـة، وقوالـب جـاهزة ودكـاكين، لسـنا بضـاعة. صاحت هذه، وتغّت تلك، وخرجت من الجمعية يهتف، فامتلأت الشارع عالصفّين، صفّ الذكور وصفّ الجنود. والنسوة يتلقين الضرب."[178] ولذلك نجد أن حسام الذي تعلق بسحاب منذ صباه رغم تفاوت كبير بينهما في السن، وكان يحلم بحبه لها، "وحين التقتا لأول مرة أحسّ بزلزال في بدنه. صعقة كهربية أشعلت في قلبه هّبات نار امتدت وانداحت في رأسه. وقفز الدمع إلى عينيه بدون مبّرر، فلا حزن هناك، ولا ألم أو خوف. لكن الدمع غباش مفاجئ. كانت كبيرة، وهو صغير. كانت معلمة في مدرسة على الدرج العريض، وكان ما زال صبيا، ولهذا حاول أن يكبر."[179] ولكنه في النهاية فشل في حبه لها لأنه لم يكن يتصورها كإنسانة بقلب وروح بل كان يعتبرها رمزا للمثالية أو العار. ولكن طرأ تحول كبير في حياة حسام تأثرا بأفكار نزهة، شخصية أخرى في الرواية. وبعد أن فشل في حبه لـ"سحاب"، فإنه تعلم أن المرأة ليست رمزا لهذا وذاك بل هي إنسان بقلب وروح، على الرجل أن يتعامل معها كالمرأة الإنسانة وهي نصف المجتمع ونصف الشعب. فسحاب نموذج بارز للمرأة المثقفة التي تسعى إلى تغيير أفكار الرجال عن المرأة في المجتمع الذكوري.

وفي رواية "الميراث" تقدم سحر خليفة صورة المرأة المثقفة الواعية بما يدور في الأرض المحتلة وما تعاني منها المرأة من أزمة الغربة والضياع من خلال شخصية "زينة". وهي من أب فلسطيني وأم أمريكية. وهي مؤلفة معروفة في علم

---

[178]. سحر خليفة: باب الساحة، ص 182.

[179]. سحر خليفة: باب الساحة، ص 52.

الإنسان والحضارات (أنثروبولوجست). إنها كانت تعيش في أمريكا مع والدها الذي كان قد حصل على البطاقة الخضراء. "ابتدأت القصة في نيويورك حين جاء الوالد من القرية وتزوج إمرأة أميركية، طبعا أمي، وحصل على البطاقة الخضراء، ثم الطلاق كالعادة، ثم البقالة والزوجات، وجيش عريض من الأطفال."[180] بالرغم من أنها ولدت وعاشت في أميركا (نيويورك-واشنطن) كانت تشعر بالاغتراب وعدم الانتماء لذلك المكان، وبالعكس كانت تحنّ إلى المكان البعيد الذي سمع عنه عن طريق أبيها، وهي بلدة وادي الريحان بالقرب من نابلس في فلسطين. وكانت تحلم بأحلام جيدة بالنسبة لذلك المكان. "فرق كبير، مسافة طويلة، بين نيويورك وواشنطن ووادي الريحان. وادي الريحان كانت أبدا في ذاكرتي عكس نيويورك، بلدة صغيرة، بلدة نقية، أهلها بسطاء يحبون الخير والطبيعة، بعكس نيويورك. حين سمعته في ذاك المساء يذكر ذلك ركضت الدرجات وأنا أصرخ: راجعين للبلاد، راجعين، راجعين. لكنا أبدا لم نرجع لأن الوالد هرب مني، أو بالأحرى، أنا من هربت."[181]

فتمثل زينة صورة المرأة العربية المثقفة التي تعيش في بلد الغربة وتشعر بالضياع وتعاني من أزمة الهوية والانتماء لأن الإنسان لا يكون شيئا بدون الهوية والانتماء. والشعور بالضياع وعدم الهوية يدفع الإنسان إلى عالم الحزن والكأبة المستمرتين كما تقول زينة "قبل ضياع، لغتي ضاعت، هويتي ضاعت، وكذلك اسمي وعنواني. كان اسمي بالأصل زينب حمدان، ثم مع الوقت، أصبح زينة. كان الوالد، محمد حمدان، ثم مع الوقت، صرت بلا محمد حمدان. أصل الوالد: وادي

---

[180]. سحر خليفة: الميراث، ص 11.

[181]. المصدر السابق.

الريحان، وأنا ولدت في بروكلين. فزينة إذن بين البينين واللغتين والمفعولين مفعول بروكلين والضفة، مفعول الجدة والوالد، ثم بلا فاعل ومفعول."[182]

لجأت زينة إلى جدتها عندما تزوج والدها من إمرأة جديدة وأراد أن يقتلها حينما علم بأنها حامل بطريقة غيرشرعية. فهي كانت تعيش مع جدتها ولكنها لم تستطع أن تنسى والدها لأنها كانت تحبه حبا جما. فزادت غربتها على غربة. وبالرغم من أنها نجحت في حياتها المادية لم تستطع الخروج من الغربة وفقدان الحنان من الأم والأب والأسرة، وعدم الانتماء لتلك الأرض التي ولدت فيها وعاشت، كما تقول: "كنت أظن أن نجاحي سوف يجعلني أقوى وأقدر على استرداده، لكن ما حدث هو أنني كلما أصبت نجاحا طلبت المزيد. النجاح كان أن أثبت ذاتي، ففقدت الإحساس بالآخرين ..... نجحت، نجحت، وأي نجاح! نعم حصلت على جائزة أفضل دراسة في الجامعة، وصرت رئيسة دائرة في علم الإنسان، ولكن، ثم ... وماذا؟"[183]

ثم أتاه شعاع الأمل يطرق الباب عندما تلقت رسالة من عمها المقيم في فلسطين تدعوها إلى البلد الذي تحلم به منذ الصغر، "ثم وصلتني رسالة من عم لي يقول فيها ما معناه: 'عجّلي قبل أن ينقطع الخيط ويسقط حقك في الميراث'. ولم أضع وقتا طويلا في التفكير، بل اتخذت قراري بلا تردد، إذ أحسست ساعتها أني أقف أمام نافذة خلف ستائرها تكمن ملامح البلد الذي طالما حلمت برؤيته، وحنان الأهل الذين فقدتهم منذ الطفولة، ودفء الانتماء إلى جذور بحثت عنها بلا طائل. وعليه، فقد جمعت أشيائي وسافرت. أخذت إجازة مفتوحة بعد أن أفهمت العميد أني

---

[182]. سحر خليفة: الميراث، ص 18.

[183]. المصدر السابق، ص 26 و 30.

لن أعود إلى واشنطن قبل أن أعرف من أهلي وأعيد الجذر إلى المقطوع."[184] ولكنها عندما وصلت إلى وادي الريحان فلم تجد الواقع كما كانت تحلم به ولم تشعر بالدفء الذي تنتظره بعد رجوع الفرد إلى أسرته وعودة الجذع المقطوع إلى أصله، إذ كان الأطفال كانوا يعتقدون بأنها يهودية "وأخذت عيون الأطفال تحدّق إلّى بصمت وبرود وجسارة وحين وصلت آخر الشارع صاحت بنت بصوت حاد: 'شالوم يا مره'. وصاح الأطفال 'شالوم، شالوم'. فأحسست بحزن وبغربة."[185] فوجدت زينة نفسها فجأة غريبة وضائعة جذورها ولغتها وهويتها. فإن سحر خليفة حاولت من خلال زينة تصوير الوضع الفلسطيني بعد "أوسلو" الذي أدى إلى قيام السلطة الفلسطينية بهوية زائفة بصورة عامة وتصوير وضع المرأة بصورة خاصة كما تقول زينة تصويرا عن فلسطين عندما وصلت إليها "وهالني الفارق الجسيم ما بين الداخل والخارج. فطول الطريق ما رأيت إلا الزبالة والحيطان الملطخة بالأسود والأبيض وألوان الطراشة المبعثرة فوق الكتابة على الجدران والشوارع المملوءة بالخردة ومياه المجاري ووسخ كثير. أما هنا، فهذا الماء وهذا الزهر وفيض النظافة! وفيما بعد عرفت أن هذا نظام البلد، أو نظام البلاد"[186].

وفي رواية "ربيع حار" تمثل "لورا الوشمي" نموذج المرأة المثقفة. أمها كندية وأبوها أمريكي. وأبوها كان من الأثرياء الذين حصلوا على الغنى والثروة على حساب الفلسطينين. وعندما قتل أبوها اتّهم مجيد بقتله الذي كان يدرس معها في نفس الجامعة ولم تكن لورا مثل أبيها ولم تقبل بالشائعات، وساعد مجيد للخروج عن هذه الورطة إذ كان برئيا. وكانت تعمل بالصحافة فهي استخدمت مهنتها لتغطية

---

[184]. سحر خليفة: الميراث، ص 43.

[185]. المصدر السابق، ص 44.

[186]. المصدر السابق، ص 45.

الأوضاع الفلسطينية بشكل عادل ومحايد بعد الاجتياح الإسرائيلي الجائر الذي دّمر البيوت وخّرب الديار، "صاحت لورا: هذا تعويض عن ماذا؟ عن نسف البيوت؟ عن خراب المدن؟ عن صف طويل من الشهداء يصل جهنم؟ إسمعي هذا."[187]

وإذا ننتقل إلى روايات ليلى الأطرش فنجد أن صورة المرأة المثقفة قد شغلت حيزا ملموسا فيها بأشكال مختلفة وأنواع متعددة مثلا المرأة المثقفة المتمردة الإيجابية والسلبية والضائعة وما إلى ذلك.

تقدم سحر خليفة في رواية "وتشرق غربا" شخصية "هند النجار" كنموذج للمرأة المثقفة المتمردة إيجابيا التي تعتزم مواصلة التعليم بعد إكمال المرحلة الثانوية وترفض أول خطيب وافق عليه والدها بدون استشارتها "فالشاب قريب أمها، ووالده واثق أن شخصا كإبنه لا ترفضه أي فتاة، فهو مجتهد ويملك الكثير ويعمل في الكويت. ذهب إلى مصنع شكري النجار فطلب يدها لإبنه أمام العمال بثقة."[188] ولكنها لا تخضع للعادات والتقاليد السائدة في المجتمع الأبوي "تملكت هند عندما علمت بذلك رغبة كبيرة في تحدي الوالد وخذلانه. تمقت أن لا يقيم الناس وزنا لرأيها ومشاعرها ويجرحها ذلك الإحساس."[189] إنها حققت أحلامها لإكمال دراستها الجامعية في مجال الحقوق/المحاماة بالرغم من معارضة والدها، وذلك بجانب وظيفتها كمعلمة في قرية "العيزرية". فهي حاولت الوقوف على قدميها اقتصاديا ونفسيا لتستطيع أن تتحرر من القيود الاجتماعية والعقبات التقليدية، ثم تطورت شخصيتها شيئا فشيئا إلى أن انضمت إلى حركة المقاومة ظنا بأن التحرر السياسي

---

[187]. سحر خليفة: ربيع حار، ص 298.

[188]. ليلى الأطرش: وتشرق غربا، ص 87.

[189]. المصدر السابق، ص 88.

لازم قبل التحرر من القيود والأصفاد الاجتماعية التقليدية لأنها لا تريد أن "تقف كالآخرين مكتوفة الأيدي.. والممارسات من حولها تطال الأهل والناس والأرض.. وأن تستسلم لليأس، فتقاوم."[190]

وفي نفس الرواية تطالعنا شخصية "سلمى الأكحل" كنموذج للمرأة المثقفة الواعية. وهي مؤلفة وكاتبة، وتحاول التعبير عن معاناة المرأة العربية عامة والفلسطينية خاصة عن طريق تأليفها وكتابتها. "كتبت سلمى روايتها الأولى، عاشت لحظات اعتراف ذاتي في خلوة حتى عن هند، ومن حجم ما كتبت، أدركت هند انشغال سلمى وتوتّر مشاعرها...."[191] إنها انتقدت في هذه الرواية والدها الذي كان يفضّل إخوتها عليها واستنكرت السلطة الأبوية والبيئة الذكورية. ولذلك أعطت والدها أول نسخة من روايتها لكي يفهم والدها مشاعرها وعواطفها التي تتحدث عنها بسبب تفضيله لإخوتها الذكور عليها "قرأها بتمعن وبلا تعليق... قلبها، وطلب من سلمى أن تتريث وتستمر في الكتابة... ولا بأس لو انتظرت حتى تكبر لتعيد كتابتها بشكل أكبر!"[192] ولكن والدها لم يستطع أن يفهم الأحاسيس المكنونة وراء تلك القصة فهي تستغرب وتتسأل "كيف لا يستطيع والد أن يفهم ما يعني أن تكتب قصة؟ ولماذا يعجز الكبار عن فهم تلك الأحاسيس ويدّعون أنها غير ناضجة؟ وما معنى ناشر وتوزيع؟ وما يهمّها هي، أن تطبع القصة فتصير كتابا يحمل اسمها! ولماذا لم تعجبه وفيها أحاسيس لا يعرفها أحد، ومعاناة ليال طويلة وحب صامت كبير ... ولِمَ يعجز ذلك العسكري عن فهم مشاعر متفجرة فيها؟"[193]

---

[190]. ليلى الأطرش: وتشرق غربا، ص 221-222.

[191]. المصدر السابق، ص 80.

[192]. المصدر السابق.

[193]. ليلى الأطرش: وتشرق غربا، ص 80.

أصبحت سلمى الأكحل معلمة وكاتبة غزير الإنتاج، كانت تكثر كتابة المقالات في الصحف اليومية حول قضايا المرأة وتناقش حريتها وحقوقها وأوضاعها السائدة في المجتمع العربي الفلسطيني. "بلا جهد أو تخطيط صارت سلمى كاتبة لعمود أسبوعي على الصفحة الأخيرة .. ومحررة لصفحة تعني بشؤون المرأة؟!"[194] فهي استخدمت وعيها وثقافتها وقلمها لتحرير المرأة من القيود الاجتماعية السلبية والعادات السائدة البالية لأن قضية المرأة جزء لن ينفصل عن قضية الوطن.

وإذا نلقي أنظارنا على روايتها "ليلتان وظل امرأة" نقع على شخصية "آمال الأشهب" وهي فتاة مثقفة جامعية وحصلت على شهادة جامعية في حقل المحاماة. تقدمها ليلى الأطرش كنموذج للمرأة المثقفة الانتقالية السلبية التي تعاني من صراعات داخلية ومعاناة نفسية منذ الطفولة إلى الكهولة إذ كانت أقل جمالا وحسنا من شقيقتها "منى" وكان يخيل إليها بأن "منى" كانت مفضلة عليها لدى والدتها "تخلصت من وجودي مع منى حيث تذرعت بالعمل المتراكم في مكتبي رغم عطلة المحامين. وأدهشني أن أستعرض أهميتي في بساطتها.. وأكره هذا الخاطر الذي يعجز عن النظر إلى وجهي في مرآة السيارة.. كنت دائما هكذا .. مع مُنى وغيرها، أحمل هزائمي وخوفي وعدم قدرتي على المواجهة إلى داخل نفسي وأهرب إلى ذاتي."[195] ومن معاناة آمال النفسية أنها تعرضت لمحاولة الاعتداء والتحرش من قبل يوسف خطيب شقيقتها منى "حينما سدّ الطريق علّي بذراعه التي وضعتها على المكتبة فوق رأسي.. ويده الأخرى تحاول أن تطوّقني.. ووجهه يبعث عن فمي..

---

[194]. المصدر السابق، ص 125.

[195]. ليلى الأطرش: ليلتان وظل امرأة، ص 77.

وشفتاى بكر لم يمسسها بشر، ولا مفر..... أفلتّ .. كنت أركض بدموعي وخوفي وثورتي عبر البوابة وحديقة الجيران..."[196]

إن هذه الحادثةأثّرت في حياة آمال وشخصيتها، ثم نجد أن شحصيتها تطورت، ونشأت روح التمرد فيها على مر الزمان. فهي ترفض السلطة الذكورية والقيود الاجتماعية، وتكمل تعليمها الجامعي، وتحصل على شهادة المحاماة، وتتزوج بمن تحب وترضى، ولكنها تحسّ فيما بعد بأن كل ما حصلت عليه بالتمرد على المفاهيم الاجتماعية لم تتمكن من الحفاظ عليه فهي تعبر عن مشاعرها وتقول: "وأدركت أنني في انشغالي بتحقيق الأنا التي أريد تجاوزت الخط الذي يشكل توازني، فإذا الخط يتسع ويمتد في غفلة مني وينأى بمن أحب."[197] ونشأت المسافة بين آمال وزوجها الذي أحبته وتزوجت منه محققة أحلامها "فإذا الحب عاجز عن أن يصهر كل الحدود والحواجز بين ذاتين.. أردت أن انصهر وأذوب فيه، قرر هو أن يكون ذاتين، فاخترت ذاتي!"[198]، "كنت أغبط عادل .. على نجاحه وثقته وتحديد أهدافه، بينما ضاع مني الهدف حين أحببته وتزوجته، وجلل دروبي الضباب وحجب الهدف والغاية. طمعت أن أكون أنثى وأما ومحامية، وعجزت عن إقامة التوازن بينها .. وإذا بي وحدي! مع ابن لا ينعم بصحبة أبيه! عادل أيضا مخطئ .. لا يعرف كيف يحب!"[199]. فإن آمال كانت تعاني من صراعات داخلية ومعاناة نفسية بالرغم من إرادتها القوية لمواجهة العقبات والعوائق في المجتمع إذ كانت الظروف كانت أقوى وأشد من إرادتها.

---

[196]. المصدر السابق، ص 80.

[197]. المصدر السابق، ص 138.

[198]. ليلى الأطرش: ليلتان وظل امرأة، ص 155.

[199]. المصدر السابق، ص 156.

وفي نفس الرواية نلتقي بصورة المرأة المثقفة التي تعاني من الضياع والاضطراب النفسي تقدمها ليلى الأطرش من خلال شخصية "مُنى الأشهب" وهي الشقيقة الكبرى لـ"آمال". بالرغم من أنها كانت ذكية ومتفوقة في الدراسة لم تتمكن من مواصلة تعليمها بعد الثانوية بسبب الضغوط الأسرية على عكس أختها آمال التي حصلت على الشهادة الجامعية في المحاماة. فهي كانت تعاني من مركب النقص وتلوم نفسها "لماذا لم أكن مثلها؟ لماذا لم أفعل ما فعلته؟ اشتريت إطراءهم وإعجابهم فدفعت غاليا. وبعت لهم قدرتي بثمن بخس لأكون موضع الإعجاب والرضا فكيف فعلت ذلك!"[200]. "آمال كانت دائما تفعل مالا أجد وقتا له، كنت أبحث عن إرضاء الكبار وإعجابهم .. والديّ والمدرسين. أتلقى الدعاء والإعجاب بينما تجمع هي صور النجوم من علب اللبان، تلتهم القصاصات كما المجلات والكتب القليلة التي يحضرها والدي ثم تقرأ كتبي في غفلة منى! تفوقت عليها في دراستي .. وسبقتني آمال بكل ما هو خارج المقرر الدراسي .. فأمتلئ حسدا."[201] وبكت مُنى بكاء شديدا يوم حصلت آمال على شهادتها الجامعية كما عبّرت عن مشاعرها تلك الليلة قائلة "حين تهادت آمال في صفوف الخريجين تحلّق بسعادتها .. شهادة الحقوق في يدها .. تبتسم لي وتقبلني. بكت أمي في عناقها ثم التفتت إليّ، ضمّتني فانتحبت. هل بكت فرحتها أم أحلامي الضائعة. تجلدت .. ابتسمت وقبلتهما مباركة. ليلتها بكيت في فراشي كما لم يحدث من قبل. وحين علا نشيجي تسللت إلى الحمام وأسلمت ذاتي لحزني. والنار تشعل مني الصدر والعقل حتى لطمت وجهي لا أدري كيف؟ وعويلي المحبوس يمزقني. وتعجز أنهار دموعي عن

---

[200]. المصدر السابق، ص 17.

[201]. ليلى الأطرش: ليلتان وظل امرأة، ص 16.

إخماد لوعتي."[202] ولم تتوقف معاناتها النفسية عند هذا الحد بل ازدادت إذ فرض عليها الزواج بمن لا تحبه وترضاه، وبعد الزواج لم تجد استقرارها العاطفي والنفسي في حياتها الزواجية أيضا. فهي أصبحت ضحية عاجزة تمنعها الأسرة من التعليم، وتفرض عليها الزواج بمن لا ترغب فيه، وتقضي حياتها الباقية مكبولة بقيود المجتمع، وظلت عاجزة عن التمرد على القيود والعقبات الاجتماعية السلبية، ولجأت إلى الذات وعالمها الخيالي إذ تعترف بذلك نفسها قائلة: "تعودت أن أنفصل عن جسدي، أخرج منه ومن واقعي .. وحدي أنا .. كان الحس ينسل مني .. من جسدي التائه، يهوّم شاطحا في تمرد على استسلام ذاتي .. ينتقي مني خيالاتي ويطير بها، فأنتشي بوحدتي خارج جسدي وواقعي وأطرب لها."[203] فتمثل مُنى المرأة المثقفة الضائعة التي تجد طريقها محفوفا بالضغوط الأسرية، والعقبات والحواجز الاجتماعية والتقاليد السلبية التي تُكره المرأة للاستسلام للواقع التقليدي واللجوء إلى العالم الخيالي والانطواء على الذات.

وترسم ليلى الأطرش صورة المرأة المثقفة الواعية في رواية "صهيل المسافات" من خلال شخصية "زهرة" التي تسعى لتحقيق هويتها في المجتمع الأبوي والمحيط الذكوري، وتريد أن تعيش مع الزوج كشريكة حياة ورفيقة دَرب، وتؤدي دورها في مجال العمل والكسب، ولا تريد أن تبقى راضية بأداء الأدوار الهامشية في الحياة كما يعترف بذلك زوجها صالح أيوب. "زهرة تمردت على دورها فصارت زوجة عاملة ناجحة. نعجز دائما عن تحديد قدرات من هو قريب منا حتى اختزال المسافات معه، فيختلط الخاص والعام فيه.. ويصعب التمييز بينهما، خاصة من

---

[202]. المصدر السابق، ص 17.

[203]. ليلى الأطرش: ليلتان وظل امرأة، ص 31-32.

نطويهم تحت أجنحتنا أو نشهد نموهم فلا نفطن لتنامي القوة وامتلاك الذات.. والزوجات والأبناء. وحين عملت زهرة ونجحت كان ذلك بإرادتي. وأعترف أنني غبطت زهرة وقدرتها في بداية عملها حين حسبت أي إطراء لها إنما هو تملق لي .. و زهرة قليلة الكلام عن عملها. وحين أدركت حقيقة نجاحها من تسلقها سلم الوظائف العليا بسرعة، انتابني، وفي أحايين كثيرة، إحساس أنهم يتحدثون عن امرأة أخرى غير زوجتي."[204]

من خلال هذة الفقرة تحاول الروائية أن تشير إلى النقطة المهمة للغاية وهي أن الرجل أيضا يحتاج إلى التحرر من القمع الاجتماعي وأن يساعد المرأة في سبيل التحرر والانعتاق لكي يصبح كل منهما جزء مكمِّلا للآخر، كما هو الحال بين زهرة وزوجها صالح أيوب الذي يعترف كل الاعتراف بالدور الذي تلعب زوجته في حياتهما "تنبهت في لحظتي أنني شُغلت كثيرا عن زهرة والأولاد وامرأتي أقوى مما أظنّ.. وتملك أن تضمّد جراحي. ويصمد رجل ويقوي حين يظلله إعزاز امرأة عاشقة تؤكد ارتباطها ومصيرها به من لحظة ضعفه."[205] فتمثل زهرة نموذج المرأة المثقفة الواعية التي تلعب دورا مشكورا في تغيير المفاهيم الاجتماعية السلبية وخلق البيئة الملائمة للإنسانية.

كذلك نجد نموذجا آخر للمرأة المثقفة الواعية والجديدة في رواية "مرافئ الوهم" متمثلا في شخصية شادن الراوي، وهي كاتبة ناجحة وصحفية بارزة، وكانت تحب كفاح أبوغليون الصحفي الفلسطيني المسيحي، وكانت تريد الزواج به متمردة على القيم الاجتماعية إذ كان ينتمي إلى الدين المسيحي. ولكنها غيّرت قرارها

---

[204]. ليلى الأطرش: صهيل المسافات، ص 50.

[205]. ليلى الأطرش: صهيل المسافات، ص 50.

للزواج به إذا وجدته يخونها."بيني وبينك شك وخوف ذرعه في النفس ما سمعتُه ورأيته ذات يوم بعيد دون أن تدري أنت.. بكيتُ وتألمت حين انفرط وتناثر الحب فيما شاهدته منك، وصرتَ في الفكر حائطا لا يمكنني أن أستند إليه وأطمئن. لم تفهم لماذا خذلتك، ولم تعرف أنني رأيتك تخونني ونحن نخطّط لمواجهة الجميع!"[206]

وبعد أن خدعها كفاح ركّزت شادن عنايتها على الكتابة والصحافة، وحاولت من خلالها تحقيق وجود ذاتها في المجتمع الذكوري كما تقول "صرت امرأة أخرى قادرة بعيدا عنك، لم أعد غريرة كما تركتني، نضجت ودخلت مراحل العمر ومسّمياتها."[207] ولكنها "لم تستطع التخلص من وجوده في مخيلتها، كما لم تستطع التحرر من إرثها الثقافي والتربوي، فخطواتها كانت مرهونة بعقل يحدد مسيرتها. يتضح هنا سعي ليلى الأطرش لتصوير العادات والقيم الاجتماعية التي تحد من تمرد المرأة المطلقة، فتظل مرهونة بثقافة العيب والحلال والحرام، وتبدو بذلك الشخصية الأنثوية محصورة ضمن إطار الفرد الذي يملك العقل الحسابي، إذ لا يعّبر صاحبه عن مشاعره أو أفكاره أو يتصرف إلا بما يخدم غايات المجتمع ومراميه."[208]

و"تحمل شخصية شادن النموذج الروائي ومن خلفها المؤلفة، موقفا واضحا لمفهوم الحرية الفردية والمرتبط بوعي المرأة وتصويرها لنفسها ككائن مستقل، يرى أن الحرية هي وعي بالضرورة الاجتماعية والتربوية، التي تحدد علاقتها بالآخر

---

[206]. ليلى الأطرش: مرافئ الوهم، ص 8-9.

[207]. ليلى الأطرش: مرافئ الوهم، ص 9.

[208]. غادة إسماعيل محمد تيم: شخصية المرأة في أدب ليلى الأطرش الروائي، ص 133.

ضمن إطارها المشروع، لا خروجا عن الشريعة الإسلامية إن كانت الشخصية مسلمة. وشادن كغيرها من النساء المثقفات الواعيات تكتم عواطفها ولم تكسر قوانين الأم وتتمرد عليها،"[209]. كما تشير إلى ذلك قائلة: "علمتني أمي أن امرأة عربية مثلي يضيرها أن تصرح بالمشاعر.. أكسر قانونها."[210]

[209]. المصدر السابق، ص 133.

[210]. ليلى الأطرش: مرافئ الوهم، ص 25.

الفصل الثاني

المرأة المستسلمة/ المهمّشة

إن المرأة المستسلمة الراضية أيضا قد حظيت بشئ من العناية من الروائيات، وهي المنسجمة غالبا مع واقعها والمستسلمة لظروفها. تفكيرها بسيط، ووعيها عفوي ومحدود، ويغلب أن تكون أمية. اهتماماتها بسيطة، تبدو قدرية إلى حد بعيد، وخاضعة بصورة شبه كلية للعادات والتقاليد، وتنتمي، غالًبا إلى جيل ماقبل النكبة، جيل الأربعينات والثلاثينات وماقبل.

فقد قدمت الروائية ليلى الأطرش عدة نماذج نسائية مهمشة تابعة، وحاولت من خلالها تسليط الضوء على الواقع الاجتماعي بأن "مثل هذه المرأة لا تهتم بالشأن العام، ولا تحمل قضية تناضل من أجلها، ولا تمتلك الوعي الكافي لتكون مؤثرة في محيطها. ولا تقدر على ردّ الظلم عنها، وتظهر كمثال للزوجة المطيعة التابعة، وتعيش في ظل زوجها مغيبة لا دور لها. والمرأة المهمشة التابعة غالبا لا تأخذ دورا رئيسيا في الرواية، وإنما تظل ضمن سياق الشخصيات الثانوية، ويتولى الراوي الرد عنها بمنظوره الأيديولوجي، ما يدل على كونها شخصية تحركها الروائية مباشرة وبطريقة خارجية، كما جاءت شخصية عفاف الناطور في رواية امرأة الفصول الخمسة، وشخصية نور زوجة المخرج سيف العدناني في رواية مرافئ الوهم."[211]

[211]. غادة إسماعيل محمد تيم: شخصية المرأة في أدب ليلى الأطرش الروائي، ص 144-145.

نجد شخصية "عفاف الناطور" في رواية "امرأة الفصول الخمسة" كزوجة مطيعة لزوجها فارس، ومستعدة لتنفيذ كل ما يأمر به بدون الحق على إبداء الرأي أو الاعتراض حتى على قرار خاطئ أو قول باطل. فهي أصبحت شخصية مستسلمة راضية مخلوقة عديمة الشخصية. يقول فارس: "أرأيت يا جلال. هذه البلاد ليس فيها إلا العمل والأكل... والنوم. وغمز زوجته ضاحكا فضحكت.. ثم انكشمت وقد احمرّ وجهها خجلا بحضور أخويها. أختك يا سيدي، مازالت تكتب الشعر، أوراق ودفاتر. تصور!.. تتغزل حتى بالرمال، وتصرّ على أن الإلهام يأتيها على شاطئ البحر أسرع .... تبكي وتضحك وتكتب شعرا تافها ببساطة متناهية."[212]

فكانت عفاف الناطور تعيش مع زوجها حياة مهمشة تابعة لزوجها وتقوم بكل شئ لإرضائه كما تقول: "وفعلت كل شئ لأرضيه. غيرت لون شعري وملابسي. اشتركت في معهد تجميل وأنقصت وزني."[213] ولكنها فوجئت بأن تزوج عليها زوجها فتاة صغيرة في عمر ابنته. فهي وصلت إلى بيت أخيها الناطور "وشكلها الغريب يوحي بكارثة ... قصرت ثيابها وشدت جسدها وانكشف عنقها ومساحة من صدرها بينما شعرها الكستنائي ما زال مصففا بعناية رغم بؤسها، وخلا وجهها من المساحيق في حين انتفخ أنفها بالبكاء."[214] ولكن تدخل أخواها جلال الناطور وإحسان الناطور في هذا الأمر وأجبرا فارس على تطليق الفتاة الصغيرة / الزوجة الثانية لأن "الأراء جميعها اتفقت على أن فارس يعطي للعروس الصغيرة

---

[212]. ليلى الأطرش: امرأة الفصول الخمسة، ص 86.

[213]. المصدر السابق، ص 139.

[214]. المصدر السابق، ص 138.

خمسمائة ألف ليرة عطلا وضررا ومؤخر صداق، قبل أن يسافر مع عفاف الناطور إلى أوروبا بدلا من العروس الطفلة."[215]

نسبت لهذه الشخصية دور ثانوي، هي لا تتحلى بوعي كاف، ولا تبدو إنسانة واعية لها ذهن ثاقب وعقل مفكر وأهداف نبيلة. فليست هي مؤثرة في المجتمع ولا تشارك في بناء الوطن وتقدمه.

وتمثل شخصية "نور" في رواية مرافئ الوهم نموذج المرأة المستسلمة الراضية التابعة المهمشة، وهذا ما يعكسه قول زوجها وهو يتحدث عن قصة زواجهما "نور حبيبتي..عرفتها يوم أعلن التلفزيون عن وظائف للمواطنات .. تقدمت قلة، رأيتها فأدركت أنها هي وحدها بين النساء قدري.. لم أعد أرى سواها .. تزوجتها لأمنعها من العمل. جن والدي ولطمت أمي وجهها .. هولية ؟ .... تزوجت نور رغما عنهم فقاطعوني، وما زالت أمي لا تزورني ولا تستقبل زوجتي إلى يومنا هذا .. أنا والأولاد نزورها فقط .. نور حياتي."[216] بالرغم من أن نور تعيش مع زوجها حياة منقادة وتستسلم لرغباته وتخضع لأوامره، نجد أن الزوج "سيف العدناني" لا يقيم وزنا لهذه العلاقة الزواجية ولم يكن مخلصا في حبه لزوجته المستسلمة الراضية بل يخونها ويهمّشها تهميشا كاملا بأنه يقوم بمغامرات جنسية مع النساء ولا يتأسف في ذلك بل يقول: "شهوة عابرة لا استطيع مقاومتها .. إذا تبت عن النساء أموت!.. ثم لا علاقة لهذا بحّي لنور.. النساء الفاتنات مرض لا أستطيع الشفاء منه! يا أخي، الحديث يقول لو أبصر أحدكم امرأة في صورة شيطان فليأت أهله فإن ذلك يردّ ما

---

[215]. ليلى الأطرش: امرأة الفصول الخمسة، ص 142.

[216]. ليلى الأطرش: مرافئ الوهم، ص 67-68.

في نفسه، وأنا لا يمكن أن أحمل نور على كتفي وأينما ارتحلت. لأنّ كل النساء يأتين أمامي في صورة شيطان! فماذا أفعل؟"[217]

"فهذه الفقرة تشير إلى مدى تهميش المرأة في المجتمع العربي الذكوري، إنها تقع ضحية كاملة لمجتمعها الذي يهمّشها، فلا تعرف من أمرها شيئا، ويتظاهر الزوج بالمقابل بأنه يحب زوجته ويبرر تصرفاته كرجل شرقي ضمن فلسفته خاصة به، وتظل المرأة مقيدة تدور في فلك هذا الكون، تدفع الثمن في الأحوال كلها خنوعا وانزواء وتبعية، ورضا يتعافى عن الحقيقة، تنتظر عودة الزوج وقت ما يشاء، بينما يبيح الرجل لنفسه مالايبيحه لشريكته في الحياة الزوجية."[218]. و"آخرون منهم حين تلمح غريزتهم يركضون إلى الكهوف حيث نساؤهم ليقضوا وطرا سريعا، فيدخلون ويخرجون في دقائق!"[219]

"مما تقدم نجد أن ليلى الأطرش سلطت الضوء على بعض الجوانب لأهم سمات تلك الفئة من الرجال التي لا تنتمي لذاتها، لتشبع غرائزها وشهواتها، وهي قادرة على أن تفعل كل شئ لإطفاء إدمانها المرضي. وجاءت المرأة نقيض تلك الشخصية، تابعة، خاضعة، لا تحرك ساكنا في كسر هذا القالب الذي وُجدت به، فخفت صوتها في الرواية كما في الواقع، ارتضت لنفسها التبعية والاستسلام لرغبات الزوج، تنتظره ولا تشارك في تأكيد ذاتها وفاعليتها في المجتمع، لذلك لم تركز ليلى

---

[217]. ليلى الأطرش: مرافئ الوهم، ص 68.

[218]. غادة إسماعيل محمد تيم: شخصية المرأة في أدب ليلى الأطرش الروائي، ص 148.

[219]. ليلى الأطرش: مرافئ الوهم، ص 58.

الأطرش على وصف الشخصية المهمشة، منطلقة من كونها شخصية عابرة، محدودة الدور، ولا تؤثر في سواها من الشخصيات."[220]

وتلقي سحر خليفة الضوء على كون المرأة تابعة ومهمشة في المجتمع الذكوري من خلال البطلة عفاف في رواية "مذكرات امرأة غير واقعية" التي تعيش حياة بشعة مع زوج مقامر وسكّير كما تصف حياتها "جاء ليلة أمس متسللا كالعادة. حركة التسلل لم تفلح بفضل عنبر واختلال التوازن. تقّيأ في كل مكان وعلى كل شئ. ناداني فادعيت النوم. هدّدني فازددت نوما. فتح النافذة وأخذ يشتم فصاح رجل من العمارة المجاورة محاولا إسكاته، فاشتبك الاثنان بالسباب المقذع، وأنا أرتجف في فراشي خوفا وقرفا."[221]

تبرز الكاتبة في هذه الفقرة مدى عجز المرأة في المجتمع إذ يعتبرها الرجل لعبة يلعب بها كيفما يشاء ولا تستطيع أن ترفع صوتها ضد الضغوط الاجتماعية السلبية، ولا تجد فرصة لأداء الدور الفعال في بناء المجتمع بل تضطر إلى أن تعيش حياة تابعة مهمشة مستسلمة للمفاهيم السائدة في المجتمع، ولا تستطيع أن تخرج من نطاق الدور التقليدي كالولادة والقيام بأعمال منزلية كما تفعل عفاف محاولة لإرضاء زوجها "وفي محاولة يائسة لإصلاح ما أفسده الدهر أبدأ بتجميل البيت وتجميل نفسي. أقلب البيت عاليه سافلا فأغسل الزجاج بالليف والصابون حتى يصبح كالألماس، وأنحت البلاط حتى يصبح كالمرآة، وأملأ النوافذ وحفاف البلكون باللحف والبطانيات ومخدات الإسفنج، ومخدات القطن وأشمس بذلاته حتى يتصاعد منها البخار. وأنزل للسوق وأشتري اللحم والخصار وأتفنن في انتقاء

---

[220]. غادة إسماعيل محمد تيم: شخصية المرأة في أدب ليلى الأطرش الروائي، ص 148.

[221]. سحر خليفة: مذكرات امرأة غير واقعية، ص 46.

الأكبر، والأنضر والأطزج."[222] ولكننا نجد في نهاية هذه الرواية أن عفاف لا تبقى تابعة للرجل وتخرج من نيّر الزواج محاولة للحصول على الحرية والاستقلال ولتحقيق الهوية والذات.

وتقدم سحر خليفة نمطا آخر من المرأة التقليدية السلبية التي تعيش بعيدة عما يجري في المجتمع والوطن جاهدة لتحقيق أمانيها الحلوة وأحلامها العذبة ومستسلمة للقضاء والقدر في القضايا التي لا تهّمها مباشرة ، وذلك من خلال شخصية أم أسامة في رواية "الصبار" عندما يعود أسامة إلى فلسطين بعد غياب طويل ويريد أن يعرف حال الوطن والأرض المحتلة، تجيبه أمها "البلد بخير يا ابن بكره يحلها الحلال ويزول الاحتلال."[223] فهي لا تهتم بالهّم الوطني بل تهتم بهمومها الشخصية ومخططاتها الذاتية، وتريد أن يتزوج ابنها نوار ابنة خاله مع أنه يعاني من الهموم الوطنية ويرزح تحت وطأة الاحتلال "وعرضت عليه فكرة غير متوقعة. فلماذا لا يعمل في مزرعة خاله؟ المزرعة خالية. وعادل مثل أخيه. والعمل في الزراعة ليس صعبا.

- كان والدك مزارعا طيلة عمره.. وقد جعل من الأرض الصخرية جنة. نقب الحجارة وفتت الصخور ونخل التربة. ستتعب في البداية لكنك ستعتاد ذلك. ولن تكون مرؤوسا من قبل أحد. فعادل مثل أخيك. وبعد عمر طويل سترث نوار حصتها. وتصبح شريكا في المزرعة.

---

[222]. سحر خليفة: مذكرات امرأة غير واقعية، ص 62-63.

[223]. سحر خليفة: الصبار، ص 30.

ضحك وعلّق: تزوجين وتميتين وتخططين كما تريدين. وعند الأزمات الحقيقية تقولين يحلّها الحلال!"[224]

من خلال الفقرة السابقة تحاول الروائية أن تشير إلى نقطة مهمة وهي أن المرأة عندما لا تقدر على مواجهة الأزمات والكوارث والتغلب على الخوف والقلق تضطّر إلى الأحلام والطموحات الذاتية وتلجأ إلى الاستسلام القدري وتقضي حياتها الباقية راضية ومستسلمة.

ومن اللافت أن الرواية الفلسطينية لم تعتن بتقديم الشخصيات النسوية التابعة والمستسلمة والمهمشة بكثرة أو بتفصيل. لعل السبب يعود في ذلك إلى كونها شخصية عابرة غير مؤثرة.

[224]. سحر خليفة: الصبار، ص 35-36.

الفصل الثالث

المرأة المناضلة

يعرف كل من له إلمام بالتاريخ الفلسطيني أن احتلال القوات الإسرائيلية لأرض فلسطين عام 1948م ثم لمناطق الضفة الغربية وقطاع غزة عام 1967م قد أدّى إلى معاناة الفلسطينين الذين آثروا على البقاء في الأرض المحتلة. إنهم قد عانوا ولا يزالون يعانون من شتى المصائب والآلام من القتل والاعتقال والتعذيب والحصار وما إلى ذلك. ولكنهم بقوا صامدين في وجه الاحتلال وهمجيته، ولم تتخلف المرأة الفلسطينية في المقاومة والمناضلة بطرق مختلفة بل تحملت جميع الكوارث والمأسات صامدة وصابرة إلى جانب الرجل، ولذلك نجد أن الروايات الفلسطينية (خاصة النسوية) قد أولت اهتماما كبيرا برسم صورة المرأة المناضلة والمقاومة بأشكال فنية.

ومن الشخصيات التي تمثل المرأة المناضلة شخصية نوار الكرمي التي تحب فتى مناضلا صالح الصفدي وتكتب له الرسائل وتتلقى منه الرسائل وتزوره في السجن وتدعي للسلطات بأنها خطيبته، "نوار الكرمي تحب صالح الصفدي ولن تتزوج من أي رجل سواه، نوار الكرمي تحب مناضلا ولا أعرف كيف يحب أئ مناضل فتاة مائعة كنوار الكرمي."[225] فهي أيضا تشارك في النضال الوطني من خلال تأئيدها الفكري لشاب مناضل يقبع في السجن وتعلن بأنها لا تتزوج إلا منه

[225]. سحر خليفة: الصبار، ص 170.

ولو احتاجت إلى انتظار مئة عام، "أنا لن أتتزوج إلا من صالح حتى ولو انتظرته مئة عام."[226]

وفي نفس الرواية تبرز سحر خليفة دور المرأة في المقاومة المباشرة والصدام العفوي الفردي ضد المحتلين من خلال شخصية أم أسامة. فعندما يدخل الجنود الصهاينة بيت أم أسامة بحثا عن ابنها أسامة، تواجهم بكل جرأة وبسالة حتى تشتم أحد الجنود كما تصور الرواية هذا المشهد في الفقرة التالية:

"وتشاورالجنود. خرجوا من الغرفة، وبقي واحد. أمسك الأوراق التي أشار إليها الجندي السابق. جلس على كرسي المكتب وسأل بلهجة متحضرة:

- أين ابنك؟
- وماذا تريدون من إبني؟
- لا شئ. سنأخذه دقائق معدودات ونعيده إليك بالسلامة.

لا سلم الله فيك موخز إبرة يا ابن الحرام، تضحك على شيبتي يا لعين الوالدين!

- سافر ابني الله يرضى عليه إلى عمان قبل ثلاثة أيام ولم يعد.
- متى سيعود؟
- بعد أسبوع أو أسبوعين لا أعرف.
- متى غادر الدار؟
- قلت لك قبل ثلاثة أيام."[227]

---

[226]. سحر خليفة: الصبار، ص 170.

[227]. سحر خليفة: الصبار، ص 141-142.

ومن الشخصيات المناضلة التي تقدمها سحر خليفة في هذه الرواية هي شخصية لينا، وهي أخت المناضل صالح الصفدي، وهي نفسها مناضلة وثورية تنتمي إلى خلية فدائية، ولها مكانة مرموقة في هذه الخلية حتى نرى أسامة يتحدث عن مكانتها وأهميتها في هذه الخلية فيقول: "حاذر يا باسل، المسألة جدية. أنت تعرف العاقبة. لن أذكرك بما أوصيتك به سابقا. نصيحة نهائية. لا تقطع بأي موضوع دون استشارة لينا. فتاة صلبة. لديها خبرة. والآن، دعني أقبلك. قد لا أراك ثانية. كن رجل يا باسل. لا تثق بأحد. وخصوصا سكان هذه الدار."[228]

وعندما قام أسامة بتفجير باصات العمال تم اعتقال لينا أيضا بتهمة انتمائها إلى الخلية الفدائية "اعتقلوا لينا... سحبوها من فراشها في منتصف الليل بعد أن طوّقوا الشارع كله."[229] وبعد اعتقالها كان صديقها في التنظيم يتساءل "ماذا لو حضر اليهود؟ ماذا لو حصلوا من لينا على اعتراف كامل. التعذيب.. أسامة..القبو.. الصناديق.. المناشير.. ماالعمل؟"[230] تشير هذه العبارة إلى إمكانية انهيار لينا أمام السلطات الإسرائيلية، ولكن سرعان ما يستبعد انهيارها تعرضا للتعذيب ويردف قائلا: "لينا إنسانة صلبة، هكذا قيل له، وقد تحتمل التعذيب، ولكن هل يحتمله هو؟"[231]

هكذا "قدمت الرواية الفلسطينية صورة حية وأمينة ونقية للمناضلة السجينة. فنأت بها عن الانزلاق في مهاوي الانهيار أمام جلادها الذي لا يرحم، والمحقق المجرد من الآدمية. والسبب لاشك، يعود إلى أن المرأة المناضلة تحمل في

---

[228]. المصدر السابق، ص 135-136.

[229]. المصدر السابق، ص 156.

[230]. المصدر السابق، ص 159.

[231]. المصدر السابق، ص 159.

جوانحها أهدافاً نبيلة، وهي تعي تماماً هذه الأهداف، وتؤمن بها، لذلك لا تحيد عنها، مهما لاقت من صنوف التعذيب الفظيعة. هذه المواقف البطولية المشّرفة التي أبدتها المرأة تجاه قضيتها، من صمود ومقاومة وتعرض للاعتقال والسجن والتعذيب، أسهمت كثيراً في تبّوئها موقعًا متميزاً في مقاومة الاحتلال، وجعلت أولئك المترددين، من المثقفين اليساريين، الذين يؤمنون بالحل المرحلي للقضية، يشعرون بصغرهم أمام عظيم تضحياتها."[232] كما نجد أن عادل الكرمي يؤنب ضميره ويندم أشد الندم حتى يقول: "الفتيات يعتقلن أنا جالس في هذا المقعد. وبعد لحظات سأجلس على الطاولة وآكل كما يأكل الآخرون، وأشرب الشاي وابتسم، ثم أنام."[233]

وفي رواية "باب الساحة" تقدم سحر خليفة نموذج المرأة المناضلة من خلال شخصية "الست زكية"، وهي إمرأة مسنة تعيش وحيدة في بيتها بعد أن هاجر زوجها وتزوجت بناتها. وكانت تكتسب قوتها عن طريق مهنتها كداية. إنها كانت تعمل حتى وقت متأخر من الليل وكانت تتعرض للتفتيش من جنود الاحتلال وتواجه مشاكل أخرى في الطريق عندما كانت تعود إلى بيتها. "أم الشباب (الست زكية) لا تخشى العتمة، هذا ما تتناقله الحارة ويهمس به الملثمون وهي تمر بهم في خان التجار والحواكير والتواءات الأزقة.... تمشي في الطريق حتى تجّمدها صرخة، وقّف وتقف، ويقتربون والعوزيات مصّوبة نحوها ونحو الشنطة.

- افتح شنطة.

---

[232]. حسان رشاد الشامي: المرأة في الرواية الفلسطينية، ص 111.

[233]. سحر خليفة: الصبار، ص 162.

وتفتح الشنطة. ويرون أدواتها البسيطة: قطن، شاش سرنجات، مطهرات وتحاميل...

- داية.
- داية؟ ما داية؟
- يعني يولّد النسوان وبحيب بيبيات."[234]

فإن الست زكية (أم الشباب) كانت تواجه مشاكل مختلفة في حياتها الشخصية في الأرض المحتلة ولكنها لا تتخلف عن لعب دورها النضالي خلال الانتفاضة، بل تلعب دورا بارزا في المناضلة والمقاومة بطريقة مباشرة أو غيرمباشرة كما نجدها تقوم بأعمال إسعافية للجرحى والشباب المناضلين المصابين، "وتتقلب أدواتها البسيطة أدوات جراحة. فتخّيط هذا وتجّبر ذاك وتستخرج رصاصة وتحقن إبرة. فهي الممرضة والداية، وهي البشيرة والنذيرة، هي الحمامة والبومة. تدور من دار لدار لنقل البشارة و خبرالشؤم: ابنك تصاوب يا فلانة. ابنك ستشهد يا فلانة. عيني ولدك يا فلانة. وهات البشارة يا أبو فلان"[235].

وهي كانت تستضيف الشباب المناضلين والمقاومين وتقدم إليهم كل مالديها من الطعام والشراب وتزودهم بدعم أخلاقي وروحاني. كما تقول عندما وصل أحمد إلى بيتها: "أحمد؟ ما شاء الله، اسم الله عليك، طّولت الغيبة يا بني، وأختك نشفانة وشقيانة من خوفها عليك، تعال يا حبيب.

---

[234]. سحر خليفة: باب الساحة، ص 12.

[235]. سحر خليفة: باب الساحة، ص 22.

تاكل؟ تشرب؟ تروح عالحمام؟ أغليلك شاي وإلا قهوة؟ أسلق لك بيض وإلا عوينات؟ أو اسمع، أقولك؟ أعملّك عجّة مع سلطة. ادخل تحّمم يا بني ولما تخلص تلاقي السفرة ممدودة."[236]

وكذلك نجد أن الست زكية تساعد الشباب المناضلين عن طريق توفيرهم بالمعلومات المهمة عن الأعداء والقوى المعادية للوطن كما تزّودهم بالتفاصيل الدقيقة عن جنود الاحتلال وأسلحتهم وتحركاتهم، "حين صعدت درج الساحة رأت العساكر والنقطة وأفراد الجيش والمناظير والعلم الأزرق يتدلى. والساحة فارغة إلا منها، وكذا الأزقّة والحارات. وهناك في فوهة الزقاق أطنان الصخر تسدّ الطريق إلى الحارة، فدارت الدورة الملتوية لتصل الدار والمعزّين.

سألها شاب:

يا ست زكية شفت الجيش؟

هزّت رأسها:

شفته، شفته

والنواصر؟

والنواصر.

وحاملين سلاح؟

---

[236]. المصدر السابق، ص 179.

مثل دايماً .

عددهم كبير؟

الله أعلم، يمكن عشرين، يمكن خمسين، يمكن ميه، ما قدرتش أعدّ."[237]

وتطالعنا في الرواية نفسها شخصية "سمر" المناضلة التي تقاوم جنود الاحتلال بكل جرأة وبسالة "حين ضربها الجند قاومت ورفعت يدها بالخشبة وبأي شئ يصلح للقذف."[238] ولكنها تعجز عن مقاومة العلاقات والقيم الاجتماعية، عندما يضربها أخوها صادق ضربة عنيفة "أفاقت على يد تهزّها وأصوات صياح ثم اللطم:

- وين كنتِ؟

وأمها تشدّه للخلف وتصيح:

- كانت في مهمة، اتركها."[239]

فإنها تشعر بالعجز الداخلي والخجل العارم والانسحاق التام ولا تستطيع أن تقاوم العقبات الاجتماعية السلبية "وأخذ يلطمها دون وعي، على وجهها، وعلى رأسها، على ظهرها، وكان ينفخ ويتفتف:

- يا بنت العرص، بدّك تصيري مثل نزهة؟! والله لأشرب من دمك.

لم تصرخ، لم تبكِ، لم تفتح فمها بكلمة، ولم تقاوم."[240]

---

[237]. سحر خليفة: باب الساحة، ص 116-117.

[238]. المصدر السابق، ص 136.

[239]. سحر خليفة: باب الساحة، ص 136.

[240]. المصدر السابق.

وبالعكس نجد أن صادق الذي ضربها لم يستطع أن يقاوم العدو ويواجه جنود الاحتلال بل يشعر الذعر والخوف أمامهم عندما يمرّون منه، وسمر هي التي تساعده وتسانده في تلك اللحظة، "مرّت دورية، ووقف الجنود يتحرّشون بكل المرور. التفت صادق، تحسس جيبه. أين الهوية؟ في الجيب الأعلى؟ في الأسفل؟ في البنطلون، أو السترة؟ نظرت إليه، سبحان الله! ما عادت نظرته شرسة، ما عاد يعبأ بالوقفة في وسط السوق، ما عاد فحلاً يتمايل، ما عاد ينشد غير السلامة. نظرت إليه ثانية فسأل بلهفة:

- أختي سمر، شفتِ هويتي؟

ابتسمت بشماتة، ثم الحزن، ثم الرقة، وقالت بأناة:

- ولا يهمّك، بوقف جنبك، بوقف قدّامك وما بشوفوك. ووقفت فعلا، ومرّ الجنود ولم يلحظوه."[241]

في هذه الفقرة إشارة واضحة إلى رؤية الروائية بأن المرأة تحتاج إلى الانخراط في المقاومة الوطنية وإلى أن تكون ندّا للرجل وشريكة له لا تابعة له.

وفي رواية "ربيع حار" تقدم سحر خليفة صورة المرأة المناضلة من خلال شخصية "سعاد"، وهي فتاة جامعية رزحت تحت وطأة الاحتلال "ومرت بذاكرتها كل المشاهد مذ كانت طفلة. وقوف الحواجز والطوابير. اقتحام الحرم واعتقال الشباب. واعتقال والدها منذ أكثر من ربع قرن، وكانت مازالت طفلة. وعاشت بلا والد كالأيتام"[242]. وأثناء دراستها في الجامعة أحبت مجيدا أحد المناضلين في نفس

---

[241]. سحر خليفة: باب الساحة، ص 183.

[242]. سحر خليفة: ربيع حار، ص 180.

الجامعة، وانخرطت في التنظيم النضالي، وأسهمت في توزيع المنشورات، "ثم التنظيم، والمنشورات، والملصقات ومجلس الطلبة وغناء مجيد. آه يا مجيد. أهّم الهموم ألّا يجدرك"[243].

وعلى هذه الشاكلة إننا نجد أن الروائية الفلسطينية الأخرى ليلى الأطرش قدمت تصويرا جيدا للمرأة المناضلة. فمنها شخصية "هند النجار" في رواية "وتشرق غربا" وهي تنخرط في التنظيم النضالي الوطني لأنها "لا تريد أن تقف كالآخرين مكتوفة الأيدي.. والممارسات من حولها تطال الأهل والناس والأرض.. وأن لا تستسلم لليأس، فتقاوم."[244] وهي تقوم بعملية التفجير في أحد الفنادق، "دّوي الانفجار في القاعة عنيفا فركضت هند إلى الباب برعب غريزي، واندفعت منه، حين أطبق عليها ساعدان من خلفها."[245] إنها تعترف بعمليتها التفجيرية نظرا لمعاناة الأبرياء وتعرضهم للاعتقال والتعذيب بدون ذنب، فتقول: "أنا التي وضعت القنبلة فلماذا تحتجزون هؤلاء؟"[246] فهي تعاني من أنواع شتى من التعذيب والتنكيل أثناء التحقيق ثم في السجن ولكنها ترفض تسمية رفاقها أو دورهم في ذلك الانفجار. "سبع عشرة ساعة من التحقيق المتواصل.. تغيرت وجوه المحققين وأساليبهم، ومحاولات إيقاعها بالكلام والمفاجآت.. وهي لا تعيد إلّا ما قالته.. يتكلمون العربية والانجليزية معها وهي لا تغّير ما تقول.. ضربوا رأسها بالحائط.. ركلوها وشتموها.. ظلت تصرّ على روايتها، وتنكر كل ما عداها.."[247]

---

[243]. المصدر السابق.

[244]. ليلى الأطرش: وتشرق غربا، ص 222.

[245]. ليلى الأطرش: وتشرق غربا، ص 234.

[246]. المصدر السابق، ص 236.

[247]. المصدر السابق، 237-238.

وكذلك ترفض التوقيع على الورقة التي تشتمل على مالا علاقة لها به بالرغم من تعرضها لأنواع التعذيب والجسدي والنفسي "تغّير المحقق.. أحضر لها قهوة وماء مرة أخرى.. وطلب منها أن تشرب.. مّدت يدها إلى الماء، وبها تصميم على أن توصله إلى شفتيها فلا تؤخذ بأّية مباغتة أو سؤال، سحبه الضابط منها قبل أن ترفعه وقال:

- وقّعي هنا أولا وينتهي كل ما نحن فيه، وتشربين!

وفي الورقة التي كتبت بالعبرية والعربية ثمانية عشرة اتهاما واعترافا بخمس عمليات لا تعرفها ولم تسمع بوقوعها.. وعن علاقة لها بالمقاومة في بيروت، وانتمائها لتنظيم في الداخل، وقرأت أسماء بعض أفراده لأول مرة في تلك الغرفة الضيقة.

- لن أوقع إلا على ما فعلت وأعرف.. وهؤلاء لا أدري عنهم شيئا."[248]

و"تتعدد أشكال النضال الوطني لدى شخصيات ليانة بدر النسائية في روايتها 'بوصلة من أجل عباد الشمس'. فها هي جنان تحاول أن تتكر جسدها الأنثوي، لما يمثّله من ضعف، فترتدي اللباس العسكري، معظم أوقاتها، وتمارس نشاطها الوطني عبر المعسكرات الطلابية التي يتم فيها تدريب الفتيات على حمل السلاح، واستعماله ساعة الحاجة. كذلك تشارك في جمع التبرعات وشرح المواد التحريضية، وتوزع المنشورات السياسية"[249]

---

[248]. ليلى الأطرش: وتشرق غربا، ص 240.

[249]. ينظر: ليانة بدر: بوصلة من أجل عباد الشمس، ص 21 نقلا "المرأة في الرواية الفلسطينية" ص 122.

وإذ "تمارس المناضلة الفلسطينية عملها في تضميد جراح المصابين بشظايا الحرب. وتواجه العديد من الحالات الميئوس منها، التي ما يني الموت يلتهمها بنهم جنوني، فإنّها تعاني من جراء ذلك ألماً مزدوجاً، لا ضفاف له،"[250] "كما تستذكر جنان صورة لإحدى الفتيات اللواتي كنّ بعمر أختها الصغيرة، حولتهن الحرب إلى بقايا كائنات مفرّغة من كل أسباب الحياة. بعد أن بذل الأطباء والممرضون جهودهم في إنقاذهن من براثن الموت صرخت تلك الفتاة وجعاً حارقاً تناثر في شراييني، عندما قطبنا الجرح في صدرها دون مخدّر... صرختُ معها، وهدّأتها بكلمات معتادة لا تعني شيئاً. وكانت الصرخات تتوالى. يبدو أنّه لا أمل... لم يمض وقت طويل حتى أغمضت عينيها.. ولم تفتحها بعد ذلك قط، استحالت الدماء في عينّي دموعاً، وتحولت الدموع أحجاراً، وتحولت الأحجار إلى مقالع ضخمة تمتطي ظهور الجبال، وتعجز عن التحرّك... كان عليَّ أنْ أبكي"[251]

"لقد جعلتْ الفجيعة 'جنان' مسكونة بالمرارة والذهول، مدركة بأن كل بحار العالم ومحيطاته وأنهاره، عاجزة عن محو ذلك الوجع الضاري، وهو ينبت شوكاً على أطراف كل لحظة، ويغرز إبراً حادة موجعة في مسالك عروقها، ويصرخ بكل العبث والجنون والأسى: لماذا لا تحيا هذه الصغيرة؟! لماذا تموت، وهي لّما تزل في عمر البراعم؟!..."[252]

"في مثل هذا الواقع اليومي المعيش، الذي ينزف موتاً ودماراً، في كل لحظة من تلك اللحظات التي أّرخت لأحداث أيلول، كان لابد للمرأة الثورية جنان من أن

---

[250]. حسان رشاد الشامي: المرأة في الرواية الفلسطينية، ص 122.

[251]. ينظر: ليانة بدر: بوصلة من أجل عباد الشمس، ص 63-67 نقلا "المرأة في الرواية الفلسطينية لحسان رشاد" ص 123.

[252]. حسان رشاد الشامي: المرأة في الرواية الفلسطينية، ص 123.

تحمل سلاحها، وتقاتل في صفوف المقاومة، وتستميت معها في الدفاع عنها. كانت تنتقل مع رفاقها شهد، وشاهر وغيرهما، من موقع إلى آخر، وكانتتُظهر حذقاً ومهارة في اختيار الوقت المناسب.... للظهور أو التخفي، والمراوغة أمام بنادق القّناصة. هكذا قدمت ليانة بدر بطلاتها الثوريات، وقد تشّبعت نفوسهن بروح المقاومة والصمود في وجه الموت والدمار والاحتراق والتشظي. فتجاوزن دورهن الأنثوي، وأصبحن مشاركات في الثورة، وصانعات لها أيضا."[253]

[253]. حسان رشاد الشامي: المرأة في الرواية الفلسطينية، ص 123-124.

الفصل الرابع

المرأة المتمردة

قد قدمت الروائيات الفلسطينيات نماذج عديدة للمرأة المتمردة على الواقع الاجتماعي. ولكن النماذج خلطت بين التمرد الإيجابي الذي يعطي المرأة حقوقها والفرصة لإدارة أمورها بحرية واستقلال، والتمرد السلبي الذي يؤدي إلى وقوع المرأة في الذل والاستغلال والسقوط في مستنقع الرذيلة والآثام. فهذا الفصل يحاول تسليط الضوء على كلتا الصورتين للتمرد.

يتمثل تمرد المرأة في رفض الصورة النمطية التي تعتبرها أو تجعلها كائنا مستسلما راضيا وشيطانة فاتنة ماكرة. والحرية هي الموضوع الرئيسي في الروايات التي تصور تمرد المرأة سواء كانت الحرية من التسلط الذكوري أو القيود الاجتماعية كما نجد أن "سحر خليفة أرادت من خلال شخصية عفاف (في رواية مذكرات امرأة غيرواقعية) أن ترفع صوت الفتاة المتمردة المطالبة بحقها في الحياة والحرية، الفتاة التي ترفض هيمنة الذكر الأب أو الأخ أو العم أو حتى الفارض هيمنته من خلال استغلال موقع الأم وتأثيرها. لقد أرادت سحر خليفة أن تؤكد على حريّة الفتاة في تصرفاتها وجسدها وأفكارها وطريقة عيشها ومن خلال شخصية نوال المناضلة الشيوعية، أحقّية البنت وجدارتها في دورها النضالي المقاوم. أما تلك النماذج من النسوة المتمثلات في الأخوات والجيران الراضيات بواقعهن والمستسلمات لقدرهن والمنزويات في بيوتهنّ، الغافرات للرجل كلّ ذنوبه، فهنّ النموذج للمرأة المنسحقة في المجتمع العربي الذكوري، النموذج الذي يُريد الرجل

الإبقاء عليه وتكريسه. ومثل هذا النموذج النسائي هو الذي ترفضه الكاتبة وتريد توعيته وتثويره وتفعيله ودَفعه للمواجهة والوقوف في وجه الرجل ليأخذَ حقوقه ودورَه في صنع الحاضر والبناء للمستقبل."[254] إن عفاف تتمرد على الواقع الاجتماعي بطريقتها الخاصة لتصبح امرأة غير واقعية في تصرفاتها المتمردة على الواقع وهوائية في سلوكها. لذلك أجبرتها أسرتها على الزواج مبكرا لأنهم اكتشفوا رسالة غرام بينها وبين ابن الجيران "وأنهم عاقبوني على وقاحتي بما هو أشد من القتل. أكتشفوا رسالة بين يديّ – رسالة غرام – وقاحة. خلال شهرين كانت الدنيا قد انقلبت عاليها سافلا. حبست في الدار، قدمت امتحان التوجيهي كدراسة خاصة، بالكاد نجحت، لم يبقَ لديّ أي مبرر لرفض الزواج من رجل يملك مال قارون ووسامة كمال الشناوي. تزوجت، وتعذبت، حملت، فقدت سرّ استمراري في بيئة تعتبر النسل أهم مبرر من مبررات وجود المرأة."[255]

ظهر من الفقرة السابقة أن عفاف لم تكن سعيدة في حياتها الزوجية، ولكنها استمرت فيها حفاظا على اسم العائلة المجيدة وسمعتها ولم تكن تجرأ على التمرد من القيود الاجتماعية، "أما إذا حاولت التعبير عن رفضها وتمردها، ومايغتلي في داخلها من شعور بالنقمة والغبن، فإنها لا تلقى إلا الزجر والإهمال والتسخيف، ولذا يبقى تمردهاتمرداً داخلياً سلبياً، وإن تجلت فيه مظاهر النقمة على سلبيات الواقع الاجتماعي الذي تعيشه، إذ لا يرقى هذا التمرد إلى مستوى الوعي الحقيقي، والفعل الهادف البنّاء. ومن هنا لا يلقى تمرّدها صدى على أرض الواقع. إنه تمرّد عاجز،

---

[254]. مدونة نبيه القاسم الشخصية تحت عنوان "مذكرات امرأة غير واقعية رواية تجاهلها النقاد!؟"،

[255]. سحر خليفة: مذكرات امرأة غير واقعية، ص 39-40.

ناتج عن الإحساس العميق بالعطالة والفراغ النفسي والعاطفي.. إنّه تمرّد يأخذ صفة الهروب والانطواء على الذات."[256]

"تصوّر سحر خليفة خيبتها من إمكانية تحقيق التغيير السريع في مجتمعها وفي الرجل بشكل خاص بانكسار عفاف وبوصفها لبطلة روايتها 'امرأة غير واقعية؛ قد تُوقع القارئ في وهم استسلامها للواقع، والاعتقاد بأن تصرفات عفاف وأفكارها هي المرفوضة بينما كان الآخرون على حق، بينما تريد الكاتبة أن تقوله ويتبّناه القاري، هو أن عفاف بالفعل لم تكن امرأة واقعية في مثل هذا المجتمع الذي لا يزال يعيش في مفاهيم ومعتقدات كانت مقبولة قبل مائة عام أو أكثر. لكنها اليوم وفي الربع الأخير من القرن العشرين، وقد تطور العالم وتغيرت المفاهيم والأفكار والحياة، وانفتح الكل على الكل كيف ترضى بواقع مجتمعها واستكانة أبناء شعبها واستمرارية تحكم المفاهيم والمعتقدات التي كّبلت المرأة وهّمشتها وأخرجتها من دائرة التأثير والعمل، وحتّى كّبلت الرجل وسحقت شخصيته وجعلت منه مخلوقا مستبعدا لا يثق بقدراته وينتظر رحمة السماء لعل وعسى!؟ مجتمع كهذا يرزح أهله تحت نير احتلال غريب يصبح هو غير الواقعي وغير المعقول، يجب التمرد عليه والثورة ضده، وهذا ما فعلته عفاف بطلة رواية سحر خليلفة الواقعية جدا."[257] وفي رواية "عباد الشمس" نلتقي بشخصية "خضرة" وهي تنتمي إلى جيل النكبة عام 1948م، وتمثل المرأة المتمردة تمردا سلبيا التي فقدت إيمانها بأي شئ وأصبحت ثائرة على كل شئ نتيجة التجربة المريرة والظروف الصعبة التي عاشتها، "فهي تمثل ممارسة الحرية في غياب الوعي الاجتماعي، إذ تبدو الحرية العبودية، أو حرية الاستلاب

---

[256]. حسان رشاد الشامي: المرأة في الرواية الفلسطينية، ص 162.

[257]. منتدى منابر ثقافية تحت عنوان "أفضل مئة رواية عربية – سر الروعة فيها" لكاتبه أيوب صابر.

في تمردها، حرية بلا هدف وبلا نتيجة! وتبدى لنا من خلال الحوار التالي السمات الأساسية التي تميز شخصية "خضرة" في تمردها وثورتها على القيم الاجتماعية."[258] ولسبب تمردها السلبي نجد في شخصيتها عددا من الصفات السلبية المنفرة. فهي عانت من الانهيار المعنوي، والهبوط الأخلاقي، والانحطاط الاجتماعي، والتصرفات المبتذلة، والأقوال الكريهة.

وفي الرواية نفسها نجد شخصية رفيف التي تتمرد تمردا إيجابيا، هي تعمل صحفية في مجلة البلد في الضفة الغربية وتحرر زاوية المرأة وتريد أن تمارس حريتها الشخصية والفكرية والاجتماعية في المجلة دون تدخل أحد، ولذلك نجد أنها تتمكن من التحرر من هيمنة عادل الكرمي الذي أحبته في القضايا المتعلقة بالمرأة وترفض أن تكون تابعا له أو تخضع للضوابط التقليدية والقوانين السائدة السلبية مما يدفعها إلى النقاش الحاد والجاد مع زملائها في المجلة حتى تقدم استقالتها من المجلة لتباين الآراء حول تغطية قضايا المرأة في المجلة فهي تقول: "أنا لن أتابع النقاش في هذه الجلسة ولا أية جلسة. آخر الشهر أقدّم استقالتي وأنسحب من هذا الجو وهذه الهزائم. ما عدت أحتمل الزيف، ما عدت أحتمل أكثر."[259]

وفي رواية الصبار قد تمردت نوار ابنة الكرمي على الأطر الاجتماعية والقيود التقليدية، وانتقدت تصرفات والدها ورفضت الزواج ممن لا تحبه وترضاه وتعلن حبها ورضاها لشاب مناضل أمام والدها الذي يريد تزويجها من الدكتور عزت عبد ربه لمصلحته الشخصية ويثني عليه بقوله: "ألا تعرفون الدكتور عزت؟ شاب مهذب ابن عائلة محترمة. أحواله المادية فوق الريح. الزبائن أمام عيادته

---

[258]. د. أسامة يوسف شهاب: الرواية النسوية في ظلّ الاحتلال سحر خليفة نموذجاً، مجلة جامعة دمشق، ص 219.

[259]. سحر خليفة: عباد الشمس، ص 224.

كالذباب. رجل جدع. لم يمض على تخرجه أكثر من عامين لكنه عرف كيف يضرب السوق."[260] ولكن نوار ترفض هذا الزواج وتعلن "أنا لن أتزوج إلا من صالح، ولن أرى أي رجل آخر. لا عبد ربه ولا أي عبد آخر. أنا لن أتزوج إلا من صالح حتى ولو انتظرته مئة سنة. أنا لن أتزوج من غيره. لن أتزوج أي رجل غير صالح."[261] فهي تشبه أخاها باسلاً، الفتى المتحمس- الثوري لاحقاً - في بعض أفكاره ومواقفه الرافضة للاحتلال، ولما يمثله الوالد الوجيه من سلطة أبوية، واجتماعية قمعية، ولذا نجدها تتفاعل مع بعض طروحاته التقدمية- الثورية، وتؤكد الاستمرار في حبها لـ"صالح" الفدائي المعتقل في سجون الاحتلال، وتواظب على مراسلته وزيارته، وتدعي أنها خطيبته. ونجدباسلاً يبارك هذه العلاقة، ويدعم أخته بقوة، ويحفزها على اتخاذ قرارها لمواجهة ضغوط أبيها. فتتمكن من التعبير عن رفضها للخطيب المتقدم، وهو الدكتور عزت، وتؤكد إرادتها- للمرة الأولى- في اختيار الرجل الذي تحب، واختيار الدرب التي اختارها هذا الرجل المناضل، فتقطع وعداً على نفسها: ألا تتزوج غير "صالح"... ولو أدى ذلك إلى انتظاره مئة عام. وتؤكد هذه الرغبة بقوة أمام والدها."[262]

كذلك، "تطرح الرواية عدداً من القضايا التي تبرز ذلك التناقض والتباين بين ماتطمح إليه المرأة المتمردة الرافضة، ومايرتضيه المجتمع لها ويطلبه منها، بل يفرضه عليها. وفي ذلك ما يعدنكوصاً لوضعها وقضيتها، وكأنها مابرحت مكانها،

---

[260]. سحر خليفة: الصبار، ص 164.

[261]. المصدر السابق، ص 170.

[262]. حسان رشاد الشامي: المرأة في الرواية الفلسطينية، ص 172.

فلا هي ثارت على السلبي من العادات والتقاليد، ولا هي استسلمت لتناقضات الواقع."[263]

وإذا رجعنا إلى روايات ليلى الأطرش وجدناها أيضا قد طرحت نماذج عديدة من الشخصيات النسائية المتمردة ضد القمع الذكوري أو ضد منظومة القيم والعادات السائدة في المجتمع. فمن النماذج المتمردة الإيجابية نجد شخصيتين مهمتين وهما شخصية هند النجار وسلمى الأكحل في رواية "وتشرق غربا".

"وتعددت مستويات التمرد الإيجابي في شخصية هند النجار بين الطفلة المشاكسة، والمراهقة، والعاشقة، والمعلمة في بلدة "العيزرية" والجامعية المثقفة المنتسبة إلى جامعة بيروت لدراسة الحقوق، والمحبة للدكتور مروان نصّار، والمناضلة في صفوف المقاومة الوطنية بعد هزيمة حزيران (يونيو) والمعتقلة، والمنفية خارج الوطن إلى الضفة الشرقية بعملية تبادل للأسرى... تظهر هند النجار في رواية 'وتشرق غربا' كفتاة فلسطينية مسيحية، وشخصية جريئة، وذكية صاحبة ذاكرة خاصبة مكتظة بالتجارب الإنسانية منذ أيام الطفولة وهي طالبة في المرحلة الابتدائية بالمدرسة التبشيرية المختلطة... تبدو شخصيتها قادرة على التعبير عن ذاتها على الرغم من السطوة والقمع الذي يمارس عليها باسم التربية، فهي تكره معلمتها ولا تجد مسوغا لاحترام نساء القرية لها، بينما تجد مسوغات كرهها وعلى رأسها القسوة والقمع الذي تمارسه على الأطفال من غير أن تنجح ولو مرة واحدة

[263]. المصدر السابق، ص 82.

في دخول قلوبهم وعقولهم."[264] فنجد هند النجار أنها تسأل معلمتها يوما "معلمتي.. هل يجب أن ندرس العهد القديم؟

- نعم، حتى نفهم العهد القديم.
- " ولكني لا أحب العهد القديم ولا أصدقه.. كيف يكونون شعب الله المختار وهم قتلوا المسيح وصلبوه كما يقول العهد الجديد؟ ولماذا يحبهم الله بعد ذلك؟.. أنا أكرههم.. ولا أريد أن أدرس العهد القديم.. وأمي تقول إنهم قتلوا اللاجئين وطردوهم من بلادهم."[265]

مثل هذه الأسئلة التي كانت تحمل نوعا من التمرد تتبادر إلى ذهنها ورأسها الصغير، وهذه أسئلة يرفضون الإجابة عنها ويعاقبونها حين تلح في السؤال عن جواب لها. وعندما أكملت هند النجار مرحلة الثانوية علمت أن والدها قد وافقت على تزويجها من شاب يعمل في الكويت من دون استشارتها، "فأحست هند بغصة وغضب ورغبة في الصراخ حين صرّح (والدها) شكري النجار لزوجته أمامها أنه أجاب وأمام عمّاله في المصنع: البنت بنتك والولد ابنك!"[266] ولكن قرّرت هند النجار أن لا تسكت وترزح تحت وطأة العادات والتقاليد بل رفضت هذه الخطبة وتجد والدتها واقفة بجانبها في هذا القرار لتستطيع أن تواصل تعليمها، "سمعت مريم النجار ما قاله زوجها فبدت كمن بلع سكينا حادة وهي تحدّق إلى الوجه الذي يشع برضى من يعقد صفقة رابحة، وبصمت وحزم أخذت ابنيها إلى غرفتها وأغفلت وراءهما الباب ثم وقفت أمام زوجها: "شو يعني البنت بنته! لا بنته ولا بنت أبوه،

---

[264]. غادة إسماعيل محمد تيم: شخصية المرأة في أدب ليلى الأطرش الروائي، ص 101-102.

[265]. ليلى الأطرش: وتشرق غربا، ص 9.

[266]. ليلى الأطرش: وتشرق غربا، ص 88.

مستعجل عليها يا أبو عماد، عندك مئة بنت، هي واحدة بس... وبصراحة مش واقفة في زوري... البنت صغيرة ولازم تتعلم مثل اخوانها."[267]

ثم نجد أن الروئية ليلى الأطرش طّورت الشخصية باتجاه التحرر السياسي اعتقادا بأن التحرر الاجتماعي للمرأة يتوقف على التحرر السياسي ولذلك نجد أن هند تنضم إلى صفوف المقاومة المسلحة ويتم اعتقالها وتسجينها. "هكذا ظهرت شخصية هند النجار كنموذج للمرأة المثقفة المتمردة الإيجابية التي تسعى لتحقيق حريتها، متجاوزة لأنوثتها الحريمية المهمشة لشخصيتها فتنجح في تحقيق ذلك، حين وضعت قدمها على بداية الطريق إلى جانب الرجل لبلوغ الحرية المرتبطة بحرية الوطن من الاحتلال، وبذلك أنتجت الروائية المرأة الجديدة الثورية المثقفة التي تعي ذاتها والعالم من حولها، وتمارس حريتها بوعي وفكر متفتح، وتخترق حاجز الخوف على الحياة بزواجها بمن أحبت، وتخاطر بروحها من أجل حياة أفضل، وخوض معركتها إلى جانب الرجل ضد الاحتلال والتخلف والجهل والطائفية التي تكبل حريتهما."[268]

وقد قدمت ليلى الأطرش شخصية أخرى لتجّسد من خلالها نموذجا للمرأة المتمردة الايجابية وهي شخصية "سلمى الأكحل" في نفس الرواية وهي فتاة كاتبة وصحافية. هي كتبت أول رواية "لا ياقدر" وانتقد فيها والدها الذي يفضل الأبناء على البنات، وهي تتمرد على أوضاع المرأة الاجتماعية وتثور على التقاليد والعادات البالية التي تكبل حرية المرأة وتستخدم أسلحة الكتابة والصحافة لتغيير المفاهيم السلبية. فهي كتبت مقالا فيما كتبت و"اختارت أن تكتب عن دور المرأة

---

[267]. المصدر السابق، ص 88.

[268]. غادة إسماعيل محمد تيم: شخصية المرأة في أدب ليلى الأطرش الروائي، ص 109.

في مرحلة التغير التي تعيشها المنطقة.. وناقشت فيه ما يسمع للمرأة بالفعل من حرية ضمن المفاهيم الاجتماعية السائدة.. وتساءلت هل يتناسب هذا مع متطلبات المرحلة؟.. وهل استطاعت المرأة فعلا.. بكل قطاعاتها أن تتحرر؟! وهل أثّر التحرر الاقتصادي بخروج قطاع كبير من المرأة إلى العمل، في حريتها الاجتماعية؟! ما الحرية الحقيقية إن لم تخرج المرأة إلى ميادين العمل المختلفة، وبمختلف قطاعاتها، لتخوض التجربة وتثبت كفاءتها وامتلاكها لنفسها وحريتها!! كانت قضية تشغل الكتاب والمفكرين والمتخلفين وتتباين آراؤهم حولها."[269]

قد أثار هذا المقال ضجة كبيرة بين المثقفين ولاقت ردود فعل إيجابية وسلبية بين المؤيدين والمعارضين "والحياة تسير في اتجاه سلمى بدأ الحظ يقبل عليها.. لم تصدق سرعة الأحداث وتطورها حين اتصلت الصحيفة ببيت المختار ليصلوا إليها بعد أن بحثوا عنها طويلا.. وبلا جهد أو تخطيط صارت سلمى كاتبة لعمود أسبوعي على الصفحة الأخيرة.. ومحررة لصفحة تعنى بشؤون المرأة؟!"[270]

هكذا تمردت سلمى الأكحل على أوضاع المرأة الاجتماعية وثارت على القيود الجائرة التي تحد من حرية المرأة وكرست حياتها على الصحافة والكتابة لصالح حرية المرأة.

وقد قدمت ليلى الأطرش نموذجا للمرأة المتمردة السلبية أيضا من خلال شخصية "آمال الأشهب" في رواية "ليلتان وظل امرأة". مع أن تمردها كان إيجابيا في البداية ولكن مع مر الزمن اكتشف أنها تجاوزت

---

[269]. ليلى الأطرش: وتشرق غربا، ص 123.

[270]. المصدر السابق.

الخـط المتـوازن فـي تحقيـق الأنـا فهـي تقـول: "أدركـت أننـي فـي انشـغالي بتحقيـق الأنـا التـي أريـد تجـاوزت الخـط الـي يشـكل تـوازني، فـإذا الخـط يتسـع ويمتـد فـي غفلـة منـي وينـأى بمـن أحـب. فكيـف لـم أفطـن إلـى أن وراء ضـباب الـرذاذ المتطـاير مـن النهـر عاطفـة خلتهـا دائمـة الجريـان. فـإذا بينـابيع العاطفـة تشح حتى الجفاف في غفلة مني!"[271]

[271]. ليلى الأطرش: ليلتان وظل امرأة، ص 138.

الفصل الخامس

المرأة المومس

إن الروايات النسوية الفلسطينية قدمت نماذج عديدة للمرأة المومس، وحاولت من خلالها بحث الأسباب والدوافع التي تدفع المرأة إلى البغاء والدعارة. وإن الدارس يجد في الأعمال النسائية بأن المرأة المومس تعتبر ضحية للمجتمع وللظروف الاقتصادية، والحاجة المادية على عكس الكتاب الذكور الذين يميلون في معظم الأحيان إلى اعتبار المرأة المومس كمجرمة فاقدة الشرف والمجد.

وسحر خليفة تتصدر قائمة الروائيات الفلسطينيات اللواتي قدمن نماذج للمرأة المومس. وهي في تائيد القول بأن المرأة ضحية للمجتمع والظروف الاقتصادية والاجتماعية فتقدم شخصية "خضرة" في رواية "عباد الشمس"، "إذ تميط الرواية اللثام عن هذه الشخصية وسيرتها الحياتية، وظروف نشأتها، ومعاناتها شتّى ضُروب الفقر والتشرد والحرمان والذل، مما دفعها إلى السرقة بداية، لتلبية شهوات بطنها، ومن ثم انغمست في مستنقع الإثم والرذيلة، حين لم تجد وسيلة للعيش إلاّ بيع جسدها، تلبية لضرورات الحياة اليومية، والحاجة الملحة إلى الدواء لمعالجة زوجها الكهل الذي هدّه المرض. لقد كانت حياتها سلسلة من مآسي الفقر والقهر والذل. طفولة بائسة مشرّدة بعد فقدان الأرض والأم، وأبٌ جاهل ظالم لا يرحم، وزوج متقدّم في السن، بيعت له، فأساء معاملتها وأذاقها ألوان العذاب، فكرهته واحتقرته، وهربت من بيته."[272] كما تذكر خضرة معاناتها في بيت زوجها وجواز

[272]. حسان رشاد الشامي: المرأة في الرواية الفلسطينية، ص 129.

قرارها وتقول: "كانت ايده والهوايه، يضربني ما تتحمله العفاريت، هربت وقلت يمكن أرتاح، لكن شو الفائدة."[273]

وبعد هروبها من بيت زوجها تتزوج ثانية من رجل متقدم في السن ومصاب بمرض القلب، فألجأتها الظروف الاقتصادية السيئة إلى بيع جسدها لتستطيع أن تنفق على بيتها ومعالجة زوجها الكهل المريض. وقد حاولت الروائية إبراز جانب آخر لهذه الشخصية بأنها لم تكن خالية من نفس طيبة بل كانت تحمل في طيها العطف على الفقراء والبائسين والحب للوطن ومن يحارب في سبيل ذلك كما نجدها تُظهر تعاطفها مع الفدائيين قائلة "روحي فداكم يا رجال. الله ينصركم.. وأبوس تراب رجليكم"[274]. من خلال إبراز هذا الجانب الإيجابي من الشخصية، حاولت الكاتبة تائيد وجهة نظريتها بأن المرأة المومس مثل خضرة ليست إلا ضحية العنف من قبل الأسرة والمجتمع.

ومن الشخصيات التي اضطرت إلى الدعارة والبغاء هي شخصية "سكينة" (أم نزهة) في رواية "باب الساحة". وهي كانت فتاة شابة في العشرينات وتزوجت برجل مسن وضعيف، وأقامت في حارة "باب الساحة" بعد اشتراء دار عتيقة. فاستقبلت الحارة هذه الأسرة بالتساؤلات والحكايات المنقولة لوجود التفاوت الكبير بين عمر الإثنين، "الرجل كبير والمرأة صغيرة، وهو مريض وهي قوية وحلوة شاطرة، ولها عينان زرقاوان."[275]

---

[273]. سحر خليفة: عباد الشمس، ص 86.

[274]. المصدر السابق.

[275]. سحر خليفة: باب الساحة، ص 37.

كان الزوج في الخمسينات وتوفي بعد فترة قصيرة من الزمن، فوقع عبء الإعالة على عاتقها، وحاولت الاكتساب وكسب المعاش عن طريق مهنة الخياطة والتطريز، ولكنها لم تتمكن من التغلب على الظروف الاقتصادية السيئة، وتورطت في الدعارة والبغاء، وأصبحت بيتها "الدار المشبوهة والعرى والمخدرات وأعمال التجسس."[276] ووقعت في التصرفات الفضيحة ما أدى إلى قتلها على أيدي المقاومين بتهمة التعامل مع العدو.

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل نشاهد أن ابنتها "نزهة"، بطلة الرواية، أيضا أصبحت ضحية الظروف الاجتماعية. "هي فتاة جميلة مات والدها، فحاولت أمها سكينة أن تعمل وتعيل الأسرة، ولكنها فشلت، ولم تستطيع أن تلّبي حاجات البيت، فزوجت البنات في سن مبكرة للخلاص من مصاريفهن، فزوجت نزهة وهي في الخامسة عشرة من عمرها لرجل يكبرها بثلاثين عاما. فتهرب نزهة منه مع حلاق أحبته، ثم تتكشف أنه مخادع فتتركه، وتجد نفسها وحيدة في عمان، فتعود إلى نابلس وتحاول أن تعمل في الفرن، ولكن إخوة سمر يستغلون حاجتها ويجبرونها على البغاء، ومن ثم تعمل في الاستديو وتبدأ بالقبض مقابل احتراف البغاء في هذا المكان، لقد حاولت نزهة أن تعيش بشرف وكرامة، ولكن المجتمع دفعها رغما عنها نحو السقوط والانحراف، فسخروا جسدها وجمالها لمآربهم الشخصية، فسقطت في أحضان الدعارة."[277]

حاولت الروائية من خلال هذه الشخصية إثبات وجهة نظرها بأن العائلة لم تنتهك الأخلاق إنما فعل ذلك من استغل تلك الظروف القاسية وانتهك حرمات

---

[276]. المصدر السابق، ص 68.

[277]. وائل على فالح الصمادي: صورة المرأة في روايات سحر خليفة، ص 34-35.

العائلة. فالعائلة ضحية للفساد الاجتماعي ومرآة لمجتمع يستحق اللعنة. ولكن الناس يلومون الضحية ولا يلومون من يستغلونها.

وقد عرفنا مما سبق أن المجتمع ينظر إلى النتيجة ولا ينظر إلى الأسباب والدوافع، فهذا لا يؤدي إلى استيصال الجرائم من المجتمع، كما رأينا فيما سبق بأنه "تم قتل سكينة ولكن لم يتم التعامل مع الظروف والعوامل التي أدت إلى انحرافها وسقوطها، فقد تعاملوا مع النتيجة وعافوا الأسباب،... فسقوط نزهة وأمها ليس قدرا، فهو نتيجة لتفاعل الظروف الموضوعية المعقدة والعوامل الذاتية، ويبدوا أن السرد الروائي يود أن يبين سببا آخر لسقوط نزهة وسكينة تمثل في عدم تعليم المرأة وعدم عملها واعتمادها على الرجل في كسب قوتها، فإذا غاب الرجل لسبب من الأسباب ألقت المرأة على قارعة الطريق"[278].

ونجد في نهاية الرواية بأن الست زكية كانت تتحاشى من الرد على تحية الصباح من نزهة لأن أمها كانت قتلت على أيدي المقاومين بتهمة التعامل مع الأعداء. ولكن الست زكية اضطرت إلى تغيير موقفها من نزهة بعد أن رأت أن نزهة قدمت مأوى لحسام بعد جرحه. وبعد ذلك كانت تزورها في بيتها. وكذلك "يغيّر حسام وجهة نظره عن نزهة، فيلقي اللوم على المجتمع، فنزهة ضحية للمجتمع، وضحية للقائد السياسي عصام المربوط الذي استغلها أبشع استغلال، لقد عرت نزهة المجتمع وكشفت زيفه، ولكن بعد أن ظهرت حقيقتها تعاطفت الجميع

[278]. شكري عزيز الماضي: الرواية والانتفاضة، ص 55.

معها، وفتح البيت لاستقبال المعزين بعد استشهاد أحمد وصار هذا البيت مكانا للعمل الثوري، حيث انطلقت منه النساء بقيادة نزهة لتفجير البوابة."[279]

بعد دراسة النماذج المذكورة للمرأة المومس قد توصلنا إلى النتيجة بأن الروائية سحر خليفة قد ركزت على نقطة واحدة من خلال جميع شخصياتها الروائية بأن المرأة المومس ليست إلا ضحية للظروف الاقتصادية والعادات الاجتماعية السلبية. نعم هذا صحيح إلى حد ما بأن الفرد أحيانا يخضع لسلطان المجتمع وتنقاد للأوضاع المادية وتتأثر بالبيئة والمحيط وما يسودهما من قيم دينية وأخلاقية ولكني لا اتفق مع الكاتبة في تحميل المسؤولية على المجتمع أو الظروف الاقتصادية فقط لأن الأحوال الاجتماعية والاقتصادية لا يمكن أن تكون تبريرا لأي فرد للوقوع في الانحراف الأخلاقي والدعارة والبغاء وما إلى ذلك من الجرائم. بل يتحتم على كل فرد من المجتمع أن يواجه التحديات بكل أنواعها ويبذل جهودها في سبيل الحصول على المثل العليا والأخلاق الفاضلة لأن البيئة والمحيط ليسا إلا وليد الإنسان، فعليه أن يغيره تجاه الأفضل والأمثل. وإذا نتعاطف مع مرتكبي الجرائم ونحمّل المجتمع والأوضاع الاجتماعية مسؤولية انحرافه فيكون ذلك تشجيعا معنويا له وهذا ما لا أؤيده شخصيا بأية وسيلة، كتابية أو خطابية.

[279]. وائل على فالح الصمادي: صورة المرأة في روايات سحر خليفة، ص 36.

الباب الرابع

معالجة قضايا المرأة

هذا الباب يشتمل على أربعة فصول وهي كما يلى:

الفصل الأول: القضايا المتعلقة بالزواج

الفصل الثاني: قضية التعليم

الفصل الثالث: قضية التفريق الجنسي

الفصل الرابع : القضايا الأخرى

الفصل الأول

القضايا المتعلقة بالزواج

من المشاكل والصعوبات التي تعاني منها المرأة الفلسطينية هو الزواج المبكر القسري مما يؤدي إلى تأثيرات سلبية على حياة المرأة لأنها لا تجد فرصة كافية لإكمال التعليم الذي يؤدي إلى النضوج النفسي والتطور العقلي. وكذلك يؤدي الزواج المبكر إلى العواقب الصحية الوخيمة والحالات النفسية الصعبة. ولخطورة هذه الظاهرة المتفشية في المجتمع العربي الفلسطيني أولت الروائيات الفلسطينيات اهتمامهن لتقديم النماذج العديدة لإبراز تأثيراتها السلبية على الأسرة والمجتمع كما نجد في رواية "مذكرات امرأة غير واقعية" أن بطلها "عفاف" لم تعش طفولتها ولم تجد فرصتها لمواصلة التعليم لأن أهلها أرغموها على الزواج في سن مبكر من رجل لا ترضاه وترغب فيه عقوبة لها لأنهم اكتشفوا عندها رسالة غرام. ولكنهم ادركوا بعد مضيّ سنتين من الزواج أنهم أخطاؤا خطأ كبيرا إذا اكتشفوا ماضيه وحاضره ومستقبله، وعرفوا أنهم تسرعوا في الحكم وعاقبوها على وقاحتها بما هو أشد من القتل. فهي عانت بعد الزواج ما عانت كما تصفه عفاف "لم يبقَ لديّ أي مبرر لرفض الزواج من رجل يملك مال قارون و وسامة كمال الشناوي. تزوجت، وتعذبت، حملت، فقدت سرّ استمراري في بيئة تعتبر النسل أهم مبرر من مبررات وجود المرأة."[280]

فهي أكرهت على قضاء حياتها مع رجل لا تحبه وترضاه، وبالتالي كانت تعاني من اغتراب نفسي إذ كانت تجد نفسها وحيدة أكثر حين تكون مع الزوج

[280]. سحر خليفة: مذكرات امرأة غير واقعية، ص 39-40.

والأقارب والمعارف ما أدّى إلى بحثها عن صلة مع الأشياء بدل بحثها عن صلة مع الإنسان واللجوء إلى الذات وعالمها الداخلي. وما زالت تتساءل عن السبب الذي أدّي إلى وقوعها في هذه العقوبة الدائمة وقضبان السجن الشائكة فهي تقول: "ماالذي أوقعني في هذا الفخ؟ ألأنني واحدة من قطيع بنات غير مرغب فيهن فاستغلوا أول فرصة للخلاص وتخلصوا؟ ألأنني كنت مراهقة صعبة تحلم أحلاما كبيرة وتقرأ كتبا كبيرة وأوراقا مطبوعة في مطابع سرّية؟ أو ربما لصغر سني واهتزازي العاطفي وعدم ثقتي بنفسي وبتصرفاتي المدانة دوما، كبوت ووقعت وغرقت."[281]

ونجد في رواية الصبار أن والد نوار يصرّ على تزويجها من الدكتور عزت من غير أن تأخذ رأيها في الحسبان، ويقول موجها القول إلى نوار: "سيحضر غدا لرؤيتك،"[282] لأن الدكتور عزت كان رجلا ناجحا فهو يُردف قائلا "مابالكم صامتين؟ ألا تعرفون الدكتور عزت؟ شاب مهذب ابن عائلة محترمة. أحواله المادية فوق الريح. الزبائن أمام عيادته كالذباب. رجل جدع، لم يمض على تخرجه أكثر من عامين لكنه عرف كيف يضرب السوق."[283] ولكن أخاها باسل وقف بجانبها وحثّها على التزويج ممن تحبه وترضاه ويعلن أمام أسرته بأن نوار الكرمي لا ترغب في الزواج من أي رجل إلا صالح الصفدي. فهذا يشير إلى حدوث تحولات اجتماعية ونفسية في الجيل الجديد في تحقيق الذات واتخاذ القرار وممارسة الحقوق.

---

[281]. سحر خليفة: مذكرات امرأة غير واقعية، ص 18.

[282]. سحر خليفة: الصبار، ص 164.

[283]. المصدر السابق.

وكـذلك نجـد أن الروائيــة ليلــى الأطـرش تحـاول اكتشـاف سـلبيات السـلطة الذكورية وسيادة سلبية للعادات والتقاليد التي تمنـع المرأة من ممارسـة حريتها وحقها في كثير من الأمور الاجتماعية، على رأسها حق اختيار شريك حياتها إذ المجتمع يقّيدها بقيود الزواج التقليدي القسري بدون مراعاة مشاعرها ورأيها لأنهم "ينظرون للزوجـة لضـرورة مكملـة للحيـاة،"[284] ولا يعتبـرون الـزواج إلا "كلمـة أعطاهـا رجـل لرجل،"[285] كما نرى شكري النجار يقول: "البنت بنتك والولد ابنك"[286] عندما يتقدم إليـه رجل لطلب يد ابنته لابنـه الذي يعمل في الكويت ويملك المال الوفير. ولكن رفضت هند أن تتزوج من هذا الشاب و"تملكت هند عندما علمت بذلك رغبة كبيرة في تحدّي الوالد وخذلانـه.. تمقت أن لا يقيم الناس وزنا لرأيها ومشاعرها ويجرحها ذلك الإحساس."[287] ووقفت أمها بجانبها وخالفت هذا الزواج المبكر وقالت: "شو يعنـي البنـت بنتـه! لا بنتـه ولا بنـت أبـوه، مسـتعجل عليها يـا أبـو عمـاد، عنـدك مئـة بنت، هي واحدة بس... وبصراحة مش واقفة في زوري... البنت صغيرة ولازم تتعلم مثل اخوانها."[288]

وبعد سنوات، تهيأت هند للزواج من رجل تعرفت إليه وأحبته بعد لقاءات متعددة، ولكنها كانت تخاف من إظهارها وإعلانها لأنـه "لـو علم الناس هناك بما حدث فستتفجر حدود البلدة الصغيرة بالأحاديث والشائعات، وسيصور خيالهم كل ما لم يحدث.."[289]

---

[284]. ليلى الأطرش: وتشرق غربا، ص 88.

[285]. المصدر السابق، ص 89.

[286]. المصدر السابق، ص 88.

[287]. المصدر السابق.

[288]. المصدر السابق.

[289]. ليلى الأطرش: وتشرق غربا، ص 146.

"وبسبب تلك النظرة الذكورية السائدة، تشعر الشخصيات النسائية بالتورط في الحب، فيجعلهن ذلك مسكونات بالفضيحة والخوف من تلك القيم السائدة في هذه البيئة. ونتيجة لتلك العوائق البيئية تمتنع هند عن طرح هذا الزواج على أساس أنه حب أو حتى زواج أمام السلطة الذكورية لعدة معوقات منها: الاختلاف الديني بينهما، فهي مسيحية وهو مسلم، وأهل 'بيت أمان' لا يزوجون فتياتهم للغرباء، وتزداد المشكلة تعقيدا إذا كان هذا الغريب لاجئا كالطبيب مروان حتى أن مهنته لا تشفع له."[290]

فأرادت هند أن تخبر أخويها عماد وحسام الذين يدرسان في أمريكا عن هذا الحب على أساس الزواج أملا منهما أن يساعداها في تحقيق هذا الحلم ولكن ردّهما كان عكس ما كانت ترجوه كتب لها عماد "ولكن زواجا كهذا محكوم عليه بالفشل لأنه ضد ما هو سائد في مجتمعنا.. وقد لا أكون ضده شخصيا.. ولكن عائلتنا وجدت في بلدة أنت أدرى بتقاليدها، ووالدي لا يستطيع إلا أن يكون رجلا في حامولته وبين أقاربه، وعندما تقفين في وجه ما يعتقدون، فستحكمين عليه في أواخر أيامه بالذل في البلدة التي تعرفين تفكيرها وظروفها ومشاكلها."[291] وكان أخوها الآخر "حسام في رسالته أشد عنفا ومنذ السطر الأول.. فصوّر لها بطريقة فاجعة كيف سيموت والدها حزنا ووكمدا وخزيا...."[292]

"وبعد هزيمة حزيران/يونيو تنتظم هند النجار في صفوف النضال الثوري، وتسجن مدة، ولكنها تخرج في عملية تبادل للأسرى عن طريق مروان نصار،

---

[290]. غادة إسماعيل محمد تيم: شخصية المرأة في أدب ليلى الأطرش الروائي، ص 62.

[291]. ليلى الأطرش: وتشرق غربا، ص 154.

[292]. ليلى الأطرش: وتشرق غربا، ص 55.

وبذلك تحقق هند النجار حريتها، وتعلن والدتها موافقتها على زواجهما بعد خروج هند من السجن. فالرواية تجعل من هند النجار امرأة حرة قوية تملك قرارها، بانتمائها إلى صفوف المقاومة، فأنتجت بذلك نموذجا جديدا للمرأة التي تنهض من دورها الأنثوي المهمش، إلى شخصية أقوى امتلكت ذاتها وحريتها في اتخاذ القرار."[293]

وفي رواية "ليلتان وظل امرأة" نجد أن "منى أرغمت على الزواج من يوسف الذي يكبرها بأحد عشر عاما بعد أن علم والدها بتورطها في علاقة عاطفية مع هشام. فعاشت حياة تقليدية بلا حب أو عواطف، وأنجب ثلاثة أبناء كبروا وسافروا إلى أمريكا للدراسة، وعندما وجدت نفسها وحيدة مع زوج لا تحبه شعرت بعد الأربعين من عمرها، أن حبها لهشام ما زال يسكن أعماقها."[294] كما تقول منى: "ولكن أحلامي الجميلة كانت تنقصها لحظة الحقيقة. وهشام هو الخيال الجميل. والأحلام هي التي تعنيني على التعايش مع واقعي وقبول مرارته."[295]

لم يستطع منى تجاوز السلطة الذكورية وتقاليد المجتمع السلبية السائدة، ولم تتمكن من إظهار حبها وإعلان رأيها للزوج من هشام بدلا من يوسف، فهي تتأسف لعجزها عن اتخاذ القرار وعدم امتلاك الإرادة في البداية كما تقول: "لو ملكت إرادتي حينذاك.. كان سيتغير ما أنا فيه، كل حقيقة وجودي.. ولكنني أضعت

---

[293]. غادة إسماعيل محمد تيم: شخصية المرأة في أدب ليلى الأطرش الروائي، ص 63.

[294]. المصدر السابق، ص 65.

[295]. ليلى الأطرش: ليلتان وظل امرأة، ص 32.

إرادتي.. وارتضيت الانجراف في بحر الأحلام الكسيرة.. أسبح مع تيارها، منقادة خائفة ومستسلمة."[296]

فنرى أن ليلى الأطرش تقدم أمام القارئ الجانب السلبي للمرأة، لأنها تستسلم للتقاليد والعادات الاجتماعية السلبية، ولا تعبر عن مشاعرها الدفينة. فهي تقبل كل شئ وتتأقلم مع كل ظروف وتنسبها إلى القدر.

وفي رواية 'صهيل المسافات' "طرحت ليلى الأطرش إشكالية حق المرأة في الاختيار بأسلوب مغاير لما طرحته في الروايات الأخرى، ذلك أن المرأة المثقفة، التي وصلت إلى درجة عالية من الثقافة والنسب الرفيع لا تختلف عن غيرها من بنات مجتمعها وبيئتها التي تعيش فيها. إذ يسلب منها حق اختيار الزوج في ظل ذلك المجتمع الذكوري القبلي بكل ما فيه من قيم سلبية تخضع المرأة لقانون الذكورة والعشيرة، الرافض لحبها والزواج بمن تحب، أو أن لا يتمتع هذا الآخر الذي تريد الارتباط به بشروط تلك الفئة من المجتمعات الراقية ومقاييسها، وتنظر لهم نظرة دونية كالخدم."[297] ولذلك نجد في نهاية الرواية أن كل القضايا العامة والخاصة تتلاشى أمام قضية "ابنة أخ الرئيس هربت مع خادمها الآسيوي!!"[298]. ويطالب الناس بفسخ هذا الزواج بدليل أنه لا يوجد شرط التكافؤ بين المرأة والرجل. المرأة متعلمة والرجل خادم بينما لا ينطبق نفس الشرط على اختيار الرجل عندما يريد أن يتزوج خادمة، فتقول: "امرأة واحدة سمحت ليدها أن تمتد إلى حق شرعي، لحظة أيقنت أن الحقوق لا تعطى ولكنها تؤخذ جبرا، قبضا، ورغما..شمّر لها الذكور عن

---

[296]. ليلى الأطرش: ليلتان وظل امرأة، ص 31.

[297]. المصدر السابق، ص 71.

[298]. ليلى الأطرش: صهيل المسافات، ص 190.

سواعد الرفض، وسّنوا سكاكين التكافؤ، و زمجروا وأرعدوا وأزبدوا وراء طريدة مالا يجوز."[299]

وفي رواية "مرافئ الوهم" تطرح ليلى الأطرش قضية حق المرأة في الاختيار من خلال عرضها نماذج نسائية متعددة منها قصة الحب والزواج بين شادن وأبوغليون. كانت شادن وقعت في حب رجل يختلف عنها في الدين والمستوى الاجتماعي فلم تقبل أسرتها هذا الزواج. فهي لم تتمكن من تخطي التقاليد العائلية والاجتماعية وخضعت لقرار عائلتها فهي تقول: "سافر عُمر ومضى منذ طلبتَ مغامرة نقفز بها الحواجز، نتحدّى بها الحدود، فخذلتُك وتقاعست..طّوحت بنا أقدار رسموها لي، فسِرنا، أنت وأنا، في مفارق مختلفة..لم تتوقف لتسأل أو تنظر خلفك حين رحلتَ، ولم أحاول اللحاق بك، فتباعدنا كثيرا."[300]

وفي نفس الرواية نرى نموذجا آخر للمرأة المثقفة وهي سلاف التي تتمرد وتتزوج بمن تحبه رغما عن عائلته وتسافر معه إلى لندن كما تقول: "تزوجنا دون علم أحد، هزمتهم ونصرتنا ليلة حبّ في مكتبه الخالي، انتفض جواد في التحام عواطفنا وجسدينا وشهوتي للتجربة.. تزوجني، وهرب بي ومعي إلى لندن لعل زوابع عشيرته تهدأ."[301] ولكن يفشل هذا الزواج لأنها تجد أن هذا الرجل لا يوقرها ويسلب كرامتها إذ تقول: "يقسو الحب ويهين حين لا يحدد عاشق زاوية الرؤية عند الحبيب

---

[299]. المصدر السابق.

[300]. ليلى الأطرش: مرافئ الوهم، ص 7.

[301]. ليلى الأطرش: مرافئ الوهم، ص 73.

أو يقدّرها!... تلك قصتي معه. امرأة ترتعد مما يطلبه رجلها ليحلّ معضلة أدخلنا فيها بنزه."[302]

[302]. المصدر السابق، ص 10.

الفصل الثاني

قضية التعليم

دراسة أحوال المرأة الفلسطينية تشير إلى أنها تقدمت تقدما ملموسا في مجال التعليم بعد النكبة الأولى (1948م). والسبب وراء ذلك الواقع السياسي الفلسطيني. فإن الظروف الفلسطينية أثرت بشكل إيجابي في تقدم المرأة في مجال التعليم. وبالتالي انفتح أمامها مجال العمل والكسب في قطاعات مختلفة. فأصبحت المرأة الفلسطينية تنتشر في الأرض في طلب الرزق والاكتساب خاصة في دول الخليج العربي. فالمرأة الفلسطينية تعتبر رائدة بالنسبة للمرأة العربية في هذا المجال.

لذلك نجد أن الروائيات قد قدمن عددا لا بأس به من الشخصيات المتعلمة تعليما جامعيا. منها شخصية نوار الكرمي في رواية "الصبّار" وهي فتاة جامعية وواعية بما يجري في الأرض المحتلة وما يوجد من معوقات داخلية في مجتمع ذكوري. فهي تتمرد على القيود الاجتماعية وتُظهر حبها لصالح الصفدي وتواصل زيارته في السجن وتدّعي أنها خطيبته وترفض الخطيب المتقدم وتريد أن تمارس حقها في اختيار الرجل الذي تحبه وترضاه.

ومنها شخصية لينة الصفدي في نفس الرواية، وهي فتاة مثقفة وثورية ومناضلة، وتنتمي إلى خلية فدائية حتى تعتقل وتسجن ولكنها إنسانة صلبة وتحتمل جميع التعذيب والتنكيل في سبيل الأرض والوطن.

ومنها شخصية رفيف الصحفية في رواية "عباد الشمس" التي تحاول أن تتحرر من قيود الأهل والمجتمع السلبية وتستخدم ثقافتها في الدفاع عن قضية

المرأة العربية عامة والفلسطينية خاصة، وتبذل في سبيل ذلك قصارى جهودها بصفتها صحفية.

ومنها شخصية سمر في رواية "باب الساحة"، وهي فتاة مثقفة وباحثة اجتماعية وتحاول معرفة حقيقة أوضاع المرأة في الأرض المحتلة عن طريق إجراء بحث اجتماعي. وما إلى ذلك من الشخصيات كـ سحاب في رواية "باب الساحة"، وسهى بركات في "لم نعد جواري لكم"، وزينة في "الميراث".

أعني اختلف الوضع في الأرض المحتلة بعد النكبة الأولى إذ حقق التعليم تقدما ملحوظا بسبب الواقع السياسي والنضال الوطني ضد الاحتلال، وأثّرت هذه العوامل إيجابيا في تقدم المرأة الفلسطينية في مجال التعليم. وبالرغم من أن البيئة الاجتماعية والعادات التقليدية وقفت في مواجهة المرأة الفلسطينية في سبيل تطورها الثقافي والاجتماعي والاقتصادي إلا أن انضمامها إلى النضال الوطني والحركة السياسية القومية جعلها تستفيد في الارتفاع بوعيها ومستواها ولحراز التقدم الملموس في مجالات التعليم والصحافة والإبداع، ولذلك نرى أن المرأة الأمية أيضا تهتم بتعليم بناتها بجانب أبنائها كما نجد شخصية مريم النجار في رواية "وتشرق غربا" مع كونها أمية تقدر التعليم وترى فيه الأمل لتحرير المرأة بأكملها وتحاول أن تؤمن لابنتها هند حقوق التعليم التي حصل عليها أبناؤها، وتصر أن تغير أفكارها بواسطة التعليم وتقول لزوجها: "احكي لنا قصة من الكتب التي قرأت. جملة تظل مريم النجار ترددها لزوجها كل مساء.. فهي لا تعرف القراءة ولكنها تحب الحكايات والقصص... وتحب الكتب التي يدمن زوجها قراءتها.. وكذلك كتب أولادها.. وتتقلها بحرص وحب.. وعندما يعود شكري النجار في نهاية الأسبوع وهو

يحمل كتبا جديدة يشتريها بعد أن يورّد بضاعته إلى القدس.. تمسك زوجته الكتب برفق – تقلبها تفتش فيها عن صور، وتحدّق إلى الأغلفة الملونة.. وتعجز، فترتبها في زاوية الخزانة الخشبية بحب عاشق عاجز، ولا تسمح للصغار بالعبث بها، وتظل تلحّ على زوجها أن يخبرها بما فيها...."[303]

وكانت مريم النجار لا تؤمن بالقصص الخرافية التي كانت تسمعها ابنتها هند من جدتها العجوز أم شكري في الليل، بل كانت تريد أن تركز هند على التعليم فهي تنصحها "جدتك عجوز خرفة، ليس هناك عفاريت أو غولة، لا تذهبي إليها احفظي دروسك أحسن وأكثر فائدة لك..."[304] وهي كذلك تريد أن تتحلى ابنتها بزينة العلم والمعرفة قبل الزواج وتؤكد ذلك قائلة: "الله يقطع الناس في هذه البلاد. يصرّون على تزويج الفتيات صغيرات. كان الأجدى لو تعلمن ثم تزوجن. شوفي يا هند والله العظيم لو مدّ الله في عمري فستكملين علمك مثل إخوانك وأكثر!"[305]

يتبين مما سبق أن المرأة الفلسطينية قد أدركت أهمية تعليم البنات وتسليحهن بأسلحة العلم والمعرفة لكي تستطيع أن تتحرر من القيود الداخلية أولا ثم الاحتلال الخارجي ثانيا.

"وتقدم ليانة بدر في رواية 'بوصلة من أجل عباد الشمس' أمثلة مدهشة لنساء فلسطينيات متعلمات وعاملات، وتبرز الدور الخطير والفعال الذي حققنه على صعيد مجتمعهن في مخيم صبرا وشاتيلا في لبنان. إذ تابعت عملية تكوينهن الثقافي، وتحصيلهن العلمي منذ كن في المعهد. ووقفت على أنشطتهن الثورية أثناء

---

[303]. ليلى الأطرش: وتشرق غربا، ص 19.

[304]. المصدر السابق، ص 30.

[305]. ليلى الأطرش: وتشرق غربا، ص 34.

متابعة دراستهن، وبعد تخرجهن مدرسات ناجحات يمارسن الثورةقولاً وفعلاً . فها هي جنان تتخرج من معهد المعلمات. وتؤسس، بالتعاون مع رفاقها المثقفين المناضلين داخل المخيم، بعض المراكز والجمعيات والتنظيمات الحرفية والصحية والثقافية، وتمارس من خلالها نشاطاتها التعليمية والتمريضية والعسكرية،"[306] وتعلم النساء الخدمات التمريضية مثل "وضع الضماد على الجرح، أو فك الحرف الذي استعصى عليه قرونا، كي لا يكتبن الرسائل لأحبائهن كما قال أهلهن."[307]

ومما لا شك فيه أن التقدم الذي أحرزته المرأة الفلسطينية في تحصيل العلم والمعرفة قد واكبته العراقيل والمشاكل ولكن معظم الروايات النسوية لا ترصد تلك المشاكل والصعوبات التي ربما واجهتها المرأة في سبيل ذلك، ولكنها تشير إلى نقطة مهمة وهي اهتمام المرأة بتعليم أولادهن ذكورا وإناثا، اللهم إلا بعض الروايات وهي تشير إلى وجود التمييز بين الذكر والأنثى في مجال التعليم كما نجد في رواية "وتشرق غربا" أن شكري النجار لا يريد أن تواصل ابنته هند دراستها العليا أو تذهب إلى أمريكا مع أخويها ولكنه في نفس الوقت يسمح لابنيه عماد وبسام أن يسافرا إلى أمريكا لمتابعة دراستهما العالية. فهو يضع يده أمام أولاده على كتف زوجته مريم النجار في تود وينظر إلى هند ويقول:

- بُكرة هند بتتوظّف وبتصير لك عونة، وبنشوف بعدين، لما يخلّص بسام يمكن الحال تحسن، وبنخلص هم الكبار وبتروح مع أخوها للجامعة...

سحبت زوجته يده إلى أسفل عن كتفها بعنف... ثم قالت بتصميم:

---

[306]. حسان رشاد الشامي: المرأة في الرواية الفلسطينية، ص 93.

[307]. ليانة بدر: بوصلة من أجل عباد الشمس، ص 94.

- شوف يا شكري، هند لازم تروح عند إخوانها، وعندك الكرم يا شكري بيعه، من يوم ما سافر الأولاد ما عزّبنا فيه، بعيد وبنخاف لحالنا، وشو لازمة يظل عندنا كرم، بندفع حراسة للنواطير كل سنة وما ينشوف منّه شئ!...
- أنت مجنونة يا مريم؟ الكرم؟ شو بيقولو الناس؟ شكري النجار باع أرضه علشان يعلّم بنت؟!
- مالها البنت.. البنت مثل الولد
- مثل الولد تمام.. بس حتى الولد ما ببيع أرضي علشانه!، تشتغل هند لحد ما يخلّص بسام. وإذا تحسنت الأمور معي بيدرسوا سوا.. بتروح مع أخوها، كام سنة وبيصير خير، وانتهى."[308]

[308]. ليلى الأطرش: وتشرق غربا، ص 109-110.

الفصل الثالث

قضية التفريق الجنسي

إن قضية التفريق بين الذكر والأنثى مشكلة قديمة وتوجد منذ قديم الزمن كما تحدث القرآن الكريم عن حال المرأة في فترة ما قبل الإسلام بقدر من التفصيل في مواضع مختلفة من القرآن. منها قوله تعالى: "وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم، يتوارى من القوم من سوء ما بُشّر به، أيمسكه على هون أو يدسّه في التراب ألا ساء ما يحكمون."[309] فكان العرب يُبغضون البنات ويؤودونهن عقب ولادتهن اقتداءً بالعادات والأعراف القبلية. ولكن لما جاء الإسلام حظيت المرأة بعناية وأهمية حتى توجد حوالي عشر سور في القرآن تتحدث عن شؤون المرأة مثل سورة النساء والطلاق، والبقرة وغيرها. واحتلت مكانة متساوية في المجتمع. قالت نوال السعداوي إن "اضطهاد المرأة لا يرجع إلي الشرق أو الغرب أو الإسلام أو الأديان ولكنه يرجع أساسا إلى النظم الطبقية الأبوية في المجتمع البشري كله."[310] فكان تفضيل الذكر على الأنثى مسيطرا على أفكار المجتمع قديما ولا تزال مستمرا حاليا في جميع المجتمعات بأشكال مختلفة أو متفاوتة. يفضّل الناس الولد الذكر على البنت الأنثى لعوامل اجتماعية وثقافية وتربوية. فيوجد هذا التفريق الجنسي في المجتمع العربي

---

[309]. القرآن: سورة النحل، الآية 57-59.

[310]. نوال السعداوي: الأنثى هي الأصل، ص 7.

والفلسطيني أيضا. ولذلك طرحت الكاتبات الفلسطينيات هذه القضية من خلال شخصيات وبطلات متعددة في رواياتهن.

فقد طرحت سحر خليفة هذه القضية من خلال شخصية "عفاف" في رواية "مذكرات امرأة غير واقعية" التي تعاني من التمييز والتفريق بين الجنسين بصورة بشعة إذ تعتبر الأسرة مولد الذكر مقدمة للخير والبركة وذريعة للرخاء والسعادة كما تصور عفاف هذا المنظر "جاء الولد وامتلأت الدار با لزغاريد والشموع وملّبس الأفراح وتفريق العملة على الأطفال والفقراء وشيوخ الموالـ د والزّبالين والمسحّرين وصبية الفران والكوّاء ورؤوس المآرّة في الشارع. وقفت امرأة سمينة في الشباك وأطلت على الشارع وأخذت تنعف قطع الشلن من وعاء الشوربة. وطارت الشلنات وتناثرت، فقفز الأولاد ونزل الصبية عن الدراجات وترك صبي الكواء المكواة على صدر قميص فاحترق. وتدحرجت القطع الفضية على أسفلت الشارع والرصيف ولحقها الناس بأيد ممدودة ورؤوس محنية وظهور مقّوسة وهم يلهثون ويهتفون 'ولد ولد'. وحفنة أخرى طارت في الهواء فارتفعت كشرار لحام الأوكسيجين وماء الفضة، فزاغت الأبصار، أبصار الأولاد والرجال والنساء في النوافذ وعصافير سلك الكهرباء وغربان القرميد وضوء النهار وأشعة الشمس وحبال الغسيل وأذان الظهر وبّياع الفلافل. وارتفع حمد كالصهيل فانفتحت السماء عن ذكر الولد."[311]

[311]. سحر خليفة: مذكرات امرأة غير واقعية، ص 19.

وكانت عفاف تشعر بالاختناق في المجتمع الذكوري وكانت تبدو امرأة غير واقعية فتقول: "لم أكن امرأة واقعية أبداً. فمذ فتحت عيني على الدنيا وأنا أحس أن هناك خطأ ضخما وكبيرا أكبر من استيعابي وطاقتي على الاحتمال... ربما لأنني لم أكن من الجنس الذي يتبول عطر."[312]

تعاني البطلة عفاف من هذا التمييز الشديد بين الجنسين وتسخر من موقف الأسرة الذكورية خاصة وموقف المجتمع الذكوري عامة تجاه الولد الذكر حتى يعتبرون بوله الكولونيا النادرة، "وهللت القابلة 'كولونيا يا بنات الكولونيا' وفتحنا أكفنا الصغيرة نتلقى الكولونيا ونمسح بها الرؤوس والجباه والعيون حتى دمعت."[313] وكذلك تشير عفاف في موضع من الرواية إلى الفرق الطبيعي بين الذكر والأنثى مشيرة إلى العضو الذكوري فتعتبره مجرد قطعة ناتئة من الجسد لا توجد عند المرأة وهذا لا يمكن أن يكون مبررا لتفضيل الذكر على الأنثى.

إن قضية التمييز بين الجنسين قائمة على ما هو طبيعي وماهو ثقافي. فالاختلافات الطبيعية بين الجنسين لا تعتمد كقاعدة صلبة لحرمان المرأة من القيام بأدوارها الاجتماعية والفكرية والسياسية. "أما الاختلافات الثقافية فهي المعرقلة حقيقة لها كطاقة فاعلة وكعضو حيوي ومنتج. وهذه الاختلافات الثقافية لا تتأسس إلا على مجموعة من الآراء والأفكار التي راكمتها المجتمعات المختلفة حول المرأة واعتبرتها في المجموع كائنا عاجزا على العطاء لأنه ليس فاعلا في عملية التكاثر والإنجاب بل اعتبرته منفعلا ومستجيبا. وهي لا تملك لأمرها زماما. ولذلك جاءت شخصية عفاف في الرواية متأثرة بتلك الآراء لكن متمردة بطريقتها الخاصة؛

---

[312]. سحر خليفة: مذكرات امرأة غير واقعية، ص 34.

[313]. المصدر السابق، ص 20.

رفضها الزواج، ورفضها الإنجاب ...الخ. لكن التحول الفعلي في القضايا سيبدأ عندما ستفيق – وكأن عفاف تستيقظ من سبات عميق – عفاف تدرك أن العقم أو أن الإنجاب حقيقة هو ما يميز المرأة عن الرجل، وهو الذي يعطيها الحق في الدفاع عن خصوصياتها الجوهرية، وأن كونها عنصر مستجيب ليس هو جوهر الاختلاف وأن ذلك الاختلاف، اختلاف طبيعي لا يد لها فيه . وأنه ليس بالتالي الا قاعدة هشة وظفها التفكير الذكوري للاستحواذ على طاقة المرأة وامتصاصها حتى الثمالة."[314]

وفي رواية "لم نعد جواري لكم" تشير الروائية إلى التفريق الجنسي على لسان إيفيت بأن المجتمع ينظر إلى شئ واحد من منظورين مختلفين بالنسبة للمرأة والرجل مثلا إذا خان أحد الزوجين فترفع إصبع الاتهام إلى الزوجة أبدا كما تقول إيفيت: "هه، عندما يخون الرجل زوجته يلومون المرأة، يقولون إنها لم تعرف كيف تحتفظ به وكيف تشبع أحاسيسه، وعندما يحدث العكس يقولون لم تراع الشرف والتقاليد ولم تحفظ النعمة وحرمة زوجها! ياللافتراء.. عندما يعشقون نلاحقهم بعواطفنا وتوسلاتنا، وعندما نعشق يلاحقونا بألسنتهم وسياطهم، ولكن، سحقالهم! لن أعبأ، فسأصبح قوية، قوية، وسأثور وأنال ما أشتهي من الحب والحياة!"[315]

وفي رواية "وتشرق غربا" تحاول الروائية إبراز معاناة المرأة من التفريق الجنسي في مجال التعليم والدراسة العليا وفي اختيار رفيقة الحياة من خلال شخصية هند. فعندما تتفوق هند في المرحلة الثانوية لا تجد طريقا أمامها لمواصلة الدراسة العليا في الجامعة إذ يرفض أبوها إرسالها إلى الجامعة. ولكننا نجد أمها واقفة بجانبها

---

[314]. محمد معتصم: النزعة الإنسانية في الرواية العربية – روايات سحر خليفة نموذجا، ص 26.

[315]. سحر خليفة: لم نعد جواري لكم، ص 134-135.

"وتحاول أن تؤّمن لابنتها حقوق التعليم نفسها التي حصل عليها أبناؤها، وتحاول إقناع زوجها، شكري النجار أن يبعث ابنته هند إلى الولايات المتحدة لمتابعة دراستها مثل أخويها الكبيرين، ولكن دون جدوى"[316] فتقول أم هند:

- "شوف يا شكري، هند لازم تروح عند إخوانها، وعندك الكرم يا شكري بيعه، من يوم ما سافر الأولاد ما عزّبنا فيه، بعيد وبنخاف لحالنا، وشو لازمة يظل عندنا كرم، بندفع حراسة للنواطير كل سنة وما ينشوف منّه شئ!...
- أنت مجنونة يا مريم؟ الكرم؟ شو بيقولو الناس؟ شكري النجار باع أرضه علشان يعلّم بنت؟!
- مالها البنت.. البنت مثل الولد."[317]

"فانخرطت هند في وظيفة المعلمة بعد أن يئست من مواصلة التعليم وتحقيق أحلام الطفولة في دراسة المحاماة ولكنها "وتحس وتتعلم ويرتد ذلك الألم إلى داخلها ماردا يعتصرها... وغضبها بركان هادر مكبوت وحبيس في أعماقها...."[318]

"والفارق بين معاملة الصبّي والبنت يبلغ أشده، على أيّ حال، عندما تحب هند (المسيحية) الدكتور مروان نصار، المسلم. وكان أخوها بسام قد أخبرها مسبقا بأنه يحب ريما يوسف التي ينوي الزواج منها. وتعتقد هند أنه سيكون أول من يساندها، لكنها تفاجأ حين تجده معارضا بشدة لما تريد أن تفعله. وتكتب إلى أخويها في الولايات المتحدة، ويكون أحدهما قد تزوج من امرأة أميركية، لكن الردّ هنا أيضا يأتي رفضا واضحا مع قلق حقيقي حول شرف العائلة وسمعتها إذا واصلت هند

---

[316]. د. بثينة شعبان: مئة عام من الرواية النسائية العربية، ص 153.

[317]. ليلى الأطرش: وتشرق غربا، ص 109-110.

[318]. المصدر السابق، ص 113.

عزمها على الزواج من مسلم."[319] كما ذكرت هند هذه الحادثة وقالت: "في مظروف واحد وصلت رسالتان من أمريكا إلى عنوانها... كتب لها عماد:

العزيزة هند...

من حق الإنسان أن يحب.. فالحب الصادق أسمى ما في الوجود بلا شك... وأنا لا أشكّك أبدا في صدق عواطفك أو الدكتور مروان.. ولكن زواجا كهذا محكوم عليه بالفشل لأنه ضد ما هو سائد في مجتمعنا..وقد لا أكون ضده شخصيا.. ولكن عائلتنا وجدت في بلدة أنت أدرى بتقاليدها، ووالدي لا يستطيع إلا أن يكون رجلا في حاملته وبين أقاربه، وعندما تقفين في وجه ما يعتقدون، فستحكمين عليه في أواخر أيامه بالذل في البلدة التي تعرفين تفكيرها وظروفها ومشاكلها."[320] و"كان حسام في رسالته أشد عنفا ومنذ السطر الأول.. فصوّر لها بطريقة فاجعة كيف سيموت والدها حزنا وكمدا وخزيا...."[321]

"هذه الحادثة بالذات بالغة الأهمية، لأنها تصور وضعا واقعيا جدا ينتشر على امتداد العالم العربي. لا تمنح النساء الحق في اختيار أزواجهن أو التصرف بأي شكل يمكن أن يزعج السلطة الأبوية. أما في الأزمة الوطنية تختفي الفوارق الاجتماعية بينهم إلى حد كبير، لأن التركيز يتحول من الحقوق إلى الواجبات. حينما تكون الواجبات في المقدمة فإن النساء يُعتبرن دائما مساويات للرجال على الأقل، إن لم يكنّ أفضل، لأنهن يتحملن الأعباء نفسها إن لم يتحمّلن أكثر."[322]

---

[319]. . د. بثينة شعبان: مئة عام من الرواية النسائية العربية، ص 153.

[320]. ليلى الأطرش: وتشرق غربا، ص 154.

[321]. المصدر السابق، ص 155.

[322]. د. بثينة شعبان: مئة عام من الرواية النسائية العربية، ص 154.

الفصل الرابع

القضايا الأخرى

تحدثنا فيما سبق عن القضايا المهمة التي تناولتها الروائيات الفلسطينيات بقدر من التفصيل وذكرنا مدى اهتمامهن بالقضايا النسائية من مثل قضية تعليم المرأة، وقضية التفريق الجنسي، والزواج المبكر والزواج بالإكراه. ولكن هناك قضايا أخرى تطرقن إليها في الروايات المختلفة مثل الفقر والبؤس، وضرب المرأة، والميراث، فأنا أريد الإشارة إليها في السطور التالية.

الفقر والبؤس: لقد أفردت ليانة بدر في روايتها "بوصلة من أجل عباد الشمس" مساحة أوسع لمظاهر الفقر والشقاء والحرمان، التي يكتوي بنارها ناس المخيم، ولا سيما الأطفال والنساء. وذلك بأسلوب عاطفي، حزين، يرشح مرارةوألماً وحرقة، بسبب قساوة الظروف التاريخية والمعيشية، التي تعيشها الجماهير المسحوقة في مخيمات اللجوء. فها هي بطلتها "جنان" ترسم عبر تداعياتها،مشهداً من مشاهد البؤس الذي ترزح تحت وطأته جموع الفقراء في مخيم شاتيلا[323]: "وفي بيت أم أحمد أرى أطفالها الثمانية يأكلون الخبز المسقى بالمرق من الصينية الواسعة. يمدون أصابعهم ويجمعون اللقم بسرعة وتنافس، بينما صغيرهم سمير ينبطح على الإسمنت البارد، ببطنه العاري، وقدميه المهشمتين بالكدمات والرضوض. أسألها بلهفة.. إذا كان يجب أن يأكل بنفسه، فلماذا لا تلبسينهشيئاً يغطي معدته

[323]. حسان رشاد الشامي: المرأة في الرواية الفلسطينية، ص 77.

المكشوفة؟ فتغيب الضحكات المستغربة وجه أم أحمد الذي يبدو أكبر ما هو فعلاً بعشرين سنة: دعيه يتعود يا جنان. كل شيء محكوم بالتعود."[324]

"وهذه أم محمود تشكو لجنان عجزها عن تأمين مستلزمات بناتها اللواتي أصبحن بعمر نوارة اللوز، لكنهن محرومات من أن يعشن أعمارهن الحقيقية، كبقايا خلق الله. يرسلن عيونهن المنكسرة نحو واجهات المدينة، ويحلمن، عبثاً، بالفساتين والبنطلونات التي ترتديها فتيات المدارس، ولكن الفاقة تقف حاجزاً منيعاً دون رغباتهن وتمنياتهن، مما يثير في نفس الأم شعوراً ممضّاً بالظلم، الذي سرعان ما ينفجر دموعاً حارة، تذرفها سراً، بصمت وعجز، في إحدى الزوايا المعتمة لبيتها، فإذا ما انفلتت منها دمعة أو دمعتان أمام جنان فإنها سرعان ما تجاهد في إخفائهما، بطرف أصابعها المتصلبة القاسية، وتقول، بتعب مجهد، ومغالبة حثيثة لنوازعها:"[325] "من أين أتى لهن، وكيف يمكن أن أدبر أمورهن. قطعة الأرض تأخذين وتعطين معها. ولكن المصروف إذ راح هنا لا يأتي غيره. معاش أبو محمود ميتان ليرة. ويا موتي علينا، وعلى العالم كيف نعيش. وين الكروم والزيتون، وقطاف التفاح؟ يما؟ إحنا اللي عرفنا العز وأولادنا ما عرفوا غير الحسرة."[326]

"هكذا قدمت ليانة بدر صوراً متنوعة مؤثرة لمظاهر الفقر والفاقة في مخيمات البؤس واللجوء، منطلقة من خصوصيتها النسوية العاطفية الحساسة، كاشفة بريشتها

---

[324]. ليانة بدر: بوصلة من أجل عباد الشمس، ص 76-77.

[325]. حسان رشاد الشامي: المرأة في الرواية الفلسطينية، ص 77.

[326]. ليانة بدر: بوصلة من أجل عباد الشمس، ص 76-77

الواقعية الشفافة، وبعبارتها المباشرة أحياناً، هذا الواقع المأساوي، الذي يهيمن على مجتمع المخيمات آنذاك، حتى درجة الاختناق."[327]

وفي رواية "عباد الشمس" تصور سحر خليفة معاناة "خضرة" من الفقر والبؤس التي تضطر إلى السرقة وتتعرض للذل والإهانة، وإذا تتصحها سعدية

- "السرقة حرام يا خضرة، أنا بتمّني أموت من الجوع ولا أسرق.

قالت خضرة باستخفاف:

- السرقة حرام؟ لأ مش حرام. مين أحسن يموت الواحد من الجوع والا يسرق ويأكل؟ ... قالت سعدية وقد أحست أنها مسؤولة الآن عن الدفاع عن الحياة الشريفة:
- لكن السرقة حرام، وفيه ألف طريقة شريفة...

وقاطعتها خضرة وهي تلّوح بيدها:

- يا شيخة بلا شرف بلا قرف. ما ظلّ إلنا إشي نخاف عليه. يعني تقولي الناس الأغنياء أشراف؟ عجيبة...."[328]

تتزوج خضرة ثانية من رجل كهل مصاب بمرض القلب ولا يملك مالا للمعالجة، فهي تضطر تحت وطأة الحاجة الشديدة إلى بيع جسدها، - مع أنه لا يمكن أن يكون هذا السبب مبررا للوقوع في مثل هذه الرذيلة – وتشعر بالفرح والسرور بمجرد سماع كلمات حلوة على لسان زوجها المريض فهي تقول: "عمره ما حد قال لي

---

[327]. ينظر: فخري صالح: في الرواية الفلسطينية، ص 115 نقلا عن حسان رشاد الشامي: المرأة في الرواية الفلسطينية، ص 77.

[328]. سحر خليفة: عباد الشمس، ص 130.

خضرة يا ست الكل غيره، صحيح مريض وعاجز ومسكين، لكن لسانه حلو وقلبه حنون."[329]

ومن خلال قراءة رواية "الصبار" نلاحظ أن الكاتبة سحر خليفة تسلط الضوء على واقع البؤس والفقر الذي تعيشه الأسرة الفلسطينية، حيث إن المرأة الفلسطينية تحاول بكل ما تستطيع أن تتكيف مع الوضع الاقتصادي البسيط في الضفة الغربية، في ظل الغلاء الكبير، وانخفاض مستوى المعيشة. فهذه "سعدية" تتابع برنامجها المفضل وتستمع إلى نصائح ركن الأسرة، حول فوائد العدس، فتنوع في طهيه، لئلا يسأمه صغارها، فهذا دليل على الفقر الذي تعانيه الأسرة الفلسطينية وكذلك "أم صابر"، فهي تصرخ في وجه طفلها، حين مد يده نحو صندوق أحد البائعين المتجولين، ولكن البائع قام بكل شهامة وكرم وناول الطفل بضع حبات من هذه الفاكهة، وقد طلبت أمه منه أن لا يحكي لإخوته خوفا من أن يثير شهيتهم، ويزيد من شعورهم بالحرمان. ولا شك أن الأم تخلف في نفسها جروحا كبيرة لأنها لا تستطيع أن تلبي لأولادها أصغر رغباتهم وتزرع في قلبها الحقد والكراهية، وترسم في عينيها نار الغضب على كل من أسهم في صنع الدولة العبرية: "يا ريتها فانية أمة محمد اللي خلت الأنذال، يسرحوا ويمرحوا ببلدنا وحاراتنا"[330].

تعرض المرأة للضرب والأذى: ومن المشاكل التي تواجه المرأة هي الضرب والأذى الجسدي والنفسي لأن المجتمع ينظر إليها بنظرة دونية ويرى بأنها إنسان تابع لا يستقيم بنفسه بل يحتاج إلى إرشاد وتوجيه في كل الأمور. فهذه النظرة الدونية من قبل البعض يؤدي إلى ممارسة العنف ضدها بالسب والشتم والضرب والأذى سواء

---

[329]. سحر خليفة: عباد الشمس، ص 130.

[330]. غدير رضوان طوطح: المرأة في روايات سحر خليفة، ص 100.

من الأب والأخ أو الزوج. وهذا المرض يوجد أيضا بشكل واسع في المجتمع الفلسطيني أو العربي عامة. لذلك طرحت الكاتبة الفلسطينية سحر خليفة هذه القضية من خلال بعض الشخصيات النسائية في روايتها المختلفة، ففي رواية "باب الساحة" ذكرت هذه المعاناة من خلال شخصية "سمر" التي تتعرض للضرب والسب والشتم من أخيها بسبب تأخرها في الرجوع إلى البيت "وأخذ يلطمها دون وعي، على وجهها، وعلى رأسها، على ظهرها، وكان ينفخ ويتفتف:

- يا بنت العرص، بدّك تصيري مثل نزهة؟! والله لأشرب من دمك.

لم تصرخ. لم تبك، لم تفتح فمها بكلمة، ولم تقاوم. حين ضربها الجند قاومت ورفعت يدها بالخشبة وبأئ شئ يصلح للقذف. أما الآن فليست هي أكثر من قارب تتقاذفه الأمواج والأنواء، وإحساس بالخجل العارم والانسحاق التام... وحين تركها كانت حطاما. شعر منبوش، صدع متورم، علامات زرقاء ودوامات، ونجوم تنطفئ وتتساقط في عينيها."[331]

وفي وراية "لم نعد جواري لكم" صورت سحر خليفة معاناة أم سهى بركات. فتذكر سهى بركات قائلة "عندما كنت صغيرة، كنب أظن أن حزني سيتوقف حين يتوقف والدي عن ضرب أمي، وعن السكر. وتوقف والدي عن ضرب أمي، وعن السكر أيضا، لا لأنه تاب، بل لأن الله أخذه إليه. وأصبحنا وحدنا، مجموعة من الأطفال تعولهم امرأة في منتصف العمر، تغسل في دور الأغنياء. وازددنا فقرا حين أصبح لدى الأغنياء غسالات كهربائية، فأصبحت أمي مربية أطفال. تربى أطفال السيدات الأنيقات اللواتي يتزين بما يعادل عشرات الدنانير، ويساومن أمي على

[331]. سحر خليفة: باب الساحة، ص 136-137.

القروش والدراهم خوفا من أن تسئ استغلالهن."[332] يعني كانت أم سهى تتعرض للضرب والأذي الجسدي إذا كان زوجها حيا أما إذا مات قضت حياتها في خدمة الأغنياء والأثرياء وعاشت معيشة ضنكا.

وفي رواية "عباد الشمس" تتحدث شخصية خضرة عن معاناتها وتعرضها للضرب والأذى من قبل زوجها، "كانت ايده والهواية، يضربني ضرب ما تتحمله العفاريت، هربت وقلت يمكن ارتاح، لكن شو الفائدة. ماقلت لك نهرب من الشقا، ومطرح ما نهرب نلاقيه مستنى!"[333]

فهذه هي بعض النماذج التي قدمتها سحر خليفة في بعض رواياتها لإبراز معاناة المرأة جسديا ونفسيا وتعرضها لضربات الرجل أبا وأخا وزوجا، وتريد الكاتبة من خلالها الإشارة أن النضال الاجتماعي ومكافحة العادات والتقاليد لا يقل أهمية من النضال السياسي لأنه لا بد من أن يتحرر الإنسان والأرض معا.

حرمان المرأة من الميراث: ومن القضايا التي تخص المرأة هي قضية الميراث. إن المرأة تحرم في كثير من الأسر العربية والفلسطينية من الميراث لصالح الأولاد الذكور. فلذلك نجد أن الروائيات تناولن هذه القضية أيضا في بعض الروايات بغية خلق الوعي في المجتمع. ففي رواية "مذكرات امرأة غير واقعية" نجد أن عفاف تحرم من الميراث لصالح إخوتها الذكور، "وكان لي إخوة أشاوس يعرفون من أين وكيف تفرى مرارة المرأة. لكنهم للحق والحقيقة رجال محترمون ولو أنهم حين مات

---

[332]. سحر خليفة: لم نعد جواري لكم، ص 109.

[333]. سحر خليفة: عباد الشمس، ص 86.

الوالد تخاطفوا ميراثه قبل أن يبرد حمام دفنه. ولم يبقوا لنا نحن البنات من الميراث إلا اسم العيلة و وجاهة الأصل الطيب."[334]

وكذلك نجد في رواية "باب الساحة" أن الست زكية تحسب حسب العادات والتقاليد السائدة في المجتمع العربي بأنه عيب للمرأة أن تقاصر أخاها في الميراث "إذ إنها حين قال حسام: خذي تعويضا عن حصتك، قالت بعفاف: عيب أن تلفظ مثل هذا الكلام! عيب أن تقاصر الأخت أخاها. تقاصر؟ ما معنى تقاصر؟ سألها حسام باستغراب، فعجزت العمة عن الجواب، وعادت تكرر: يا عيب الشوم! يا عيب الشوم."[335]

ها هي القضايا والمشاكل التي تناولتها الروائيات الفلسطينيات في رواياتهن لإيقاظ الوعي الاجتماعي تجاها، يعتقدن بأن المرأة تحتاج إلى التحرر من العادات والتقاليد الاجتماعية السلبية كما تحتاج الأرض إلى التحرر من براثن الاحتلال.

---

[334]. سحر خليفة: مذكرات امرأة غير واقعيه، ص 66.

[335]. سحر خليفة: باب الساحة، ص 49.

خاتمة

بعد المرحلة الطويلة والشاقة في عالم المرأة الفلسطينية الذي صورته الروائيات الفلسطينيات الثلاث سحر خليفة وليلى الأطرش وليانة بدر، يمكن إجمال أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة في النقاط التالية:

أولا: قد تعرفنا من خلال دراسة الروايات إلى صور متعددة للمرأة من أمثال: المرأة المثقفة، المستسلمة والراضية، المتمردة الإيجابية، المتمردة السلبية، المناضلة، المومس. وهذه الصور في الحقيقة انعكاس للواقع الفلسطيني في ظل الاحتلال والمقاومة وعدم الاستقرار وفقدان الأمن والسلام.

ثانيا: صورت الروائيات شتى العلاقات بين المرأة والرجل في المجتمع الفلسطيني سواء أكانت داخل الأسرة أم خارجها بما فيها العلاقة بين الأم وأولادها، العلاقة بين الأب وابنته، العلاقة بين الإخوة والأخوات، العلاقة بين الأزواج، العلاقة بين الرجل والمرأة خارج الأسرة.

ثالثا: حاولت الروائيات تعرية ازدواجية المجتمع الذي ينظر إلى شئ واحد من منظورين مختلفين بالنسبة للمرأة والرجل، ويفضل الذكر على الأنثى في كل أمر من الأمور وفي كل مجال من مجالات الحياة.

رابعا: وجدنا أن موقف الكاتبات في كثير من الروايات موقف سلبي من الرجل، ومن ثَم جاءت الشخصيات الرجالية ثانوية في لعب الدور في المقاومة والنضال مع أن الرجال لعبوا دورا هاما في جميع الأوضاع في الأمر الواقع. فارتكبت الكاتبات المبالغة بهذا الصدد من خلال إبراز دور المرأة.

خامسا: قد رصدت الروائيات التطور الذي طرأ على شخصية المرأة من حيث الوعي الثقافي والاجتماعي والسياسي لإحراز التقدم الملموس في مجال التعليم والانخراط في حركة المقاومة والنضال في الأرض المحتلة.

سادسا: تمت معالجة أهم القضايا المختصة بالمرأة بواسطة الشخصيات النسائية مثل قضايا التعليم، والزواج المبكر، والإكراه على الزواج، والطلاق وما إلى ذلك من قضايا المراة. وكذلك تمت الإشارة إلى العقبات والعراقيل التي تواجهها المرأة في حياتها العائلية والاجتماعية.

سابعا: قامت الروائيات بتصويب سهام النقد إلى الأعراف والتقاليد الاجتماعية السلبية التي تعترض طريق تقدم المرأة في مجالات الحياة.

ثامنا: تعيش المرأة الفلسطينية واقعا معقدا ومركبا بسبب الاحتلال الإسرائيلي وممارساته الجائرة بحقها وكرامتها وحريتها، وتعاني من الانتهاكات الوحشية كالاستهداف بالقتل، والتعذيب، والاحتجاز في أسوأ ظروف دون مراعاة لجنسها واحتياجاتها الخاصة.

تاسعا: ذهبت الروائيات خاصة سحر خليفة إلى أنه لا بد للمرأة الفلسطينية من أن تتحرر من السلطة الذكورية والقيود الاجتماعية قبل أن تتحرر من الاحتلال الخارجي. ولكني تلمست في بعض الأحيان شيئا من المبالغة أو التمرد السلبي حتى أعقبت عليه.

عاشرا: لا بد للمرأة أن تبذل جهودا مضاعفة في سبيل تحسين وضعيتها وحالتها الاجتماعية بدلا عن أن تستسلم للواقع السلبي مكتوفة الأيدي. وعلى الرجل أن يساعد المرأة في تحقيق ذلك. فلدى الروئيات، الرجل والمرأة كلاهما ضحية العادات

والتقاليد الاجتماعية في التفريق بينهما في الأمور العائلية أو الاجتماعية وما إلى ذلك.

وأخيرا يشعر الباحث بأن روايات هؤلاء الروائيات الثلاث ثرية من حيث الإبداع والأسلوب وتيار الوعي والثراء الفني وإبراز القضايا الفكرية ومعالجة القضايا الإنسانية، وتتطلب الدراسةَ والبحثَ من زوايا متعددة ومداخل متنوعة. فهذا البحث ما هو إلا جهد متواضع مع الرجاء أن يكون إضافة إلى سلسلة الدراسات والبحوث التي أجريت في الآونة الأخيرة أو لا تزال تجرى حاليا حول الأدب النسائي والنسوي. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع:

المصادر (وهي الروايات التي بنيت عليها الدراسة):

1. سحر خليفة: لم نعد جواري لكم، دارالآداب للنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 1999م.
2. سحر خليفة: باب الساحة، دارالآداب للنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 1999م.
3. سحر خليفة: الصبار، دارالآداب للنشر والتوزيع، بيروت، ط3، 2013م.
4. سحر خليفة، الميراث، دارالآداب للنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 2007م.
5. سحر خليفة، ربيع حار، دارالآداب للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2004م.
6. سحر خليفة: مذكرات امرأة غير واقعية، دار الآداب للنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 1992م.
7. سحر خليفة: عباد الشمس، دارالآداب للنشر والتوزيع، بيروت، ط4، 2008م، ودار الجليل، دمشق ط3، 1984م.
8. ليانة بدر: بوصلة من أجل عباد الشمس وشرفة على الفاكهاني، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، طبعة خاصة 1989م.
9. ليانة بدر: نجوم أريحا، دار الآداب للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2002م،
10. ليانة بدر: عين المرآة، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1991م.
11. ليانة بدر: نجوم أريحا، دار الهلال، القاهرة، ط1، عام 1993م.
12. ليلى الأطرش: وتشرق غربا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1988م.

13. ليلى الأطرش: ليلتان وظل امرأة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1998م.
14. ليلى الأطرش: مرافئ الوهم، دارالآداب للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2005م.
15. ليلى الأطرش: صهيل المسافات، دارشرقيات للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1999م.
16. ليلى الأطرش: امرأة الفصول الخمسة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1990م.

المراجع:

الكتب والبحوث:

1. ابن طيفور: بلاغات النساء، مطبعة مدرسة والدة عباس الأول القاهرة، مصر، 1908م.
2. ابن عبد ربه: القعد الفريد، المجلد الثالث، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1983م.
3. ابن هشام: سيرة ابن هشام، دار الصحابة بطنطا، مصر، الطبعة الأولى 1995م.
4. أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني ج11 و ج16، دار الفكر للطباعة والنشر – لبنان. تاريخ النشر لم يوجد.
5. أحمد أبومطر: الرواية في الأدب الفلسطين،: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1982م.

6. أحمد بن شعيب النسائي: سنن النسائي، (2 / 54)، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط2، 1986م.
7. أحمد حسن الزيات: تاريخ الأدب العربي، دارنهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، مصر.
8. بشير يموت: شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، المطبعة الوطنية بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1934م.
9. جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، ج1، مؤسسة دارالهلال، مصر، الطبعة الأولى. تاريخ النشر لم يذكر.
10. حسان رشاد الشامي: المرأة في الرواية الفلسطينية، اتحاد الكتاب العربية، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى، عام 1998م.
11. حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي القديم، دار الجيل، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1986م.
12. حنا الفاخورى: تاريخ الأدب العربي الحديث، دار الجيل، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1986م.
13. حمدو طّماس: ديوان الخنساء، دارالمعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 2004م.
14. خليل البدوي: موسوعة شهيرات النساء، دار أسامة للنشر، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، 1998م.
15. د. بثينة شعبان: مئة عام من الرواية النسائية العربية، دارالآداب للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1999م.

16. د.عائشة عبد الرحمن: سكينة بنت الحسين، مؤسسة دارالهلال، مصر. تاريخ النشر لم يذكر.
17. د. علـى الراعـي: الروايـة فـي الـوطن العربـي، دار الناشـر العربـي، القـاهرة، ط1، عام 1991م.
18. د. واضح الصمد: ديوان ليلى الأخيلية، دارصادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 2003م.
19. روبـرت ب. كامبـل اليسـوعي: أعـلام الأدب العربـي المعاصـر سـير وسـير ذاتية، الشركة المتحدة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1996م.
20. عبـد القـادربن عمـر البغـدادي: خزانـة الأدب ولـب لبـاب لسـان العـرب ج/1، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الرابعة، 1997م.
21. العقاد: عبقريات الإمام علي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى، 1974م.
22. عمر رضا كحالة: أعلام النساء في عالمي العرب والاسلام المجلد الثالث، والثاني والخامس، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1959م.
23. غادة إسماعيل محمد تيم: شخصية المرأة في أدب ليلى الأطرش الروائي، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة اليرموك، 2009م.
24. غـدير رضـوان طـوطح: رسـالة " المـرأة فـي روايـات سـحر خليفـة، رسـالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بيرزيت، 2006م.
25. الغزالي والآخرون: المرأة في الإسلام، مكتبة أخبار اليوم الإسلامية. تاريخ النشر لم يذكر.

26. رشاد أبو شاور: قراءات في الأدب الفلسطيني، دار الشروق، عمان- رام الله، ط1، 2007م.
27. سيمون دي فوار: الجنس الآخر، ترجمة: لجنة من أساتذة الجامعة ببيروت، ط7، 1980م.
28. سيمون عواد: من أدب مي زيادة، دارعوّاد للطباعة والنشر، 1981م.
29. شكري عزيز الماضي: الرواية والانتفاضة: نحو أفق أدبي ونقدي جديد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2005م.
30. فخري صالح: في الرواية الفلسطينية، بيروت، لبنان، ط1، 1985م.
31. فرحانة صديقي: مساهمة المرأة في الأدب العربي، فيمس آفسيت بريس، الطبعة الأولى، 1994م.
32. فرحانة صديقي: دور المرأة في إثراء اللغة العربية وآدابها عبر العصور، غُد ورد بكس، نيو دلهي، الطبعة الأولى، 2003م.
33. فرحانة صديقي: نازك الملائكة، غُد ورد بكس، نيو دلهي، الطبعة الأولى، 2002م.
34. فيصل دراج وآخرون: أفق التحولات في الرواية العربية، دارة الفنون مؤسسة عبد الحميد شومان، عمان، الأردن، 1999م.
35. فيصل دراج: دلالات العلاقة الروائية، مؤسسة عيبال للدرسات والنشر، قبرص، ط1، 1993م.
36. محمد بن إسماعيل البخاري: صحيح البخاري، دار ابن كثير، لبنان، الطبعة الثالثة، عام 1987م.

37. محمد التونجي: معجم أعلام النساء، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2001م.
38. محمد معتصم: النزعة الإنسانية في الرواية العربية: روايات سحر خليفة نموذجا، نسخة الكترونية أولى، نشر عام 2013م في مدونة الكاتب.
39. محمد ناصر الدين الألباني: سلسلة الأحاديث الصحيحة، مكتبة المعارف، 1995م.
40. مريم نور الدين فضل الله: المرأة في ظل الإسلام، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1978م.
41. نزيه أبونضال: تمرد الأنثى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى 2004م.
42. نوال السعداوي: الأنثى هي الأصل، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، ط1، 1971م.
43. وائل علي فالح الصمادي: صورة المرأة في روايات سحر خليفة، رسالة قدمت إلى جامعة أردنية، عام 2005م.
44. هبة الوادي: مي زيادة بين أديبات العرب قديما وحديثا، رسالة ماجستير، دائرة اللغة العربية، الجامعة الأمريكية، بيروت، لبنان، 1956م.

الجرائد والمجلات:

1. جريدة الرأي (الأردن): تصدرها المؤسسة الصحفية الأردنية، عدد يوم الخميس، بتاريخ 2010-09-23.
2. الحياة الجديدة: الصادر في رام الله، فلسطين، العدد المنشور بتاريخ 2006-03-29.

3. صحيفة الاتحاد (حيفا): العدد المنشور بتاريخ 2012-09-08.
4. صحيفة الحياة (بيروت): العدد المنشور بتاريخ 1998-06-08.
5. صحيفة الحياة الجديدة الالكترونية: تحت عنوان "ليلى الأطرش تتوج نتاجها الأدبي برواية «أبناء الريح»."www.alhaya.ps :
6. صحيفة الراكوبة الالكترونية، تحت عنوان "ليلى الاطرش: الانترنت اسقطت الرقابة لكن الأدب في مأزق: www.alrakoba.net
7. صحيفة الغد (الأردن): تصدرها الشركة المتحدة للصحافة، العدد المنشور بتاريخ 2009-02-17، والعدد المنشور بتاريخ 2007-05-20.
8. صحيفة "في المرصاد" الإلكترونية، العدد المنشور بتاريخ 2012-10-03.
9. صحيفة القدس العربي (لندن): العدد المنشور بتاريخ 2013-03-15.
10. جريدة الغد (الأردن): تصدرها الشركة المتحدة للصحافة، العدد المنشور بتاريخ 2009-02-17 و 2011-06-08.
11. مجلة الأسبوع العربي: الصادرة في لبنان، العدد 1634، 4 شباط 1991م.
12. مجلة جامعة دمشق: الصادرة في سوريا، المجلد 30، العدد 1+2، 2014م.
13. مجلة روز اليوسف الالكترونية: ، تحت عنوان " الكاتبة الأردنية ليلى الأطرش: أحلم بعالم لا تدفع فيه النساء ثمن نزاعات الرجال ". www.rosaeveryday.com
14. مجلة النهج: الصادرة في دمشق، العدد/ 41 / العام 1995م.
15. الموقف العربي: اتحاد الكتاب العرب، دمشق، العدد (212-213)، عام 1988م.

مواقع الانترنت:

1. مدونة نبيه القاسم الشخصية تحت عنوان "مذكرات امرأة غير واقعية رواية تجاهلها النقاد!؟"، استرجع في 21 ديسيمبر، 2015 من: http://www.nabih-alkasem.com/sahar_khalifa2.htm
2. منتدى منابر ثقافية تحت عنوان "أفضل مئة رواية عربية – سر الروعة فيها" لكاتبه أيوب صابر، استرجع في 21 ديسيمبر، 2015 من: http://www.mnaabr.com/vb/showthread.php?t=6821
3. موقع "فلسطيننا" تحت عنوان "سحر خليفة علامة فاصلة في الأدب الفلسطيني"، استرجع في 21 ديسيمبر، 2013 من: http://www.falestinona.com/OurPalWebSite/ArticleDetails.aspx?ArticleId=8464#.UrWq6PQW3AJ
4. الموقع الثقافي العربي "نقطة ضوء" تحت عنوان "سحر خليفة: الفردوس المفقود والحب الضائع" نشر بتاريخ 01 - 09 – 2009. استرجع في 21 ديسيمبر، 2013 من: http://www.n-dawa.com/print.php?id=104
5. موقع الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة تحت عنوان " هذه هي سحر خليفة وهذه صرختها العالية: لا". استرجع في 28 ديسيمبر، 2013 من: http://www.aljabha.org/?i=63876
6. موقع "صالون الأستاذة الدكتوره أفنان دروزه الثقافي" تحت عنوان "نبذة عن الروائية الفلسطينية الدكتورة سحر خليفة". استرجع في 28 ديسيمبر، 2013 من:

http://www.afnanculturalsalon.org/salon_kalimat/33.htm

7. موقع القصة السورية تحت عنوان "الكاتبة: ليانة بدر". استرجع في 28 ديسيمبر، 2013 من:
http://www.syrianstory.com/badere.htm

8. موقع الكاتب جميل السلحوت، تحت عنوان " قطة لا تقول". استرجع في 6 يناير، 2014 من: http://www.jamilsalhut.com/?p=119

9. موقع الدكتور أحمد أبو مطر تحت عنوان "حول رواية "عين المرآة" لليانة بدر شخصيات حالمة وسط مأساة دامية". استرجع في6 يناير، 2015 من:

http://www.drabumatar.com/index.php/template/offline-page/507---q-q-------).

10. موقع وزارة الثقافة الأردنية تحت عنوان "ليلى الأطرش". استرجع في6 ينـــــــــاير، 2014 مـــــــــن:
http://www.culture.gov.jo/index.php?option=com_content&view=article&id=527&Itemid=48&lang=ar

11- موقع وكالة الفتح للأنباء نشر بتاريخ 2012/10/3م. استرجع في9 يناير، 2014 من:

http://www.alfatehnews.com/arabic/?action=detail&id=28037

12- موقع ليلى الأطرش الشخصي. استرجع في9 يناير، 2014 من:
http://www.lailaatrash.com/ar

فهرس

رقم التسلسل	العناوين	رقم الصفحة
1	**مقدمة**	2
2	**الباب الأول: الرواية النسوية في فلسطين**	7
	الفصل الأول: المشهد الروائي النسوي في فلسطين	8
28	**الفصل الثاني: سحر خليفة: حياتها وآثارها**	15
29	مولدها ونشأتها والبيئة التي ترعرعت فيها	15
30	سحر خليفة كروائية	21
31	خبراتها العملية	26
32	البعثات والمنح الدراسية	26
33	الجوائز التكريمية	27
34	القراءات والمحاضرات	27
35	الدعوات من المؤسسات الشهيرة العالمية	28
36	الندوات والمؤتمرات وورشات العمل	30
37	**الفصل الثالث: ليانة بدر: حياتها وآثارها**	33
38	نبذة عن حياتها	33
39	الأوضاع الاجتماعية التي ترعرت فيها ليانة بدر:	34
40	ليانة بدر روائية وقاصة	37
41	ليانة بدر شاعرة	43
42	أعمالها الإبداعية في سطور	44
43	**الفصل الرابع: ليلى الأطرش: حياتها وآثارها**	46

44	نبذة عن حياتها	46
45	ليلى الأطرش كاتبة وروائية	48
46	آثارها وإنجازاتها في سطور	51
47	الجوائز والتقديرات	52
48	**الباب الثاني: المرأة والمجتمع**	54
49	**الفصل الأول: العلاقة بين المرأة والرجل**	55
50	العلاقة بين الأم وأولادها	55
51	العلاقة بين الأب وابنته	70
52	العلاقة بين الإخوة والأخوات	75
53	العلاقات بين الأزواج	77
54	علاقة الرجل والمرأة خارج الأسرة	85
55	- علاقة عاطفة صادقة	85
56	- علاقة زائفة	87
57	**الفصل الثاني : المرأة والقيم الاجتماعية**	90
58	**الفصل الثالث: المرأة ودورها في الوطن**	103
59	**الباب الثالث: الصور المختلفة للمرأة**	118
60	**الفصل الأول: المرأة المثقفة**	119
61	**الفصل الثاني: المرأة المستسلمة/ المهمّشة**	141
62	**الفصل الثالث: المرأة المناضلة**	148
63	**الفصل الرابع : المرأة المتمردة**	160
64	**الفصل الخامس: المرأة المومس**	170

65	**الباب الرابع: معالجة قضايا المرأة**	175
66	**الفصل الأول: القضايا المتعلقة بالزواج**	176
67	**الفصل الثاني: قضية التعليم**	184
68	**الفصل الثالث: قضية التفريق الجنسي**	189
69	**الفصل الرابع : القضايا الأخرى**	195
70	خاتمة	202
71	المصادر والمراجع	205
72	فهرس	215